
دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت
هِجْرَةُ المسيَّحي إلى الله
عظات على أناجيل أيام الصوم الأربعيني المقدس
الأب متى المسكين

دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

هجرة المسيحي

عظات على أناجيل أيام الصوم الأربعيني المقدس

الأب متى المسكين

الكتاب: هجرة المسيحي
عظات على أناجيل أيام الصوم الأربعيني المقدس
المؤلّف: الأب متى المسكين.
الطبعة الأُولى: ٢٠١١.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١١/١١١٢٨
رقم الإيداع الدولي: 977-240-275-0
مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون
ص. ب: ٢٧٨٠ القاهرة

متى المسكين ١٩٢٠-٢٠٠٦.
هجرة المسيحي: عظات على أناجيل أيام الصوم الأربعيني المقدس / متى المسكين. - ط ١. - القاهرة: دير القديس أنبا مقار ببرية شيهيت، ٢٠١١.
١٥٠ ص؛ ٠سم.
تدمك ٠ ٢٧٥ ٢٤٠ ٩٧٧

١ - المواعظ
أ. العنوان ٢٦ / ٢٧٥

المحتويات

صفحة

العظة الأولى

ما هو الصوم[1]؟

يوم الثلاثاء من الأسبوع الأول من الصوم المقدس

«٤١فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: "يَا رَبُّ أَلَنَا تَقُولُ هَذَا الْمَثَلَ أَمْ لِلْجَمِيعِ أَيْضاً؟" ٤٢فَقَالَ الرَّبُّ: "فَمَنْ هُوَ الْوَكِيلُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي يُقِيمُهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الْعُلُوفَةَ فِي حِينِهَا؟ ٤٣طُوبَى لِذَلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هَكَذَا! ٤٤بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ. ٤٥وَلَكِنْ إِنْ قَالَ ذَلِكَ الْعَبْدُ فِي قَلْبِهِ: سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ فَيَبْتَدِئُ يَضْرِبُ الْغِلْمَانَ وَالْجَوَارِيَ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَسْكَرُ. ٤٦يَأْتِي سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا فَيَقْطَعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ. ٤٧وَأَمَّا ذَلِكَ الْعَبْدُ الَّذِي يَعْلَمُ إِرَادَةَ سَيِّدِهِ وَلاَ يَسْتَعِدُّ وَلاَ يَفْعَلُ بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ فَيُضْرَبُ كَثِيراً. ٤٨وَلَكِنَّ الَّذِي لاَ يَعْلَمُ وَيَفْعَلُ مَا يَسْتَحِقُّ ضَرَبَاتٍ يُضْرَبُ قَلِيلاً. فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيراً يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيراً يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ".

٤٩"جِئْتُ لأُلْقِيَ نَاراً عَلَى الأَرْضِ فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟ ٥٠وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟"» (لو ١٢: ٤١-٥٠)

---

(١) هذه أول عظة مُسجَّلة من سلسلة عظات ألقاها الأب متى المسكين على أناجيل قدَّاسات أيام الصوم الكبير لعام ١٩٨١، وكلها تدور حول موضوع واحد: هو هجرة المسيحي إلى الحياة الأبدية. ولكن العظة الأولى التي ألقاها الأب متى المسكين يوم الاثنين من الأسبوع الأول من الصوم المقدس لم يتم تسجيلها، وهو يُقارن فيها بين هجرة المسيحي إلى الحياة الأبدية وبين هجرة طائر السِّمَّان من المناطق الباردة إلى المناطق الدافئة، وسوف يُكرر الأب متى المسكين ما ذكره في هذه العظة في باقي عظاته التي ألقاها في الأيام التالية من الصوم الأربعيني المقدس. أما هذه العظة فهي عن إنجيل يوم الثلاثاء من الأسبوع الأول من الصوم المقدس.

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين

قراءة إنجيل الأمس:

كلمتُنا في هذا اليوم، وإن لم تكن مركَّزة أصلاً على إنجيل هذا القدَّاس المبارك، ولكنها امتدادٌ لمفهوم الصوم. وأكاد أجزم أن إنجيل الأمس (يوم الاثنين من الأسبوع الأول من الصوم المقدس) مُطابق لإنجيل اليوم (الثلاثاء). فكما استمعنا لإنجيل الأمس (مر ٩: ٣٣-٥٠)، عن عِراكٍ صار بين التلاميذ أولاد النور السائرين إلى الملكوت: مَن منهم الأعظم! وكان توبيخ الرب لهم أنَّ الذي يريد ملكوت الله لابد أن يعود إلى قلب طفل، لا يستطيع أن يُخاصم أو يطلب الكرامة.

✞✞✞

قراءة إنجيل اليوم:

وأيضاً في إنجيل اليوم استمعنا إلى قول الرب: «طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا... ولكن إن قال ذلك العبد في قلبه: سيدي يُبطئ في قدومه. فيبتدئ يضرب العبيد والإماء ويأكل ويشرب ويسكر» (لو ١٢: ٤٣-٤٥). فنفس الموضوع الذي سمعناه في إنجيل اليوم: «يضرب العبيد والإماء»، سمعناه في إنجيل الأمس: بينما التلاميذ سائرون في الطريق: «تحاجوا (تشاجروا)... بعضهم مع بعض في مَن هو أعظم؟» (مر ٩: ٣٤)

الصعب والأصعب:

ثم يتكلَّم الرب في إنجيل الأمس عن الأعضاء المُعثِرة: العين واليد

والرجل. ويحضُّنا على أنه من الأسهل أو من الأفضل لنا أن نتخلَّى عن جزء من الجسد مِن أن يهلك الجسد كله، حسب قول المسيح. فكون أن نتخلَّى عن جزء من هذا الجسد (إن كان يُعثرنا)، فهذا يُظهر لنا أنه من الصعب بمكان أن نفعل هذا. وهناك الكثير من الناس يريد أن يُقنعني أن هذا الإنجيل لا يجب أن يؤخذ على محملٍ حرفي، بل أن نأخذه كرمز، ولكني أؤكِّد أن هذا الكلام حقيقي. فالصعب ليس أن نقطع اليد أو نخلع العين، ولكن الأصعب هو أن نستغني عن الجسد كله بالهلاك في جهنم. أما الذي لم يحاول أن يُنكر نفسه أو يجحد هذا الجسد وهذه الذات، فيكون من الصعب عليه بمكان أن يقطع اليد أو يقلع العين، فهذا يكون بالنسبة له أمراً فائق التصوُّر. أما إذا جاهد الإنسان لكي يلغي ذاته أو ينكر ذاته، فإنه في الحقيقة يستطيع أن يُدرك أن من السهل الاستغناء عن أي عضو (مُعثِر). فهذه في الحقيقة قياسات، وسوف يأتي في اليوم الأخير، بعد أن يُستعلن كل شيء، ويصرخ هذا وذاك: «وهم يقولون للجبال والصخور: اسقطي علينا وأخفينا» (رؤ ٦: ١٦)، ويتمنون أن تفتح الأرض فاها وتبتلعهم حتى لا ينظروا الجالس على العرش؛ وذلك حينما تُستعلَن خطاياهم، ليس في خِفية، وإنما في العَلَن أمام الملائكة والقديسين والشهود، وعلى الأخص أمام الذين كُنَّا نتحدث أو نتكلَّم معهم، أو نعظهم، أو نُعلِّمهم. في الحقيقة إن هذا الوضع يحتاج منَّا إلى مراجعة قوية جداً ودقيقة، إن كنَّا نريد أن نسلك في الطريق فعلاً.

المشاجرة في الطريق: مَن يكون الأعظم؟

وأيضاً في إنجيل اليوم يتكرر ما قيل في إنجيل الأمس: المشاحنة في الطريق، وشهوة مَن يريد أن يكون الأعظم. الذات المتكبرة والمتعجرفة، والجسد

الذي يشتهي فوق ما يجب أن يشتهي. ونفس الإنجيل وبنفس الوضع في إنجيل الأمس. أخذ الرب طفلاً وأقامه في وسطهم قائلاً للتلاميذ: «مَن قَبِلَ واحداً من أولاد مثل هذا باسمي يقبلني» (مر ٩: ٣٧). ويعود الرب ويتكلَّم عن الصغار الذين نُعثرهم في حياتنا، فهذه العثرة تحرمنا نهائياً من رؤية الملكوت، بل ومن الراحة في هذا الدهر، لذلك فهو يقول: «مَن أعثر أحد الصغار المؤمنين بي، فخيرٌ له لو طوِّق عنقه بحجر رَحًى وطُرِح في البحر» (مر ٩: ٤٢). فهذا يظهر كما لو أنه قسوة، ولكن أية قسوة يا أحبائي؟ أية قسوة يمكنها أن تقع على الجسد، وتُعتبر أنها قسوة بالنسبة إلى إنسان قد يُحرَم من النور الأبدي والحياة الأبدية. فهي مقارنة قد تكون غائبة عن الكثيرين، عندما يستسهلون الحياة، ويُقايضون الملكوت - كما يقول القديسون - بمليم أحمر (أي بثمنٍ تافه جداً)!

في الحقيقة، إن الجسد بمطالبه، والذات بكبريائها وعجرفتها، مهما واجهناها ومهما حاولنا أن نقمعها؛ فهذا كله - حتى إذا وصل إلى حرق الجسد - لا يساوي حرماننا من الملكوت.

أعود مرة أخرى وأتكلَّم عن الصوم، وسيكون الحديث مُركَّزاً في هذه الأيام على الصوم، ولكن أيضاً على خلفية إنجيلية.

ما هو الصوم؟

أعود وأُكرِّر: ما هو الصوم؟ لئلا نكون مثل بعض الناس الذين يتكلَّمون عن الصوم أنه لصحة الجسد! وأن الصوم يجعلنا نشعر بالفقراء، ويجعلنا متواضعين، وأنه يعمل كذا وكذا... إلخ. وكلها أشياء تجعلنا نحاول أن نستفيد من الصوم من أجل منفعة هذه الحياة الحاضرة. لا، لا!

هناك تعريفٌ بسيط للصوم لا يتجاوز بضع كلمات: الصوم هو **محاولة الحياة بدون أكل**. هل هذا في الإمكان؟ وماذا يرمز؟ يرمز للملكوت وللحياة الأبدية. الصوم هو استعلانٌ جزئي للفكر، ولكن بحسب الخبرة؛ فالحياة الروحية هي تحلٍّ. فالإنسان كمخلوق يتجلَّى، حينما يستطيع أن يحيا بدون طعام.

وفي الحقيقة، إن أول اختبار سمعناه، كان في برية سيناء، عندما تذمَّر الشعب على الله:

+ «فعاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا وقالوا: مَن يُطعمنا لحماً. قد تذكَّرنا السمك الذي كُنَّا نأكله في مصر مجاناً، والقثاء، والبطيخ، والكُرَّات، والبصل، والثوم... (ويقول الرب لموسى:) وللشعب تقول: تقدَّسوا للغد فتأكلوا لحماً... فخرجت ريحٌ من قِبَل الرب وساقت سلوى من البحر وألقتها على المحلة... فقام الشعب كل ذلك النهار وكل الليل وكل يوم الغد وجمعوا السَّلْوى... وإذ كان اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن ينقطع، حَمِيَ غضب الرب على الشعب، وضرب الرب الشعب ضربة عظيمة جداً.. وتكلَّم الشعب على الله وعلى موسى قائلين: لماذا أصعدتمانا من مصر؟ لنموت في البرية، لأنه لا خبز ولا ماء، وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف. فأرسل الرب على الشعب الحيَّات المُحرقة، فلدغت الشعب. فمات قومٌ كثيرون من إسرائيل» (عد ١١: ٤،٥،١٨، ٣١-٣٣؛ ٢١: ٥،٦).

إنه تذمُّر على الله، ولذلك أرسل لهم الله السِّمَّان (السَّلْوَى)، نفس الطائر الذي كنا نتكلَّم عن هجرته وهو صائم لمدة ١٥ يوماً. فقد أرسل

لهم الله السمَّان أو السلوى، لعلهم يأخذون منه عظة، إذ أنه يُهاجر من روسيا وهو صائم لمدة ١٥ يوماً، حتى يأكلوا منه ويملأوا بطونهم ويخرج اللحم من منخارهم، ولكنهم "أكلوا وشربوا ثم قاموا للَّعب"، ومات منهم الآلاف.

الصوم هو تعبيرٌ إلهي، لكن التعبير عنه الآن يتم بعباراتٍ مادية ضعيفة ميتة، لا تُضاهي قيمة الصوم. **ولكن الصوم هو محاولة الحياة بدون أكل.**

كان في اعتقادي وإيماني أن شعب إسرائيل لو لم يتذمَّر على الله، لكانوا قد عاشوا في البرية ٤٠ سنة بدون أكل أو شرب. ربما لا تُصدِّق هذا! ولكني أقول لك: إنهم عاشوا ٤٠ سنة في البرية لم تتقطَّع صنادلهم ولم تبلَ ثيابهم. لماذا؟ لأنهم نسوا أن يتذمَّروا على الصنادل وعلى الثياب. نسوا أن الثياب سيأتي عليها يوم من الأيام وتبْلَى. فنَسِيَ الشعب أن يُعيِّر الله ويقول له: "أنت ستُعرِّينا في البرية، لأنه لا يوجد هنا ثياب أو منازل". كما أنه نَسِيَ أن يُعيِّر الله بأن الصنادل ستتقطَّع في الطريق، ومِن أين لهم أن يُصلحوها أو يصنعوا صنادل جديدة تحتاج إلى جلود. ولأنهم نسوا التذمُّر على هذا، فثيابهم لم تَبْلَ، وصنادلهم لم تتقطَّع طيلة ٤٠ سنة في البرية. هذه لمحة بديعة وعميقة لمَن يريد أن يأخذ. وعلى هذا القياس نقول: **إنه كان من الممكن للشعب أن يعيشوا بدون طعام. والمسيح عندما عاش ٤٠ يوماً بدون أكل أو شُرب، فقد كان يريد أن يُعلِن لنا صورة التجلي لجسدٍ يحيا للملكوت.**

❖ من وجهات النظر الرائعة للصوم، نرى موسى النبي الذي عاش

لمدة أربعين يوماً وأربعين ليلة على الجبل بدون أكل أو شُرب؛ كأنه كان إعداداً له لرؤية الله، فهذا هو الملكوت. فالصوم هو إعداد لقبول كلمة الله الحيَّة كشريعة جديدة. فالصوم استعدادٌ للانتقال إلى حياةٍ أخرى أرفع وأسمى وأفضل.

❖ إنَّ إحدى الصُّوَر المُبدعة والجميلة للصوم، هي أنه يُمكِنُنا الحياة بدون طعام إلى الساعة الثالثة ظهراً (أو أقل أو أكثر من هذا الوقت حسب مقدرة كل إنسان)، المهم هو مضمون الصوم الكلّي الذي يحمل معنًى يمكننا أن نتعمَّق فيه: إنَّ الإنسان، كمخلوق، يمكنه أن يعيش لله فترةً يَستجلي فيها كيانه الإنساني أو خِلْقته من الداخل. إنه بالفعل يمكننا أن نحيا - كمخلوقين - بدون طعام وبدون زواج. فقد قال اليهود (الصدُّوقيون) للرب (عن المرأة التي تزوَّجت رجلاً ثم مات، فتزوَّجت أخاه الثاني ثم مات، وهكذا حتى تزوَّجت الأخ السابع): «ففي القيامة (في اليوم الأخير) لِمَن من السبعة تكون زوجة، فإنها كانت للجميع. فأجاب (الرب) يسوع وقال لهم: **تضلُّون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله.** لأنهم في القيامة لا يُزوِّجون ولا يتزوَّجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء» (مت ٢٢: ٢٣-٣٠).

❖ فإحدى الغرائز الأساسية في الجسد، والتي أقل منها أساسيةً غريزة الأكل، هي الغريزة الجنسية، والتي قال عنها العالِم فرويد إنها الغريزة السائدة، وإن كنتُ لا أُقِرُّه على رأيه هذا. فإن كانت الغريزة الجنسية، التي يُقال عنها أنها الغريزة السائدة، لا وجود لها في السماء، فبالأحرى الغرائز الأقل منها. فنحن هنا على الأرض نحاول جاهدين - كرهبان - أن نحيا على هذا المستوى العالي الرائع، أن نعيش كملائكة الله الذين لا يزوِّجون

ولا يتزوَّجون، وهو ما قال عنه الرب: «مَن استطاع أن يقبل فليقبل» (مت ١٩: ١٢)، وهو سبب ما أُطلق على الرهبان أنهم: "ملائكة أرضيون أو بشر سمائيون". لماذا؟ لأننا لم نتزوَّج، وكذلك أيضاً لأننا نصوم!

❖ في إحدى المرات، كما ورد في بستان الرهبان، أمسك راهب بنفير وتجوَّل بين القلالي قائلاً: "يا آبائي، يا آبائي". فخرج الرهبان وكذلك الشيوخ متسائلين: "ما الموضوع؟ وماذا حدث يا بُنيَّ؟". فقال لهم: "لقد بدأ الصوم الكبير"! فقالوا له: "أي صوم كبير هذا؟ امضِ إلى قلايتك. فنحن لا نعرف شيئاً عن صومٍ بدأ أو صومٍ انتهى. فحياتنا كلها صوم"! وهكذا كان آباؤنا في القديم يصومون كلَّ الأيام. لماذا؟ لأنهم كانوا سائرين في الطريق بصفة دائمة، فلم يكن عندهم راحة، لأن راحتهم كانت هي في المسيرة المستمرة في الطريق.

بدون انشغال بالطعام، نرتفع كيانياً بالقلب:

إحدى الصور المُبدعة للصوم: إنه اختبارٌ كياني داخلي نشعر به في داخلنا؛ إنه يمكننا قضاء الساعات الطويلة بدون طعام ولا انشغال الجسد بالأكل، لكي نرتفع كيانياً بالقلب. و"القلب" هنا ليس هو البُطَيْن والأُذَيْن؛ وإنما كما يُعرِّفه اليونانيون هو "العقل". وفي الحقيقة، العقل هنا هو القلب، حتى أنه يمكننا أن نستبدل كلمة "القلب" بـ "العقل"، والعقل بالقلب، والذي منه "مخارج الحياة". فالقلب هو أعماق الوجدان الإنساني الذي يُحرِّك الإنسان، يُحرِّك مبادئه، يُحرِّك آماله، يُحرِّك أفراحه، يُحرِّك أحزانه. هذا هو العمق الداخلي، هذا هو القلب، وهذا هو الذي يتربَّى على الصوم. هذه هي الصورة البسيطة المبدئية أو إحدى

الصور الجميلة اللامعة للصوم: إنه سَبْقُ تذوُّق لحياة الملكوت.

أنتم تصومون، يا أحبائي، وتحاولون أن تأخذوا اختباراً على مستوى أقل، أو نموذجاً بسيطاً عن حياة الملكوت، أي الحياة الأخرى. فكل إنسان صائم، إن كان صائماً بالحق، فهو إنسان يحيا في الملكوت، حتى لو كان اختباره هذا محدوداً بزمنٍ ما. ولكن ما أجمل أن ننتهز هذه الفرصة، مهما كانت فترة الصوم: ست ساعات، أو عشر ساعات، أو من النجمة إلى النجمة، أو كل يومين أو ثلاثة. والرب يُعطيكم أن تنتفعوا من هذه الفترة الزمنية، ونعتبرها فعلاً جزءاً لا يتجزَّأ من الحياة التي سنعيشها فوق في الملكوت، لأننا مدعوُّون من الآن، وفي هذا الزمان، أن نسبق ونتذوَّق الحياة الأخرى التي بلا غرائز.

ولربنا المجد الدائم إلى الأبد، آمين.

العظة الثانية

تأمين الطريق

يوم الأربعاء من الأسبوع الأول من الصوم المقدس

«٣٥بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاً فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيماً وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ. ٣٦فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ.

٣٧وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ. ٣٨أَعْطُوا تُعْطَوْا كَيْلاً جَيِّداً مُلَبَّداً مَهْزُوزاً فَائِضاً يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ» (لو ٦: ٣٥-٣٨).

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين

تكلّمنا، يا أحبائي، في أول يوم من أيام الصوم، عن الصائم، وشبَّهناه بطائر مُهاجر تحت ظروف قاسية، لأن الطائر يُهاجر من أجل حياته هارباً من شتاءٍ قارس يُهدِّده بالموت، لذلك وضع الله فيه غريزة الهجرة إلى أرضٍ دافئة لاستبقاء حياته.

غريزة الوصول إلى الوطن السماوي:

هذا التشبيه، في الحقيقة، ليس غريباً عن كل ما شبَّه به الآباء والكُتب: إنَّ الإنسان غريبٌ على الأرض. وهذا نقرأه كثيراً في المزامير مثل: «ويل لي فإن غربتي قد طالت» (مز ١١٩: ٥ - حسب

السبعينية). والمسيح شبَّه المسير إلى الملكوت بإنسان مُسافر في طريق ضيِّق. وقد وضع الله في الطائر المُهاجر غريزة معرفة طريقه وسط العواصف والضيقات وكل الموانع والحواجز التي تفوق الوصف، لكي يبلغ هدفه. وسبق أن قلت لكم إن العلم بكل ما أوتي من حذق ومهارة لم يستطع حتى الآن أن يعرف شيئاً عن غرائز الطائر المهاجر، لأنهم رصدوا ووجدوا أنه يستطيع أن يصل إلى المكان الذي يريد أن يتجه إليه بالضبط، حتى لو كان وصوله إلى هذا المكان ليلاً.

الهجرة الداخلية إلى الله:

هكذا بالنسبة للإنسان المسيحي أُعطِيَ غريزة الهجرة الداخلية إلى الله من وطن أرضي، من خيمة مطوية، إلى وطن سماوي دائم، إلى مدينة أسَّسها الله، وإلى حياة تدوم؛ ولكن لابد من العواصف، لابد من الضيقات في الطريق. لذلك سمعنا في إنجيل اليوم الأول من الصوم (مر ٩: ٣٣-٥٠) عن التلاميذ حينما كانوا يتشاجرون وهم سائرون معاً في الطريق عمَّن هو الأعظم؟

المبدأ الأول: الذات عقبة وحائل دون الوصول إلى الله:

وأول عقبة تُقابل الإنسان المسافر في طريق الملكوت: الذات العاتية. تريد أن تعرف موقعها حتى من الطريق الضيِّق. هذا الطريق الضيق ليس فيه مجال للافتخار أو التعظُّم أو التعالي بالمواهب الذاتية، لأن الافتخار شأن الأمور الترابية، شأن الخليقة. والإنجيل نبَّه ذهننا أيضاً (كما ورد في مر ٩: ٤٣-٤٨) على شهوات الأعضاء العاملة في الإنسان كعائق كبير (هذا ذُكِر في إنجيل يوم الاثنين)؛ وفي إنجيل يوم الثلاثاء من الصوم تحدَّث عن العوائق.

أما إنجيل اليوم (الأربعاء) فإنه يضع أُسساً ثابتة لرحلة سالمة سعيدة لإنسان مُسافر، ولكن بلغت من العمق درجة حتى يكاد الإنسان لا يستطيع أن يربط بينها وبين قراءتها في أيام الصوم: «أحبوا أعداءكم، وأحسنوا، وأقرضوا، وأنتم لا ترجون شيئاً، فيكون أجركم عظيماً... كونوا رحماء... لا تقضوا على أحدٍ فلا يُقضَى عليكم. اغفروا يُغفر لكم. أعطوا تُعْطَوْا» (لو ٦: ٣٥-٣٨).

«أحبُّوا أعداءكم» تؤمِّن لك الوصول:

في الحقيقة، وُضعت الأُسس الثابتة، ولكنها تحتاج إلى تفسير بسيط. فلما قال الرب في الإنجيل: «أحبوا أعداءكم»، هذه الآية ليست إيجابية، ولأول مرة أُنبِّه ذهنكم إلى آية لم تكن إيجابية. فالرب لم يقصد محبة العدو في ذاتها، بالرغم من أن المحبة إيجابية وعظيمة، ولكن الرب يريدك أنت أن تصل إلى هذه المحبة، يريد أن يؤمِّن لك هذه المسيرة الخطرة. فأنت تسير وسط بلاد اللصوص (كما يقول بستان الرهبان)، فلكي يؤمِّن المسيح لك الوصول إلى الملكوت، قال: «أحبوا أعداءكم»، لأن أكثر ما يُرعب الإنسان في مسيرته أن يُقابل العدو.

منذ بدء الخليقة، صارت العداوة قانوناً:

فمنذ **بدء الخليقة**، منذ أن عاش أول إنسان على الأرض؛ كان أول مُقاوِم له وأول خطر لحياته، هو عدوه الذي يأتي ليقتله. **هذا هو خطر الحياة الأول بالنسبة للإنسان.** لذلك كان الإنسان منذ أن عرف نفسه وعرف أن له رفيقاً يعيش معه على الأرض، بدأ يتسلَّح ضد العدو! ثم بدأت كل قبيلة تتقوَّى لمجابهة القبيلة الأخرى، وكذلك الدولة ضد دولة

أخرى. والغريب أن هذا يحدث إلى هذا اليوم، ذلك لأنهم لم يسلكوا بحسب ما جاء في الإنجيل، ولا آمنوا أيضاً أن الإنسان المسيحي مهاجر، وأن الوطن الثابت والباقي هو السماء؛ ولذلك انفلت الأمر من بين يدي الإنسان في البداية، ثم بعد ذلك انتقل هذا الانفلات إلى الجماعة فتلوَّثت، ثم انتقل بدوره إلى الشعب، ثم إلى الشعوب، وصار بمثابة قانون.

والتسلُّح صار شائعاً:

هل توجد الآن دولة لا تتسلَّح؟ في وقتنا الراهن أصبح التسلُّح هو أساس الحياة مع أنه ضد نظرية الهجرة، ضد نظرية السَّفَر السعيد الآمِن إلى الوطن السماوي. ولكننا نسمع في هذه الأيام كثيراً عن شعارات تريد العودة إلى عدم التسلُّح. فبدأت الدول تعقد معاهدات للحدِّ من سباق التسلُّح في الأسلحة التقليدية، ثم معاهدات للحدِّ من الأسلحة الذرية، ثم تُرفع شعارات عدم التسلُّح أو نزع السلاح. كلها أوهام، لأن الخوف من الآخر دخل إلى أعماق الشعوب كغريزة، لذلك لا يمكن أن يتخلَّى إنسان عن سلاحه، لأن الشيطان قد حَكَمَ؛ حَكَم بناموس ليس فقط في أعضاء الجسد، بل وفي عقول الشعوب ودساتيرها أيضاً. فأصبحت بعض الدول تُخصِّص ثلث ميزانيتها للتسليح بينما شعوبها تُعاني وتئن من الجوع.

"محبة الأعداء" تعمل لحساب السَّفَر والهجرة إلى الله:

فالإنسان المسيحي مُطالَب أن يحب عدوَّه، فإذا استطاع أن يلتفت إلى عمق هذه الآية: «أحبوا أعداءكم» لصار آمناً، ولَمَا احتاج إلى سلاح أو عصا. فهذه الآية تعمل لحساب السَّفَر السعيد إلى السماء، الذي وُضِعَ

الصوم كمجال حي ديناميكي يتحرَّك فيه الإنسان المسيحي لكي يبلغ ملكوت السموات.

الصوم هو المجال لممارسة المحبة:

وأحد الأسلحة الإيجابية للصوم: المحبة. إذا صُمتَ وليس عندك محبة، ستكون النتيجة عِراكاً، وإذا تعاركتَ ضاع الصوم وضاعت الرحلة كلها. إذا تشاجرتَ، ستتوقف عن المسير، ويضيع الهدف. فاليوم نحن نضع الهدف، والملكوت، والرحلة؛ والمجال الحي المتحرِّك أو الديناميكي لكل هذا هو الصوم.

في اليوم الأول من الصوم، كان إنجيل مرقس يتكلَّم عن عدم التشاجُر، وكذلك قمع شهوات الأعضاء. وفي اليوم الثاني، وضع إنجيل لوقا أساسين. واليوم أيضاً يضع إنجيل لوقا أُسساً تُعتَبَر عامة وشاملة للشخص والشعب والشعوب.

سلاح المحبة سلاح بتّار:

وأنا أُريدكم اليوم أن تتنبَّهوا إلى أنَّ الإنسان الصائم الذي يريد أن يعيش أياماً سعيدة، سواء كان راهباً أو ناسكاً أو إنساناً يحيا في العالم، لابد أن يتسلَّح بسلاح المحبة لكي يُقوِّي ويُثبِّت مسيرته إلى الملكوت. هذا السلاحُ سلاحٌ بتَّار يستطيع الإنسان به أن يصرع العدو المهاجم من أية جهة. لأني أقول لكم إن الرحلة هي وسط لصوص، وأخطر ما فيها هو القوة واستخدام القوة. لذلك يقولون (في الدسقولية): إن أي أسقف يمدُّ يده ويضرب يُقطَع. أي أسقف أو أي كاهن أو أي شماس عُرف عنه منذ البداية أنه ضرَّاب لا يجوز رسامته، وإذا ضُبط وهو يتعدَّى بالضرب على

آخر، يوقَف عن خدمته. لماذا؟ لأنه قد استخدم القوة.

استخدام القوة هو ضد المسيرة إلى الملكوت: «أحبوا أعداءكم». فإذا رجعتم إلى الإنسان الأول تجدون أن الشريعة السائدة كانت هي شريعة الغاب، وتجدون أن الشريعة الطبيعية للإنسان كانت هي البقاء للأصلح. فما معنى هذا؟ معناه أن الحيوانات تتعارك مع بعضها البعض، والذي يغلب هو الذي يحيا، أما المغلوب فإنه يُعاني من الجروح ثم يموت. حياة يعيش فيها الأصلح، وهذا هو قانون التراب أو قانون الغاب.

قانون الملكوت: المسامحة:

قانون ملكوت السموات، في الحقيقة، أن الذي يحيا هو المظلوم، والذي يَغلِب هو المقهور. الأمور معكوسة بصورة عجيبة جداً: «مَن لطمك على خدِّك الأيمن، فحوِّل له الآخر أيضاً» (مت ٥: ٣٩). لماذا؟ هذه الآية إيجابية، ولكنني سأنظر لها من الناحية السلبية، وهذا أقوى. عندما يضربني إنسان على خدِّي الأيمن، أقول له: "كتَّر خيرك"، وأمضي في طريقي حتى أصل إلى وجهتي، ذلك لأن هدفي ثمين ورحلتي خطرة. فإذا وقفتُ وتعاركتُ معه ستكون هذه نهايتي. هذا هو أول مبدأ يضعه إنجيل القديس لوقا اليوم.

المبدأ الثاني: الإحسان بلا عائد:

المبدأ الثاني: «أحسنوا وأقرضوا». لاحظوا أن هذا المبدأ ضد الطبيعة اليهودية. فقد قيلت في وسطٍ يهودي، وبداية هذا المبدأ: «أحبوا أعداءكم»، وهذا أمرٌ مكروه جداً عند اليهود، لأن الأمم في نظرهم كأنهم كلاب، ولا يستطيع اليهودي أن يُقدِّم عمل رحمة إلاَّ لبني جنسه.

والإنجيل يقول: «أحسنوا وأقرضوا، وأنتم لا تَرْجَوْن شيئاً، فيكون أجركم عظيماً». طبعاً اليهودي يُقرض، ولكن أن لا ينتظر ردَّ القرض، فهذا أمرٌ مستحيل لدى اليهود؛ ولكن الإيمان المسيحي يرتفع بالطبيعة البشرية، وخاصة الطبيعة اليهودية، إلى المستوى المستحيل. وهذا هو الطريق المؤدِّي إلى ملكوت السموات، وهذا هو السلاح الثاني بالنسبة للإنسان المهاجر والمسافر الذي يريد أن يجتاز هذا العالم بسلام. أن يُحسِن، يُحسِن بإرادته؛ ويُقرض، وهذا ليس بإرادته. الإحسان أنا أُعطيه، أما الأمر الثاني أي الإقراض فإنه لا يتم إلاَّ بتنفيذ الأول أي الإحسان. فإن لم يكن لديَّ المقدرة على الإحسان للآخرين بإرادتي، فيستحيل عليَّ في يومٍ من الأيام أن يسألني أحد أن أقرضه فأُقرضه دون انتظار ردِّ القرض. فالاثنان (الإحسان والإقراض) موضوعان بحكمة. فالإنجيل قويٌّ جداً في كلماته وفي أعماقه.

القضايا والمحاكم بين الإخوة والأقارب:

«أحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً فيكون أجركم عظيماً». هنا التأمين يكون ضد ماذا؟ ضد المحاكم والقضاة والمحامين والقضايا. ولذلك نسمع دائماً عن قضايا تداولتها المحاكم لمدة ٢٠ أو ٢٥ أو ٣٠ سنة بين الأخ وأخيه، أو الابن وأبيه، أو الإنسان وعمه أو خاله. فهي قضايا لا تنتهي، وإذا ذهبتَ إلى المحاكم وأجريتَ بحثاً عمَّا يدور في أروقتها، تخرج بعجب: أنَّ الإنسان يمكنه أن يُضيِّع ثلثي عمره في قضية أو يُضيِّع عمره كله في قضيتين. وأين، إذن، ملكوت السموات؟ طبعاً هو الذي ضاع.

ولذلك فلكي يؤمِّن لنا الرب الطريقَ إلى ملكوت السموات، ولكي تصير ديناميكية أو حركة الصوم التي هي التعفُّف أو الحياة بلا همٍّ؛ **فإنه** يؤمِّنها بالسلاح الثاني: **أن يكون لديَّ الاستعداد للإحسان أولاً، ثم ثانياً الإقراض دون انتظار لردِّ القرض.**

لماذا؟ ليس هذا لاكتساب فضيلة، فالمسيحية لا تعترف بالفضائل بحدِّ ذاتها أنها هي التي تورِّث ملكوت السموات؛ ولكن المهم هو ملكوت السموات نفسه. المهم أنني أُنكر ذاتي وليس اكتسابي فضيلة، حتى أنتظر أن يقولوا لي: يا صاحب الفضيلة! بل أنْ لا أكون فاضلاً في نظري أو في نظر الناس، أن أكون نكرة في نظري. وكيف يكون هذا؟ أن يكون لديَّ الاستعداد للإحسان والإقراض حتى إذا لم يكن معي نقود، فكل ما أمتلكه أكون مستعداً للتنازُل عنه لكي يمكنني أن أواصل المسير في طريقي الروحي السرِّي.

الغِنَى الحقيقي هو التأمين للمسافر:

فهل معنى هذا أن أحيا كشحاذ؟ لا، فإن الغَنيَّ الحقيقي وصاحب المخازن السماوية سوف يُقيتني. فالرب قال: «انظروا إلى طيور السماء» (مت ٦: ٢٦). هل رأيتم عصفورة قامت بتخزين طعامها، وتذهب كل يوم لتأكل مما خزَّنته بضع حبَّات وتعمل حساب ما تأكله وما سيتبقَّى؟ أبداً! فالله يرزقها كل يوم بأكثر مما تحتاج إليه. هكذا أنتم يا قليلي الإيمان: «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون» (مت ٦: ٢٥). هذا هو التأمين الثاني للإنسان السائر في طريق ملكوت السموات.

المبدأ الثالث: عدم الدينونة:

السلاح الثالث الذي يضعه الإنجيل كأساس للسائرين في طريق ملكوت السموات هو: «لا تدينوا فلا تُدانوا. لا تقضوا على أحدٍ فلا يُقضَى عليكم» (لو ٦: ٣٧). فإذا أردتَ أن لا يسبَّك أحد أو يهينك فلا تسبُّه أنت أو تهينه، إذا أردتَ أن لا يخوض أحدٌ في سيرتك فلا تخوض أنت في سيرته؛ هذا على المستوى الإيجابي. ولكنني أريد أن أتكلَّم على المستوى السلبي، لأنها تؤخذ على هذا المحمل.

تصوَّروا معي أن هناك طائراً مسافراً، وبجانبه طائر آخر مسافر، بدأ يُضايقه ويعضُّه ويريد أن يسبقه، فإن هذا الطائر الأول لا يلتفت إلى الثاني، لأنه إذا التفت إليه أو انشغل به فإنه سيفقد الطريق. لماذا؟ لأنه، كما يقول العلماء، فإن الطائر وهو مهاجر، يكون في مخه ما يُشبه الرادار يقيس به جاذبية الأرض على الخط الطولي والخط العرضي. فإذا بدأ السَّفَر من سيبيريا إلى بلادنا مدة ١٥ يوماً، فإن لم يضبط زاوية الطيران، والذين يعرفون الزوايا يُدركون أنها واحد على المائة ألف من الدرجة، فإنه لن يصل أبداً. ولذلك فهو لا يلتفت إلى اليمين ولا إلى اليسار إطلاقاً. لابد أن يكون بكل كيانه الداخلي متطابقاً تماماً مع الوجهة أو الاتجاه أو الوعي الداخلي المهيمن على مسيرته.

هذه الغريزة موجودة فينا روحياً. ولذلك يقول الرب: «لا تدينوا فلا تُدانوا»، لأنك لو دِنْتَ أحداً، خرجتَ خارج الخط، ولا يمكن أن تصل، لأنك إذا دِنْتَ فستُدان. وعندما تُدافع عن نفسك تجد أنك خرجت خارج الطريق، لأنه ليس من المفيد لك أن تدافع عن نفسك

أبداً. من المفيد لك أن تُنكر ذاتك، وأن تتنازل عن كل ما عندك، وأن تُضرَبَ على خدِّك الأيمن فتُدير الآخر أيضاً، وأن تترك رداءك لِمَن يطلب ثوبك. كل هذا لكي تصل. هذا هو في الحقيقة السلاح الثالث والأخير الذي بواسطته يكون الإنسان مستعدّاً للسير دون أن تتعرقل مسيرته.

أخيراً، الهجرة إلى الله غير منظورة:

ما أريد أن أُلخِّصه في كلمة أخيرة، وأُخرجه من وضعه النظري إلى الوضع العملي، هو أنك اليوم، أينما كنتَ وحيثما كنتَ ومهما كنتَ: ملكاً كنتَ أو راهباً، موظفاً أو إنساناً غنياً، فقيراً أو تاجراً... إلى آخره، فليس هذا هو المهم؛ المهم أن تعرف أنك إنسانٌ مسافر، أنك مهاجر داخلياً فعلاً، وهذه الهجرة لا يراها أحدٌ، فالهجرة داخلية غير منظورة.

إن أردتَ أن تصوم، ويكون صيامك صحيحاً ومقبولاً، اغسل وجهك، وادهن رأسك، حتى لا يعرف أحدٌ أنك صائم. فالهجرة هي هجرة غير منظورة، هجرة باطنية. فليت كل إنسان يُطبِّق هذا الكلام حتى يستطيع أن يصل إلى الهدف بسلام.

ولربنا المجد الدائم أبدياً، آمين.

العظة الثالثة

الملكوت حركة باطنية

يوم الخميس من الأسبوع الأول من الصوم المقدس

«٢١ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: "هَلْ يُؤْتَى بِسِرَاجٍ لِيُوضَعَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ أَوْ تَحْتَ السَّرِيرِ؟ أَلَيْسَ لِيُوضَعَ عَلَى الْمَنَارَةِ؟ ٢٢لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ خَفِيٌّ لاَ يُظْهَرُ وَلاَ صَارَ مَكْتُوماً إِلاَّ لِيُعْلَنَ. ٢٣إِنْ كَانَ لأَحَدٍ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ!"

٢٤وَقَالَ لَهُمُ: "انْظُرُوا مَا تَسْمَعُونَ! بِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ وَيُزَادُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ. ٢٥لأَنَّ مَنْ لَهُ سَيُعْطَى وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ سَيُؤْخَذُ مِنْهُ".

٢٦وَقَالَ: "هَكَذَا مَلَكُوتُ اللَّهِ: كَأَنَّ إِنْسَاناً يُلْقِي الْبِذَارَ عَلَى الأَرْضِ ٢٧وَيَنَامُ وَيَقُومُ لَيْلاً وَنَهَاراً وَالْبِذَارُ يَطْلُعُ وَيَنْمُو وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ كَيْفَ ٢٨لأَنَّ الأَرْضَ مِنْ ذَاتِهَا تَأْتِي بِثَمَرٍ. أَوَّلاً نَبَاتاً ثُمَّ سُنْبُلاً ثُمَّ قَمْحاً مَلآنَ فِي السُّنْبُلِ. ٢٩وَأَمَّا مَتَى أَدْرَكَ الثَّمَرُ فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُ الْمِنْجَلَ لأَنَّ الْحَصَادَ قَدْ حَضَرَ"» (مر ٤: ٢١-٢٩).

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

حديثنا مستمر أيضاً في الصوم المقدس نضعه أمام كل إنجيل من أناجيل أيام الصوم. لقد تحدَّثنا في الأيام السالفة عن المسيحي كإنسان مهاجر، أو وُلد ليُهاجر. ليس له في الأرض مدينة باقية، والوطن هنا كخيمة تُفَكُّ وتُطوَى؛ أما المدينة الأبدية التي لها الأساسات التي بارئها وصانعها الله فهي الهدف.

أما إنجيل قدَّاس هذا اليوم، فهو يكشف سرّاً من الأسرار العميقة جداً لملكوت السموات، فهو يصف الملكوت بصورة سرِّية، سرِّية للغاية. سرية بمعنى mystical أي فائقة للإدراك العقلي، إنها صورة عن الملكوت: كيف يبدأ؟ وكيف ينتهي؟ والمسافة بين الاثنين. أما كيف يبدأ؟ فهذا يعني رحلة الخلود أو الانطلاقة الأولى، وهي الحركة الأولى التي يبدأ بها الطريق إلى السماء.

✝ ويقول إنجيل قدَّاس هذا اليوم: «**هكذا ملكوت الله كأن إنساناً يُلقي البذار على الأرض**».

✝ هذه هي الحركة الأولى التي وضعها المسيح في نفسه حينما قال: «إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير» (يو ١٢: ٢٤). وفي موضع آخر شُبِّهت القيامة أيضاً بالحبة: «يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد... الله يُعطيها جسماً كما أراد» (١كو ١٥: ٤٢، ٣٨). حبة الحنطة عندما نرميها في الأرض يكون لها شكل، ولكن عندما تنبت يكون لها شكل آخر، أو بحسب قول بولس الرسول: «الله يُعطيها جسماً كما أراد. ولكل واحد من البذور جسمه» (١كو ١٥: ٣٨).

الحركة الأولى:

✝ **هي حركة الملكوت، حركة البداية في الطريق إلى الملكوت**، وهي حركة صعبة مُرَّة، يُعانيها الإنسان المُخلِص والجاد في المسير، معاناة شديدة وعنيفة جداً. كما عبَّر المسيح عن نفسه أنه ينبغي أن يقع في الأرض ويموت ويُدفن، هذه هي حركة الملكوت الأولى.

✤ **حركة الحياة الأبدية تبتدئ من هنا: موت، إنكار ذات.** حركة ليس فيها أي مظهر جمالي إطلاقاً، بل فيها حزن. عبَّر عنها المزمور في موضع آخر وقال: «الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج» (مز ١٢٦: ٥). الباذر يزرع دائماً بالدموع، فالفلاح يقترض كيلتين غلَّة لكي يزرع قيراط أرض، وهو يبذر البذار كلها في الأرض، ثم يذهب بعد ذلك إلى بيته. فإذا لم تَنمُ البذار ويطلع القمح فسوف يخسر كل ما يملك، لأن كل ما لديه قد سبق أن بذَرَه في الأرض. فهذه الحركة، في الحقيقة، حركة لا تحمل أي تشجيع ظاهري. هذه هي حركة الملكوت الأولى، ولذلك ينفضُّ عنها الكثيرون. وإذا انفضَّ الإنسان عن الحركة الأولى، فمستحيل أن يبلغ الهدف. إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُت، فلا يمكن أن تكون سنبلة في يوم من الأيام، وبالتالي لن يوجد حصاد.

صحيحٌ أن هذه الحركة حركة جزئية، يزرع فيها الفلاح بالدموع، ولكن تصوَّروا في نهاية المطاف هذا الفلاح عينه سيرجع وقد حمَّل العربات بالغلَّة، والفرح يغمره - كما يصفه مزمور ١٢٦ - وهو حامل في أحضانه الأغمار. الحصاد يكون بفرح وتهليل، ولكن بداية هذا الفرح تكون دائماً حزناً، يبتدئ بألم وبانسحاق. هذه هي، في الحقيقة، الخلفية التي نتحرك عليها في الصوم المقدس.

✤ **الصوم المقدس هو عملية إماتة بالإرادة،** عملية تطبيق عملي لمفهوم حبة الحنطة التي تقع في الأرض وتموت بإرادتها. هذه هي الحركة الأولى الحزينة في باطن الأرض بلا أي منظر أو أي عائد مشجِّع، **إلاَّ الرجاء.** ويعود إنجيل هذا اليوم ويتحدث باستطراد: «كأن إنساناً يُلقي البذار على الأرض، وينام». كلمة "ينام" كلمة جميلة ومُريحة. فبعد العناء

الذي عَبَرَ عليه الفلاح بمنتهى السرعة في أحزان، وقد اقترض كيلتين قمح، وبتعبٍ ودموع حرث الأرض وحدَّد الخطوط، ثم زرع، فإنه يرجع بعد ذلك إلى بيته وينام. هذا الفعل "**ينام**" الذي جاء في الإنجيل، يفيد "**الاستقرار**" وليس التغيير، ولذلك يرجع الفلاح إلى بيته بعد أن يبذر البذور و"**ينام**". هذا التصوير لهذا الفعل جميل جداً من أبدع ما يكون. فإذا ابتدأنا هذه البداية الصعبة، هذه الحركة الأولى للملكوت، فإننا سنشعر في الحال براحة، فيأتينا الاستقرار الروحي الداخلي، ونشعر بالراحة العميقة جداً إذا أكملنا العمل الأول وهو الأصعب والمستحيل.

إنكار الذات هو جَحْد، إهلاك، للذات:

إنكار الإنسان ذاته في هذا العالم وفي هذا الزمان شيء غالٍ وثمين جداً. ولكن إنكار الذات ليس فقط أن يُنكرها الإنسان، بل "**يجحدها**" (كما ورد في موضع آخر من الإنجيل)، وفي موضع ثالث يقول المسيح: "**يُهلكها**". هذا واضحٌ جداً من مَثَل "حبة الحنطة"، ولكن ثقوا أن هذه الحبة وهي تموت بالفعل، إلاَّ أنها بقدر ما تموت تحيا، بقدر ما تتغيَّر عن شكلها كقمحة، ستأخذ شكلاً جديداً كجسم جديد يحمل الرجاء كل الرجاء.

✤ أنا أُركِّز هنا على كلمة "**ينام**" التي تتبع عناء الفعل الأول أو الحركة الأولى نحو الملكوت، التي هي إنكار الذات، التي هي الصوم، التي هي الأعمال التي تكلَّمنا عنها في أناجيل الأيام السالفة بكل أعماقها.

الطريق إلى الملكوت لا يحتمل العِراك:

✤ في إنجيل اليوم الأول: تحدَّث عن التلاميذ عندما كانوا يتشاحنون في الطريق عمَّن هو أعظم! ولكن هذا العِراك لا ينفع لمن يسير في

الطريق. الطريق لا يحتمل العِراك، الطريق لا يحتمل مشاحنة إطلاقاً. الطريق الضيّق طريق سلام ومُسالمة، لا يحتمل أن يسير فيه الإنسان دون أن يُسالم الآخرين. فالطريق إلى ملكوت السموات لا يحتمل نزاعاً أبداً.

ثم يتكلّم الإنجيل عن المحبة كسلاح قوي جداً، فإننا بالمحبة نُحطّم كل العوائق التي تُقابلنا في حياتنا؛ وخصوصاً محبة الأعداء، لأن أكبر عائق سيواجهنا في مسيرتنا إلى الملكوت هم الأعداء والمنازعون لنا على الطريق، فهم لا يريدون لنا أن نصل إلى الملكوت، ويكرهون ذلك. فبماذا نواجههم؟ ليس بالحرب، ولا بالسيف، ولا بالمنطق، ولا بالكلام، أبداً؛ **وإنما بالمحبة نحتوي العدو**. كما إذا انغرست شوكة في عضو من أعضاء الجسم، فإنه يحتويها ويُليِّفها ويتجاوزها من أجل أن تحيا بقية الأعضاء. بالمحبة نستطيع أن نغلب، وبدون المحبة لابد أننا سنُغْلَب ونُهزم.

في أناجيل الأيام الثلاثة السالفة، كان الكلام عن أسلحة الطريق، ومعونات المسافر أو المهاجر. فهنا يتكلّم عن الطريق كله في ثلاث حركات كما قلت سالفاً.

الحركة الأولى: هي المتعبة جداً في مسيرتنا في الطريق، وهذه ذكرناها سالفاً.

الحركة الثانية:

✠ يصف الإنجيل هذه الحركة وصفاً بديعاً جداً. فالإنسان ينام بعد كل ما عاناه من أتعاب في بَذْر البذار، ثم يقوم. فالنوم هنا ليس نوماً مستمراً لئلا يصير الاسترخاء عنصراً سائداً في حياة الإنسان المسيحي المهاجر إلى الملكوت، وهذا مستحيل، لا يمكن أن يكون. فبعض النُّسَّاك

يحدث لهم تزييف في الرؤية، ويعتقدون أن النسك والعبادة والرهبنة والطريق إلى الملكوت فيها استرخاء، أي مجرد ابتعاد عن العالم، وراحة ونوم، ويكفيهم أنهم يُصلُّون. لا، فالإنجيل يقول عن الزارع إنه: «**ينام ويقوم ليلاً ونهاراً**». الليل والنهار تعبيرٌ ضمني سرِّي mystical عن النور والظلمة، عن الراحة والتعب، عن السلام والضيق.

✠ «**وينام ويقوم ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو**»، ذلك ما دام الإنسان قد مات عن ذاته، وأنكر ذاته، واستطاع أن يصل إلى الحدِّ الذي فيه يستطيع أن يحسّ فعلاً أن ذاته غير محسوبة عنده، كما قال بولس الرسول: «لستُ أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي» (أع ٢٠: ٢٤). عندنا شهادة من رسول كان فرِّيسيّاً متكبِّراً متعظِّماً بناموسه وبحفظه، وبإمكانياته ودرجاته وشهاداته، وعضويته في السنهدريم، حتى أنه استطاع أن يقول: «لستُ أحتسب لشيء، ولا نفسي ثمينة عندي». هذا الرسول إنسانٌ استطاع أن يبلغ فعلاً إلى إنكار الذات. فالذي ينكر ذاته ينمو، ولكنه نمو عجيب جداً، لا تراه ولا تحسُّه، يُعبِّر عنه الإنجيل ويقول: «**والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف؟**». مَن هو هذا الذي لا يعلم؟ إنه الفلاح: «**ينام ويقوم ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم (لا يشعر) كيف؟**». كلمة "يشعر" تأتي في الأصل اليوناني "يعلم": «وهو لا يعلم»، بمعنى أنه غير مُدرِك، وهي تأتي هنا من الشعور. والآباء دائماً يمزجون ما بين المعرفة بالعقل والمعرفة بالقلب، الفهم بالذهن والإحساس بالشعور. هذا رائع، لأن الكلمتين متقابلتان.

✠ «**والبذار يطلع وينمو وهو (أي الفلاح) لا يعلم (لا يشعر) كيف؟**». **لا يمكن أن تشعر في يوم من الأيام أنك تنمو في القامة**

الروحية، فمن الممكن أن ذلك النمو يراه غيرك من الناس، أما أنت فمن المستحيل أن تشعر بذلك. ولكن نتيجة هذا النمو ستظهر لك في نهاية المطاف.

✣ **«والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف؟ لأن الأرض من ذاتها تأتي بثمر»**. الأرض من ذاتها تُخرِج أولاً العُشب، الذي هو الزرع أو النبات، ثم السُّنبل، ثم الحنطة ملآنة في السُّنبل: **«الأرض من ذاتها تأتي بثمر. أولاً نباتاً، ثم سُنبلاً، ثم قمحاً ملآن في السُّنبل»**. فهناك ثلاث درجات من النمو للذين يسيرون في الطريق: العشب (وهو الجزء الأخضر: النبات)، ثم السُّنبل (الزهرة)، ثم القمح ملآن في السُّنبل.

الحركة الثالثة:

✣ **ثلاث درجات لابد أن نعبُر عليها في مسيرتنا**، وفي بعض الأحيان يختلط الأمر على الإنسان ويتحيَّر، ويأتيني مَنْ يقول: **"يا أبي، أنا لا أنمو، بل ومتوقِّف في الطريق. ومن البيِّن أنني لا أصلح لهذه الحياة الروحية"**. وعندما أسأله: لماذا؟ يجيب ويقول: **"إنني لا أنمو أبداً"**. تماماً مثل الفلاح الذي يُمسك في يده مسطرة ويبدأ يقيس طول الزرع كل يوم. وفي يوم من الأيام، يرى أن النبات لا ينمو: ثاني يوم، ثالث يوم، أول أسبوع، ثاني أسبوع، ثالث أسبوع، والنبات لا ينمو أبداً، توقَّف عن النمو. فيهرول إلى جيرانه ويقول لهم إن الزرع قد مات. ولكن يقوم فلاح عجوز مختبر ويقول له: "لا، لم يَمُت الزرع. ولكنه ينمو بطريقة أخرى". فيعود الفلاح الشاب ويقول: "كيف؟". فيردُّ عليه الفلاح العجوز: "اذهب باكراً وسوف ترى بعينيك". فيذهب هذا الفلاح إلى الأرض

ويجد أن السُّنبل قد ظهر، ابتدأ ينمو ولكن الطول متوقِّف، لم يَعُد ينمو بعد، ولا ملليمتراً واحداً.

فهذه درجات طريق الملكوت: **تقف الواحدة لتبتدئ الأخرى**، تَكمُل الواحدة وتبدأ الدرجة الثانية. فطول النبات سيتوقف، ولكن بعد ذلك سيظهر الزهر. والزهر نفسه سيتحول بعد حينٍ إلى لون آخر.

✣ والإنسان غير المختبر روحياً، يجد نفسه - في وقت من الأوقات - ليس كما كان قبلاً عندما كان نشيطاً متهلّلاً ليلاً ونهاراً، في فرح وسرور، وهو الآن بدأ يتوقَّف في الطريق: **ضيق، اختبار تخلّي النعمة**. لكن كل هذا نمو، ولكنه نمو بطريقة أخرى. كالفلاح الجاهل الذي يرى القمح الذي زرعه قد تحول إلى اللون الأصفر، ومن جهله يصرخ ويقول: "داري قد خرب، الزرع مات". ويذهب إلى زميله الفلاح العجوز ويشكي له. لكن هذا الفلاح العجوز يقول له: "خلاص، الجُرن قرَّب يشتغل" (أي أن الجرن الفارغ الذي سيحوي حصاد القمح قد قارَب أن يمتلئ). فيقول الفلاح الشاب: "كيف؟". يردُّ عليه الفلاح العجوز: "الزرع اصْفَرَّ، يعني القمح نما، وملأ السُّنبل". فيتساءل الفلاح الشاب: "معنى هذا أنه حي"، فيقول له: "نعم، حيٌّ. لكن إياك أن تسقيه". فالإنسان السائر في الطريق لا يعود يشرب من التعزيات التي كان يشرب منها في صباه وفي شبابه، فهو يصوم ولكنه يتهلَّل تهليلاً داخلياً لينمو نمواً آخر، لثمرٍ آخر. **هذه هي الحركة الثالثة**.

مُلخَّص الحركات الثلاث:

الحركة الأولى: قلنا عنها إنها موت. فيها حزن، فيها ظُلمة في باطن

الأرض. ليس فيها أي عزاء، ولا فيها أي شكل من أشكال الرجاء أبداً، إنما الرجاء داخلي.

الحركة الثانية: قلنا عنها من جهة الفلاح، لأن ملكوت السموات يشمل الكل: الزرع المزروع والفلاح أيضاً، لأن كثيرين يخطئون عندما يأخذون هذه الأمثلة ويفصلون بعضها عن البعض الآخر، فتضعف قوتها ومعانيها. ولكنك في نهاية المطاف ستجد هذا الفلاح هو نفسه الذي يحصد ويفرح. الحركة الثانية، ينام فيها الفلاح ويقوم ليلاً ونهاراً، والزرع ينمو ويطول.

الحركة الثالثة: هي قمة الفرح: «وأما متى أدرك (الفلاح) الثمر، فللوقت يُرسِل المنجل، لأن الحصاد قد حضر»، ويبتدئ يستعين بالغلمان ويستأجر الأولاد، ويفرح ويُنشد الأناشيد. فعندما ينظر إلى الأرض، يقول: "الأرض في هذه السنة جيدة"، فتنفرج أساريره، ويبدأ يجمع القمح بفرح، وتمتلئ أحضانه من الحصاد. الحركة الثالثة فرحٌ ومسرَّة، ولكن: هل يمكن أن تأتي الحركة الثالثة بدون أن تبدأ أولاً الحركة الأولى؟ هذا أمرٌ مستحيل!

هذه هي الدرجات الثلاث: عشب، سنبل، وقمح ملآن في السُّنبل.

هنا على الأرض نزرع، أيامنا هنا نزرع وننمو، ولكن نمونا لا يكون ظاهراً لنا. قد يظهر للآخرين، ولكن **أهم شيء هو الحركة الأولى:** كيف نقع (مثل حبة الحنطة) بإرادتنا ونموت على أرضنا هذه، لكي ننمو سرِّياً في مسيرتنا على الطريق الصاعد إلى السماء.

ولربنا المجد الدائم في كنيسته من الآن وإلى الأبد، آمين.

العظة الرابعة

يقينية استجابة الله للصلاة

يوم الجمعة من الأسبوع الأول من الصوم المقدس

«١وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ لَمَّا فَرَغَ قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: "يَا رَبُّ عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضاً تَلاَمِيذَهُ". ٢فَقَالَ لَهُمْ: "مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ. ٣خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ ٤وَاغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَا وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ".

٥ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: "مَنْ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ صَدِيقٌ وَيَمْضِي إِلَيْهِ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُولُ لَهُ: يَا صَدِيقُ أَقْرِضْنِي ثَلاَثَةَ أَرْغِفَةٍ ٦لأَنَّ صَدِيقاً لِي جَاءَنِي مِنْ سَفَرٍ وَلَيْسَ لِي مَا أُقَدِّمُ لَهُ. ٧فَيُجِيبَ ذَلِكَ مِنْ دَاخِلٍ وَيَقُولَ: لاَ تُزْعِجْنِي! اَلْبَابُ مُغْلَقٌ الآنَ وَأَوْلاَدِي مَعِي فِي الْفِرَاشِ. لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَقُومَ وَأُعْطِيَكَ. ٨أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لاَ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكَوْنِهِ صَدِيقَهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لَجَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ. ٩وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. ١٠لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ"» (لو ١١: ١ - ١٠).

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

حديثنا مستمر، يا أحبائي، عن الصوم. وفي الأربعة الأناجيل التي للأربعة الأيام السالفة كان يتركّز ذهننا على أن الصوم هو حركة داخلية، تبتدئ من العالم، ولكنها تتخطّى العالم. وقلنا إن أبسط صورة للصوم هي حياة

بلا طعام. حياة بلا طعام نحياها هنا في هذا الدهر، مع أن هذا الأمر لا يختص بهذا الدهر. فهذه، في الحقيقة، بداية أو حركة خفيفة نستطيع أن نعتبرها إطلالة على الوطن الذي نحن ذاهبون إليه. صحيحٌ أن هذه الرحلة ليست متكاملة، وقد صوَّرناها بطائر السِّمَّان المهاجر، ثم صوَّرها الإنجيل أيضاً بالزارع الذي ينقب الأرض ويبذر حبة الحنطة بالحزن والخوف. كما أن الطائر أيضاً يبتدئ رحلته من موطنه المعروف تاركاً عشه ليُهاجر في رحلةٍ لا يعرف مداها، بل لا يعرف منتهاها، تحوطها المخاوف.

"المجازفة" محور الحياة الروحية:

ولكن إنجيل هذا اليوم يُضيف إضافة جديدة على هذه الحركة، التي صوَّرناها أحسن تصوير في كلامنا بالأمس (الخميس من الأسبوع الأول من الصوم المقدس) بأنها حركة موت، لا يواكبها أي مظهر من مظاهر التشجيع أو التعزية، فهي كلها عبارة عن **مجازفة**.

وكلمة "**المجازفة**" هنا تُعتبر المحور السرِّي العجيب الذي تتحرَّك عليه الحياة الروحية بأجمعها. فنحن نُجازف بما في أيدينا لنأخذ ما ليس في متناول أيدينا، ولا في متناول فكرنا، نأخذ أكثر مما نفتكر، وليس ما نفتكره فقط بل وأكثر منه. فإنجيل اليوم يضع لمسة روحية على حركة الموت هذه. فحبة الحنطة لابد أن تقع في الأرض وتموت أولاً في مظاهر الحزن والخوف، وكذلك انطلاقة الطائر في هجرته، وهو لا يعلم ماذا سيُصيبه وإلى أين سيذهب! ويضيف إنجيل اليوم لمسة جديدة مختفية وراء ما سمعتموه.

"إنجيل صديق نصف الليل":

إنجيل اليوم يُعبَّر عنه دائماً على مستوى الوعظ وكل الكتابات بأنه:

"إنجيل صديق نصف الليل". وهذه النظرة تُخفي جمال وروعة كل المَثَل كما قَصَدَها المسيح. فالفكر السائد الشائع يُركِّز على فكرة واحدة هي "**اللجاجة في الصلاة**": فصديق نصف الليل ذهب إلى صديقه الذي كان نائماً يطلب منه أن يُقْرِضه ثلاثة أرغفة. والرجل الراقد في فراشه وأولاده في حضنه، وقد أغلق باب بيته بالترباس أو المزلاج؛ لا يستطيع أن يقوم في هذه اللحظة. وفي الريف، قديماً، كانت الدار تُغلق بالترباس خوفاً من اللصوص. وهو مزلاج طويل عريض يُغلِق الباب مع "ضُرَّابة" في السقف وأخرى في الأرض. فلكي يقوم صاحب الدار ويفتح الباب، فهذا يستغرق منه نصف ساعة مع صوت صرير شديد عند فتح ضِلفَتي الباب، كل هذا والخوف يُلازمه. لذلك في المَثَل الذي ذكره المسيح، قال الصديق الذي في الفراش للسائل: «الباب مُغلق الآن، وأولادي معي في الفراش. لا أقدر أن أقوم وأُعطيك».

والمسيح يُبرز هذه المناظر في وضعها الطبيعي، إذ يقوم الشخص الراقد في الفراش، ويُعطي السائل ما يريده، ويقول الإنجيل إن ذلك «**من أجل لجاجته**». لكن المسيح في نهاية المَثَل يقول: «وأنا أقول لكم: **اسألوا تُعطَوْا**». ولكنه لم يَقُل: "**لِجُّوا**"، بل «**اطلبوا تجدوا**»، «**اقرعوا يُفتح لكم**». فليس التركيز هنا على اللجاجة، لأنه يُضعف في نظرنا مركز الله كسامع للصلاة، كمَن يحتاج أن يُذكِّره الإنسان مرة أو مرتين، وكأنه مثل الإله البَعْل في العهد القديم أيام إيليا النبي: «وعند الظهر سخر بهم (بأنبياء البَعْل) إيليا وقال: ادعوا بصوتٍ عالٍ، لأنه إله. لعلَّه مُستَغرَق أو في خَلْوة، أو في سَفَر، أو لعلَّه نائم فيتنبَّه» (١مل ١٨: ٢٧). أما الرب إلهنا، فهو سامع الصلاة، وهو «القادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر

جداً مِمَّا نطلب أو نفتكر» (أف ٣: ٢٠).

"إنجيل صديق نصف الليل" يُركِّز على إيماننا
بيقينية استماع الله للصلاة:

ولكن، في الحقيقة، هذا الإنجيل يُضيف لمسة جديدة وهي: **يقينية استماع الله للصلاة، وليس فقط لزومية اللجاجة في الصلاة.** الأولى تهمنا بدرجة تُساوي الحياة أو الموت؛ ولكن الثانية لا تُضيف إطلاقاً على صفات الله شيئاً، ولا تُضيف لحياتنا شيئاً. وهكذا نفهم قانوناً جديداً للصلاة: فقانون الصلاة هو أن تُصلِّي، وتُصلِّي إلى أن يستجيب الله للصلاة. فإذا لاججتَ في الصلاة فأنت تُلاجج في الصلاة **على أساس: حتمية استجابة الله؛** وليس على ضعف الطلبة في أول مرة، ثم تأخذ صورة أقوى في ثاني مرة، ثم يتحنَّن الله في ثالث مرة، ثم تسحُّ الدموع من أعيننا في رابع مرة، إلى أن يستجيب الله ويقوم ويُعطي السائل ما يريد لأنه رجلٌ مسكين. تماماً مثل قصة قاضي الظلم التي فهِمَت على هذا الأساس، ولكنها تحمل مفهوماً أكثر بكثير مما نظنُّه (لو ١٨: ١-٨).

الله هو سامع الصلاة:

الله هنا سامع الصلاة، وقد ضرب هذا المثل (صديق نصف الليل) على المستوى الضعيف جداً والأقل جداً لكي نتنبَّه، فقال: «وإن كان لا يقوم ويُعطيه لكونه صديقه، فإنه من أجل لجاجته يقوم ويُعطيه قدر ما يحتاج». ولكنني سوف أضع لكم هذا المَثَل في وضع آخر، وسأُظهر لكم ما يقصده المسيح باختصار.

+ **«ثم قال لهم: مَن منكم يكون له صديق ويمضي إليه نصف**

الليل، ويقول له: يا صديق، أقرضني ثلاثة أرغفة، لأن صديقاً لي جاءني من سَفَر وليس لي ما أُقدِّم له».

والآن سوف أضع هذه الآيات في الوضع الذي يقصده المسيح: "فهل من المعقول (كأن المسيح يقول هذا الكلام) أنه يُجيب من داخل ويقول لصديقه: لا تتعبني. هل من المعقول يقول له: قد أغلقت بابي وأولادي معي في الفراش، لذلك لا أستطيع أن أقوم وأُعطيك. هل من المعقول في النهاية أن لا يقوم ويُعطي صديقه ما يحتاجه. فإذا لم يكن من أجل كل هذا، فمن أجل لجاجته يقوم ويعطي له ما يحتاجه"؟ فالرب نزل إلى مستوى أقل من المستوى المعقول. يعني ما يُريد الرب أن يقوله: **"هل من المعقول أنه لا يقوم ويُعطيه؟ مستحيل! هل من الممكن أن يسدَّ أُذنيه، ويقول أولادي في حضني؟ مستحيل! هل من الممكن أن يقول له: الباب مغلق، ونحن الآن في نصف الليل، والوقت متأخر، لا أستطيع أن أقوم وأُعطي لك؟ مستحيل"!**

فإذا افترضنا كل هذه المستحيلات، فإن الرب كأنه يقول: "صدِّقوني أنه من أجل اللجاجة يقوم ويفتح له ويُعطيه ما يحتاجه". وقد جئنا نحن وأخذنا المَثَل ليس على المستوى العادي فقط، ولكننا أخذناه على مستوى أقل من هذا المستوى العادي ووضعناه كمعيار، وقلنا إن صديق نصف الليل لابد أن يُلاجج. وعُدنا نقول إن اللجاجة حتمية ضرورية في الصلاة. وأنا أقول إنها ضرورية وحتمية، ولكنني أضع صورة مُكمِّلة لهذه الصورة، لكي أرفع من مستوى تصوُّرنا لله بالنسبة لنا، ومن جهة استجابته للصلاة.

فإن كانت اللجاجة مطلوبة، وهي مطلوبة فعلاً، **لكنها مطلوبة على أساس يقينية الاستجابة**. فأنت هنا عندما تُصلّي، وتستزيد في الصلاة، وفي اللجاجة في الصلاة؛ فأنت ستختبر قوة الله في الاستجابة. أو بمعنى آخر، الإنجيل يريد أن يُخبرنا أن الله لابد أنه سيستجيب. فإن داومتَ على الصلاة، فسوف ترى بعينيك كيف أن الله سيستجيب. فلا يصحُّ أن نقول إن اللجاجة في الصلاة ضرورية دون أن نُعطي الصورة المُكمِّلة لها من **يقينية استجابة الله للصلاة**. فالله ليس محتاجاً أن يُذكِّره أحد أو يلحَّ عليه، فهذه اللجاجة تخصُّنا نحن، لازمة لنا نحن فقط. لماذا؟ لكي نثق في **يقينية استجابة الله لصلاة أولاده**. لماذا؟ أُكرِّر ما قلته بالأمس وفي الأيام السالفة.

الحركة نحو الله تحمل إماتة الذات:

الحركة نحو الله حركة خطيرة فيها موت: "إماتة الذات" أو "إهلاك الذات". فالرب يقول: "إن لم تهلك ذاتك أو تنكر نفسك، فما من فائدة تحوزها". فهنا حركة إماتة للانتقال إلى الله؛ أو الهجرة من العالم الحاضر إلى العالم الآخر، تقوم على أساس: "إماتة الذات". وهذا أمر خطير ومستحيل بالنسبة للفكر البشري، وإن لم يسنده ما هو أقوى منه على المستوى المنطقي، سنخور. وبالتالي سيتعوَّق أي قديس في الانطلاق من تحت هذا القيد الحديدي لعدم معقولية أن الإنسان لابد أن يفقد كل شيء، ويبيع كل شيء، ويموت عن العالم، ويتبع المسيح، فيكون أمراً مستحيلاً.

فكل إنسان يستطيع أن يكسر هذا القيد، المُعتَبَر أنه مطلبٌ مستحيل، سوف يرى ويعرف ويذوق **يقينية استجابة الله للصلاة**. وقد أوصانا الرب بأن نقطع اليد ونقطع الرجل ونخلع العين إن كان كل هذا يُعثرنا،

فعلى أي أساس يكون هذا؟ معنى هذا أنَّ الرب يطلب منّا أموراً لا يمكن للعقل أن يقبلها.

ولكنه الآن (كما لو أن الرب يقول): "أنا أُعطيك أساساً لا يمكن لأية قوة في العالم أن تُضعفه أو تلغيه، والذي هو **يقينية استجابتي للصلاة، ويقينية استماعي لأنينك وصوتك وأنت سائرٌ في الطريق. فإن مُتَّ، فأنا أُحييك. وإن اتضعتَ ونزلتَ، فأنا أرفعك. وإن قطعتَ يدك، فأنا سأُعطي لك يداً منيرة في السماء تتعجَّب لها الملائكة. وإن مشيتَ في الطريق الصعب الضيِّق، فأنا سأُدخلك من أول يوم معي في نصيبي ومُلكي السماوي، وسترى بعينيك وتفرح حيث أنا موجود، لأنه حيث أكون أنا تكونون أنتم معي لتنظروا مجدي. أنتم الذين تعبتم معي في تجاربي، سأُعطيكم أن تجلسوا على كراسي وتدينون أسباط إسرائيل**"!!

في الحقيقة، إنَّ يقينية وجود الله، ويقينية استجابته للصلاة، ويقينية عطاء الله؛ هي التي على أساسها وُضِعَ الإنجيل. وهي التي على أساسها نحن نموت عن ذواتنا. وعلى أساسها نحن نترهَّب، وعلى أساسها نحن نصوم.

الصوم يحمل يقينية نوال قوة من الله:

من الممكن في الصوم، أنني أصوم وأموت، ولكن على أيِّ رجاءٍ أنا أصوم؟ على رجاء أن آخذ من الله قوة مائة بالمائة على قدر صومي. وأنا أصوم لكي أتذوق؛ أنا أهجر هذا الجسد لكي أدخل، ولو من على بُعد، ولو من خلال ظلال أو ضباب، في النصيب المعدِّ لي الذي هو أعظم من

خيرات هذا الجسد وأطعمته وملذّاته.

إذن، فالحياة مع الله تبدو في بدايتها صعبة ومستحيلة؛ كاستحالة وقوع حبة الحنطة في الأرض وموتها - بحسب المنطق - لكي تُعطي لي ثمراً كثيراً؛ وكاستحالة منطق الإنسان في تفكيره في الطائر الذي يُهاجر من روسيا لكي يصل إلى مصر ويتدفأ في جوِّها، ويصل في الميعاد المحدد وفي المكان المحدد دون أن يُخطئ الهدف قط. هذه في الحقيقة هي النقلة الأولى، الانطلاقة الأولى، المغروسة في غريزة الطائر والتي تسندها يقينية الوجود العام.

أمثلة من الظواهر الطبيعية:

يعوزني الوقت، لكي أُخبركم أن في العالم يقينية تشبه، ولو من بعيد، يقينية عمل الله واستجابته. مَن يستطيع أن يقول إن الشمس لن تُشرق باكراً؟ هذا أمر يستحيل حدوثه. مَن يقدر أن يقول إن الهواء سينحبس عن الأرض وإن المخلوقات كلها ستختنق؟ مستحيل. لأن الوجود تحكمه قوانين أو مجموعة قوانين لا تنتهي. وإذا دخلتم في معرفة العلم، ولكن ليس بالتخصُّص، فستجدون - في موضوعه العام - ما لا يمكن تصوُّره: كيف تنسجم قوانين الأحجام مع قوانين المغناطيسية، ثم قوانين المغناطيسية مع قوانين المسافات، ثم قوانين المسافات مع قوانين الضغوط، ثم قوانين الضغوط مع قوانين الحرارة، ثم قوانين الحرارة والضغوط والمغناطيسية مع عوامل دقيقة جداً تعمل في أجسام الخليقة. وكذلك في النواة الموجودة في الذرَّة، إنها قوانين مُذهلة حقاً.

هذه القوانين، يا أحبائي، يعوزها الآن مَن يُصالحها بعضها مع البعض

الآخر. وإذا وُجد العالِم الذي يُوفِّق ويرفق articulate القانون على القانون الآخر وينتظر نتيجة هذا التوافق، فسوف تنتج من هذا كله: "يقينية". ففي العالم توجد يقينية: يقينية الوجود، ويقينية امتداد هذا الوجود. إنها يقينية لا يمكن للعقل أبداً، من قريب أو من بعيد، أن يمسَّها. وبالرغم من ذلك، فإنَّ هذه اليقينية سوف تزول.

«السماء والأرض تزولان» بكل اليقينية التي فيهما، وأنا لا أقدر أن أُعبِّر عنها، لأنه يعوزني الوقت. والذي يقرأ، وهو ليس على مستوى العلم الكامل للتخصُّصات، سيُدرك أن هذه القوانين تنسجم بعضها مع بعض، وسينذهل من يقينية الوجود، وسيشعر بوجود الله. **فما بالك بيقينية الله!**

وعلى مستوى الحياة الحاضرة، فاليقينية تجعلنا نعيش ونتعايش، ويمكن لأي إنسان أن يُودِع نقوده في البنك الأهلي مثلاً، على يقين أنه بنك لا يمكن أن يُشهر إفلاسه؛ ويمكنني أن أثق في شخصٍ ما لأنه ذو أخلاق جعلتني أثق فيه. فيوجد أشياء في العالم تحيط بنا وتجعلنا نعيش على يقينية، وهذه اليقينية تجعلنا مرتاحين.

فأقول: هذه اليقينية إذا دُرست بتعمُّق، لذُهلنا من دقتها وشدَّتها. فما بالكم بيقينية الله! وهذه هي التي ستبقى لنا، وهذه هي التي تنقصنا الآن، ولم ندخل في أعماقها بعد. هذه اليقينية قد ضعفت وأُقصيت جانباً؛ حتى أمثلة المسيح التي تحوي في طياتها قوة مُذخرة، فهمها الشُّرَّاح وفكَّروا فيها على المستوى الأضعف وتركوا المستوى الأقوى، ويقولون إن هذا المَثَل هو "مَثَل صديق نصف الليل"، وليس "مَثَل يقينية استجابة الله للصلاة".

يقينية استجابة الله، في استحالة الظروف:

أما أنا فأقول بملء فمي: **هذا مَثل يقينية استجابة الله في استحالة الظروف**. ففي نصف الليل، أي عندما تشيخ، وأنت مملوء من الخطايا والضعفات، وعندما تكون قد صنعت كل الذنوب والآثام، واضعاً كل المستحيلات، كما ورد في الإنجيل : "الآن نصف الليل، والباب الآن مغلق، والأولاد في حضني، ولا يمكن أن اترك المختارين الذين معي لأقوم وأفتح لك"، ولكن بالرغم من كل هذا سيقوم في نهاية المطاف. وهكذا أنت لابد أن تتيقَّن من استجابة الله، رغم كل المستحيلات.

اللجاجة مع اليقينية في استجابة الله:

فالمثل، في الحقيقة، سُمِّي تسمية قد أضعفت مغزاه، وأنا اليوم أُضيف إضافة لحساب حياتنا، ولحساب الله. **فلابد أن تدخل إلى أعماقنا يقينية علاقتنا بالله** على مستوى السؤال منّا والإجابة الفورية منه. فالذي لا يجعل لنا استجابة فورية لطلبتنا، هو ضعف يقيننا من استجابة الله. إننا نُصلّي ونحن غير متيقّنين من استجابة الله لصلاتنا، وليس لأننا لا نلاجج. قد يذهب أحد الإخوة إلى أبيه الروحي، فيقول الأب الروحي له: "لابد أن تُلاجج. اذهب واستمر في الصلاة". فيقول له الأخ: "صلَّيتُ ولكنني متعب". فيقول له الأب الروحي: "صلِّ أيضاً". فيردُّ الأخ ويقول: "صلَّيتُ أيضاً، وما زلتُ في تعبٍ". وحينئذ يقول الأب الروحي له: "أنت ليس عندك يقينية باستجابة الله لصلاتك".

❖ وهناك قصة في بستان الرهبان عن أخ مبتدئ (وهو أنبا موسى الأسود) ذهب في ليلة واحدة إلى أبيه الروحي حوالي ١٢ أو ١٣ مرة،

وهو يستغيث من أن أفكار النجاسة قد أتعبته وأنه يشعر بعدم الارتياح، فماذا يفعل؟ حينئذ يُجيبه الأب الروحي: "اذهب وصلِّ. اضرب مطانيات". وبعد عدة مرات، أخذه إلى سطح الكنيسة، وقال له: "ماذا ترى؟" فرأى بالمنظر المعقول ناحية الشرق ملائكة كثيرين وقديسين؛ وفي ناحية الغرب رأى شياطين مفزعين. فقال له الأب الروحي: "مَن هو الأكثر؟" قال له: "الملائكة والقديسون". فقال له: "انزل الآن وارتاح وافرح". فنزل إلى قلايته وأخذ قوة وعافية. هذا مَثل بسيط ذُكِرَ في بستان الرهبان، يؤيِّد ضرورة إيماننا ويقيننا باستجابة الله.

فيقينية الله، ويقينية المساعدة، ويقينية وجود استجابة سريعة لنا، هذه هي التي تنقصنا، وليس اللجاجة! فاللجاجة ليست هي التي تُجيب الصلاة؛ **ولكن إيماننا بيقينية استجابة الله للصلاة**، يقينية العلاقة التي تربطنا بالله، هي التي تُجدِّد، هي التي تخلق، هي التي تُنمي، هي التي تُفرح، هي التي تجعل الإنسان يرتفع فوق ذاته، هي التي تدفع الإنسان لينطلق انطلاقة داخلية عميقة من هذا الوطن الذي نحيا فيه - باستمرار وكل يوم وكل لحظة - إلى الوطن السماوي.

ولربنا المجد الدائم إلى الأبد، آمين.

العظة الخامسة

دوام الاستجابة بدوام الصلاة

يوم الاثنين من الأسبوع الثاني من الصوم المقدس

«١وَقَالَ لَهُمْ أَيْضاً مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ: ٢"كَانَ فِي مَدِينَةٍ قَاضٍ لاَ يَخَافُ اللهَ وَلاَ يَهَابُ إِنْسَاناً. ٣وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ. وَكَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ قَائِلَةً: أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي. ٤وَكَانَ لاَ يَشَاءُ إِلَى زَمَانٍ. وَلَكِنْ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: وَإِنْ كُنْتُ لاَ أَخَافُ اللهَ وَلاَ أَهَابُ إِنْسَاناً ٥فَإِنِّي لأَجْلِ أَنَّ هَذِهِ الأَرْمَلَةَ تُزْعِجُنِي أُنْصِفُهَا لِئَلاَّ تَأْتِيَ دَائِماً فَتَقْمَعَنِي". ٦وَقَالَ الرَّبُّ: "اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي الظُّلْمِ. ٧أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَاراً وَلَيْلاً وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟ ٨أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعاً! وَلَكِنْ مَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الإِيمَانَ عَلَى الأَرْضِ؟"» (لو ١٨: ١-٨)

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

ما زلنا، يا أحبائي، في مسيرتنا فيما يختص بالصوم، نعود ونقول إنه حركة داخلية تبتدئ من هذا العالم لكنها تطلب ما وراء هذا العالم. صومٌ يبتدئ بالجسد وينتهي إلى ما وراء الجسد، وذلك كحركة حقيقية تفوق هذا الدهر نستطيع بها لا أن نصل فقط، ولكن أن ننظر منذ الآن ولو نظرة من خلال ضباب، إلى الحياة الأخرى.

تكلّمنا في إنجيل يوم الجمعة الماضي (من الأسبوع الأول من الصوم

المقدس) عن مَثَل صديق نصف الليل، وعرفنا أن المفسِّرين قد وضعوا له عنواناً مُبسَّطاً يحمل الصورة الأقل. أما الصورة الأكبر والأعظم والأعمق فتُترك لعمل الروح في داخل الإنسان، كما قال المسيح بكل وضوح وصراحة كمعيار للإنجيل كله: «لكم (للتلاميذ) قد أُعطِيَ أن تعرفوا أسرار ملكوت الله، وأما للباقين فبأمثال» (لو ٨: ١٠).

في الحقيقة، الإنجيل يحمل دائماً، وللوهلة الأولى، الصورة الأقل أو الأبسط للسائرين في بداية الطريق، ولكنه يحمل ما هو أعمق وأعمق للمداومين على المسير في الطريق وحتى البلوغ إلى الهدف.

في مَثَل صديق نصف الليل أُعطِيَ له (من بعض المفسِّرين) صفة اللجاجة، بمعنى الصديق الذي يُلاجج لكي يأخذ طِلْبته. ولكننا وجدنا، في الحقيقة، أن التركيز الأمثل في هذا المثل هو على الله نفسه الذي يستجيب للصلاة، لا بناءً على لجاجة، ولكن عن استعداد يقيني، لأنه سامع الصلاة، ولابد لسامع الصلاة من أن يستجيب.

هذا التفسير العميق للمثل يرتفع بالصلاة إلى المستوى الأعلى، والصلاة والصوم صِنْوان لا يفترقان، أو مسيرتان ملتحمتان: الأولى بالجسد (الصوم)، والثانية بالقلب (الصلاة). والاثنان يؤازران كل منهما الآخر.

وفي إنجيل اليوم يتكلّم الرب عن الصلاة، وقد وضع لها الإنجيل معياراً في بدايتها قائلاً: «**وقال لهم أيضاً مثلاً في أنه ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُملَّ**»، ثم استطرد الإنجيل في ذِكر المَثَل. وهو، في الحقيقة، يتمشَّى مع الفكر البسيط الأقل. وقد فهمناه على المستوى الأقل. أما اليوم

فسنُعطي لهذا المَثَل الصورة المُكمِّلة أو الأعمق.

+ «**كان في مدينةٍ قاضٍ، لا يخاف الله ولا يهاب إنساناً. وكان في تلك المدينة أرملة**».

طبعاً كلمة "أرملة" تشير إلى أمرين: إنها ضعيفة في ذاتها، وليس لها سند، وقد أتت إلى القاضي قائلة: «**أنصفني من خصمي**». لها خصم، لها غريم، والوضع أكثر بكثير من مجرد طلب ردِّ حقٍّ ضائع سواء كان مالاً أو خلافه. «**أنصفني من خصمي**»، لها خصم يجور عليها جَوْراً فائقاً على المنفعة المادية. ولكن القاضي «**كان لا يشاء إلى زمانٍ**». الزمان هنا ليس زماناً محدَّداً.

هذا المَثَل لا ينطبق على الطلبات المادية:

+ «**ولكن بعد ذلك قال (القاضي) في نفسه: وإن كنتُ لا أخاف الله ولا أهاب إنساناً. فإني لأجل أن هذه الأرملة تُزعجني، أُنصفها**».

هنا بدأ يظهر من خلال هذا المَثَل أن المسألة كلها ليست مسألة خلاف على مال، لأنه يوجد شخصٍ ما يتعدَّى على هذه الأرملة، يتعدَّى على حياتها، مما جعل حياتها في خطر. فالمسألة هنا ليست مجرد ردِّ حقوق، ولكنه تعدٍّ على حياة هذه الأرملة.

+ «**فإني لأجل أن هذه تزعجني، أُنصفها لئلا تأتي دائماً فَتَقْمَعَني**».

كلمة "**تقمعني**" في اللغة اليونانية تعني: "تُسيء إلى أعصابي".

❖ ثم قال الرب: «**اسمعوا ما يقول قاضي الظلم. أفلا يُنصف الله**

مختاريه (أو بالترجمة الأدق: "أفلا ينتقم الله لمختاريه") **الصارخين إليه نهاراً وليلاً**».

ونحن على مدى عمرنا، أخذنا هذا المَثَل على أنه يُركِّز على اللجاجة في الصلاة. فإذا طلبنا شيئاً ما فعلينا أن نُلاجج كثيراً كالأرملة: من أجل ابن متعثِّر في الامتحان، ابن مريض، أخ سقيم، شئون عامة، شئون خاصة، شئون كنسية. كل هذه نطلبها على مستوى اللجاجة. فنطلب من أجل أشياء متعثرة، ونُلاجج من أجلها كضرورة مثل لجاجة الأرملة. هذا هو ما فهمناه من هذا المَثَل.

ولكن الإنجيل يحمل لهذا المَثَل معنًى يكاد يكون مختلفاً عمَّا فهمناه، فهو أعلى وأعمق إلى الدرجة التي لا يمكن فيها المقارنة بين المعنيين. «أفلا ينصف الله مختاريه». مِمَّن يُنصفهم؟ فهؤلاء هم مختاروه! وهم صارخون إليه «نهاراً وليلاً». والإنجيل جعلها مفتوحة وغير محدَّدة بزمنٍ ما.

المعنى بدأ يتضح: "**أفلا ينتقم الله لمختاريه**" - وكما قلتُ سابقاً - مِمَّن ينتقم؟ هل للمختارين أعداء؟ هل لهم طلبات؟ يقول القديس مار إسحق: "لا تطلب الحقيرات من العظيم لئلا تُهينه". وقال أيضاً: "هل من الممكن أن تطلب من ملك كيلة رِسمال (أي سماد)؟ فإنه يقتلك". وهكذا **لا يُطلب من الله الأمور التافهة الصغيرة: أمور العالم المادية، ولكن نطلب منه الروحيات دائماً**.

"أفلا ينتقم الله لمختاريه الصارخين إليه نهاراً وليلاً". هل يصرخون لأنهم يطلبون طلباً؟ أولاً هؤلاء مختارون، ما الذي يطلبونه؟ هل يطلبون أموراً مادية؟ هذا أمرٌ مستحيل مع كلمة "الصارخين"! لأن الطلب المادي

لا يتناسب مع الصراخ. أي أن الطلب المادي بالنسبة **لإنسان مختار يطلب ملكوت الله** لا يتناسب أبداً مع كونه مختاراً. لا يمكن أن يَصرخ من أجل أمور مادية تافهة، نهاراً وليلاً. ولكن **صراخ المختار يكون من أجل أمور تختص بالحياة الأبدية كلها مثل الأرملة.**

معنى تمهُّل الله:

+ **«وهو (أي الله) مُتمهِّل عليهم».**

هل هذا التمهُّل بقصد أن يُزيدوا من الصلاة؟ لا، طبعاً. فالله متمهِّل لأن التمهُّل هنا هو أساسي **بالنسبة لله نفسه**، وليس أساسياً بالنسبة لنا نحن. هو متمهِّل لأن هذه هي طبيعته أنه "**طويل الأناة**". الله متمهِّل ليس لأنه ينتظر منَّا لجاجة لكي نُخرجه من طبعه، مثلما لاججت الأرملة فأخرجت القاضي عن طبعه. لكن الله ليس قاضياً ظالماً ينتظر منَّا لجاجة من هذا النوع فيتغيَّر طبعه.

وقد أوضح سفر الرؤيا كيف أن التمهُّل أو الانتظار هو أساسي: «ولما فَتحَ الخَتم الخامس رأيتُ تحت المذبح نفوس الذين قُتلوا من أجل كلمة الله، ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم. وصرخوا بصوتٍ عظيم قائلين: حتى متى أيها السيِّد القدوس والحق، لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض. فأُعطوا كل واحد ثياباً بيضاً، وقيل لهم أن يستريحوا زماناً يسيراً أيضاً حتى يَكْمَلَ العبيد رفقاؤهم وإخوتهم أيضاً العتيدون أن يُقتلوا مثلهم» (رؤ ٦: ٩-١١).

+ **«أقول لكم: إنه يُنصفهم سريعاً».**

كلمة "**سريعاً**" كشفت بصورة واضحة أن الموضوع خارجٌ عن كونه

لجاجة في الصراخ. فالله يستجيب إن كان الأمر يستلزم الاستجابة، لأنه ينتظر شيئاً هاماً جداً. تمهُّل الله متعلِّق بأمور هو يعرفها، وليس بأمور تختص بنا نحن كأن نتعلَّم الصلاة أو نُزيد من اللجاجة.

«أقول لكم: إنه يُنصفهم سريعاً». طبعاً يُنصفهم، وبعد ذلك ينتقم لهم. "أفلا ينتقم الله لمختاريه". ومِمَّن ينتقم الله؟ وهل للمختارين عدو، وينتظرون من الله الانتقام منه؟ واضحٌ وضوح الشمس أن هذا المَثَل لا يختص بالصلاة من أجل أمور هذه الأرض كليَّةً.

إذن، فنحن من هذا المنطلق، داخلون في عمق موضوع الهجرة والصوم والانطلاقة البديعة المباركة من هذا الوطن الأرضي إلى الوطن الآخر السماوي، والمَثَل جاء في منتهى القوة والروعة.

وهذا الإنجيل بعد ذلك يكشف كل الموضوع في كلمة واحدة: "**ولكن**". هذه الكلمة هي عملية انتقال ضخمة جداً، حتى أنها عندما تأتي في اللغة اليونانية يكون معنى هذا الانتقال هو نقلة كبيرة جداً، مثل قول المسيح في نهاية المَثَل: «**"ولكن" متى جاء ابن الإنسان ألعلَّه يجد الإيمان على الأرض**». وهنا يتساءل المرء: لماذا أتت هذه الجملة في أعقاب مَثَل الأرملة وقاضي الظلم؟ هذا المَثَل الذي ذُكِرَت فيه: الطِّلبات، نهاراً وليلاً، ومفهوم اللجاجة في الصلاة.

خصمنا هو الشيطان:

أما المختارون فإنهم يصرخون إلى الله نهاراً وليلاً من أجل حياتهم الأبدية، لأن حياتهم في خطر، ذلك لأنَّ المُنتقِم (الشيطان) يشتكي ضدهم نهاراً وليلاً. وهو خصمٌ مُريع لا يريد لهم العبور أو الوصول،

وهو أيضاً خصمٌ لا يهدأ. مكتوبٌ عنه: «المُشتكي على إخوتنا، الذي كان يشتكي عليهم أمام إلهنا نهاراً وليلاً» (رؤ ١٢: ١٠). وأصبح من المحتّم على المختارين أن يصرخوا هم أيضاً نهاراً وليلاً ليخلصوا من هذا المنتقِم الجبّار، بينما يتمهّل الرب عليهم. فالمسيح مُتمهِّل، لأن الطريق طويلٌ لم ينتهِ بعد. وهذا التمهُّل يشمل الحياة كلها، من أول معرفة الإنسان ببداية الطريق إلى أن يُوضع في القبر. سيظل الله متمهِّلاً علينا، ولكنه سيستجيب سريعاً: «أقول لكم: إنه ينصفهم سريعاً».

❖ كل مرة تصرخ فيها لله، سواء بالنهار أو بالليل، يكون هناك استجابة. وفي مَثَل "صديق نصف الليل"، يقول الرب: «فكم بالحري الآب الذي من السماء يُعطي الروح القدس للذين يسألونه» (لو ١١: ١٣)، **روح الحياة الأبدية، الحياة الأخرى كلها**، والذي هو رأس مالها. والله منذ الآن يُعطي الروح القدس لكي نرتاح ونطمئن ونفرح ونأخذ التعزية الكاملة. «أفلا ينصف الله مختاريه»، ألا يُعطيهم الروح القدس. «أقول لكم: إنه ينصفهم سريعاً».

الأمر يتصل بحياة الدهر الآتي، وليس هذا الدهر:

+ «ولكن متى جاء ابن الإنسان ألعلّه يجد الإيمان على الأرض».

إذن، فالموضوع كله يختص بالأُخرويات (أي ما بعد هذه الحياة الأرضية)، إنه لا يتعلّق بهذا الدهر إطلاقاً. فهذا المَثَل يدور حول الملكوت الذي نسعى نحن إليه. وواضحٌ جداً أنه يشمل "**الدينونة**" أيضاً، الدينونة المزمعة أن تكون، والتي تبدأ منذ الآن. ولأن الشكوى علينا من الشيطان هي نهاراً وليلاً، لذلك أصبح لزاماً علينا نحن أيضاً منذ الآن أن

نصرخ نهاراً وليلاً أيضاً.

فالمختارون الصائمون الذين وضعوا أرجلهم على الطريق، يوجِّهون أعينهم وقلوبهم وأرواحهم نحو الوطن الآخر السمائي، بالرغم من أنهم الآن لا يرون شيئاً: «الذي وإن لم تَرَوْه (أي الرب يسوع المسيح) تحبونه. ذلك وإن كنتم لا ترَوْنه الآن لكن تؤمنون به، فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد» (١بط ١: ٨،٩). فنحن لا نرى الآن الرب يسوع، ولكن فرحنا به قائمٌ، ذلك لأن الروح القدس هو الذي يوصِّلنا إليه، ويهبنا فرحاً لا يُنطق به ولا يستطيع أحدٌ أن ينزعه منَّا، بالرغم من شكوى المشتكي علينا.

وهكذا فإني أُنبِّه ذهنكم لهذه الأمثلة الواردة في الإنجيل، أن النظرة إليها في البداية تكون نظرة بدائية بسيطة: «وقال لهم مثلاً في أنه ينبغي أن يُصلَّى كل حين ولا يُملُّ». فهذه هي النظرة البسيطة لإنسان يحيا حياته كالمعتاد. وعندما تتعمَّق في المَثَل تجد أن الإنجيل ينتهي إلى نظرة أعمق. فيقول و"**لكن**"، وهي كلمة نقلت المعنى نقلة كبيرة جداً، لكي ينتقل معها الفكر والقلب، وكذلك المثل كله، ويتم تطبيق هذا المثل تطبيقاً أعلى وأعمق: **«"ولكن" متى جاء ابن الإنسان ألعلّه يجد الإيمان على الأرض».**

❖ **فموضوع المَثَل يختص بالمجيء الثاني، يختص بالحياة الآتية.** إذن، فنحن مُطالبون بأن لا ينقص إيماننا أو تفتر صلواتنا قط نهاراً وليلاً، لا لأن الله في احتياج إلى لجاجتنا لكي يسمع كما لو أنه "قاضي ظالم"؛ ولكن لأن هذه هي حقيقة هذا الدهر - كما قلنا سابقاً، وذُكِر في بستان

الرهبان، وأقوال القديسين - أننا سائرون في طريق اللصوص. نحن مُعرَّضون للسرقة، أن تُسرق منَّا ثيابنا ونمشي عرايا، أي نتجرَّد من حياة التقوى.

فواضحٌ جداً أن هذا المَثَل يختص بالحياة الأخرى، التي نتَّجه إليها بصفة خاصة في هذا الموسم المبارك (موسم الصوم) بكل قلبنا ووجداننا وفكرنا وروحنا.

✣ ✣ ✣

لقد أخذنا من إنجيل يوم الجمعة الماضي معياراً صغيراً هو: "**يقينية الاستجابة**". أما إنجيل هذا اليوم فقد أخذنا منه: "**استمرارية الصلاة على أساس استمرارية الاستجابة**"، أي استجابة دائمة بدوام الصلاة. ليس بأن تُضاف الصلاة على الصلاة، لكي يبتدئ الرب بالاستجابة. لأن كل مرة نصرخ فيها إلى الله بالليل، يستجيب لنا بالنهار. وكل مرة نصرخ فيها إليه بالنهار، يستجيب بالليل. ونصرخ ليلاً ونهاراً، وهو يستجيب ليلاً ونهاراً إلى أن يكمل هذا الدهر.

ولربنا المجد الدائم إلى الأبد، آمين.

العظة السادسة

تبعية المسيح

يوم الخميس من الأسبوع الثاني من الصوم المقدس

«١٦وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: "أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟" ١٧فَقَالَ لَهُ: "لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا". ١٨قَالَ لَهُ: "أَيَّةَ الْوَصَايَا؟" فَقَالَ يَسُوعُ: "لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. ١٩أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ". ٢٠قَالَ لَهُ الشَّابُّ: "هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟" ٢١قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي". ٢٢فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِيناً لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ.

٢٣فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. ٢٤وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضاً: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ". ٢٥فَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ بُهِتُوا جِدّاً قَائِلِينَ: "إِذاً مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟" ٢٦فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ: "هَذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ وَلَكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ".

٢٧فَأَجَابَ بُطْرُسُ حِينَئِذٍ: "هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟" ٢٨فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَبِعْتُمُونِي فِي التَّجْدِيدِ مَتَى جَلَسَ ابْنُ الإِنْسَانِ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ كُرْسِيّاً تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاِثْنَيْ عَشَرَ. ٢٩وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَباً أَوْ أُمّاً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ. ٣٠وَلَكِنْ كَثِيرُونَ أَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ وَآخِرُونَ أَوَّلِينَ» (مت ١٩: ١٦-٣٠).

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين

نحن، يا أحبائي، نسير على الطريق، ونأخذ الإنجيل خلفية لنا في تأمُّلنا في موسم الصوم المقدس. إنجيل هذا الصباح يطرح سؤالاً مُلحّاً يُعتبر أساسياً في مسيرتنا نحو الملكوت، إن كنّا سائرين، لأن هذا يُعطي الإنجيل حدّاً فاصلاً. طَرْح السؤال هنا خطير للغاية، عندما تقدَّم واحدٌ وقال للرب: «**أيها المعلّم الصالح، أيَّ صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية**» (مت ١٩: ١٦). هنا ردَّ المسيح: «**لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحدٌ صالحاً إلاَّ واحدٌ وهو الله**». فالمسيح اعترض على كلمة "صالح"؛ تماماً كما اعترض الرب على نيقوديموس عندما جاء إليه ليلاً وقال له: «يا معلم نعلم أنك قد أتيتَ من الله مُعلّماً، لأن ليس أحدٌ يقدر أن يعمل هذه الآيات التي أنت تعمل إن لم يكن الله معه» (يو ٣: ٢)، وحينئذ ارتفع الرب بفكر نيقوديموس وفكرنا وفكر الدهور كلها: إن الأمر غير متعلّق بتعليم أو بمُعلّم، وإنما الأمر **متعلّق بالله وملكوت الله**: «**الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يُولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله**» (يو ٣: ٤).

معنى: ليس صالح إلاَّ الله وحده:

وعلى نفس المستوى، عندما سأل واحدٌ المسيح: «أيها المعلم الصالح، أيَّ صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟»، حينئذ استنكر المسيح على هذا الإنسان هذه الرؤية المنخفضة للمسيح نفسه. فبعض الآباء اعتَبَرَ أن اعتراض المسيح هنا هو اعتراضٌ لم يقبله على نفسه: أن يكون مُعلِّماً صالحاً، ذلك لأنه هو الإله الصالح.

والمسيح، في الحقيقة، أراد لنا أن نرتفع في الفكر وفي المفهوم الإنجيلي، إذ أنَّ المسيح يعترض أيضاً على النظرة المنخفضة التي ننظر بها إلى الملكوت، الذي نعتقد أننا يمكننا أن نصل إليه بأمور زمنية وأعمال أرضية. لذلك ردَّ الرب على مَن يسأله: «ليس أحدٌ صالحاً إلاَّ واحدٌ وهو الله». بمعنى أنه يجب أن ترتفع أولاً بفكرك إلى الله، هذا أولاً.

❖ وفي موضعٍ آخر يُنبِّهنا المسيح قائلاً: «لا يقدر أحدٌ أن يُقبِل إليَّ إنْ لم يجتذبه الآب الذي أرسلني» (يو ٦: ٤٤). هنا أيضاً يرتفع بنا المسيح عن مستوى نظرتنا فقط للمسيح كنظرة مُحدَّدة إلى النظرة المنطلقة إلى الله الآب أولاً. والله الآب هو الذي يفتح لنا المجال أو الطريق أو القلب، ويهب النعمة التي تجعلنا نُدرك عمق لاهوت المسيح. فالمجيء إلى المسيح هو، باختصارٍ شديد، عن طريق الآب. إنما الصالح واحدٌ، وهو الله.

الخطوة الأولى: حِفْظ الوصايا بالمحبة داخل القلب:

+ «**ولكن إن أردتَ أن تدخل الحياة (الأبدية)، فاحفظ الوصايا**».

هذه هي الخطوة الأولى: "احفظ". لم يَقُل الرب: "اعمل"، بل "احفظ" (keep)، «احفظ الوصايا»، احفظها في خزانة داخل قلبك، لأن القلب إما أن يكون مخزن الصالحات أو يكون مخزن الشرور. فإن عملت الوصايا فقط ربما لا تدخل الحياة، ذلك لأن الحفظ يؤدِّي إلى العمل، ولكن العمل لا يجعل الإنسان يحتوي معرفة الله في قلبه.

فقد يعمل إنسانٌ أعمالاً لا نهاية لها، ولا تُحسَب له، كما قال بولس الرسول: «وإن أطعمتَ كل أموالي، وإن سلّمتَ جسدي حتى أَحترِق، ولكي ليس لي محبة، فلا أنتفع شيئاً» (١كو ١٣: ٣). والمحبة طبعاً

موجَّهة إلى الله. هي فعل داخلي وليست عملاً ظاهرياً جسدياً. **الفعل الداخلي** هو الذي يعمل العمل في محبة محفوظة في القلب، وحينئذ يؤدِّي هذا العمل إلى الحياة الأبدية. ولكن إن لم تكن المحبة محفوظة في القلب أو نابعة من القلب، فمهما عَمِلَ الإنسان - كما قال بولس الرسول - حتى إلى بيع جميع الأموال أو تقديم الجسد حتى الاحتراق، فلا يُحسَب له ذلك شيئاً بدون المحبة.

المحبة هي الوصية الحافظة لكل الوصايا:

+ **وحينئذ سأل هذا الإنسانُ المسيحَ: «أية الوصايا؟»**

هنا لم يردَّ المسيح عليه بأنها الوصايا المحفوظة أي الوصايا العشر، وإنما عدَّد له هذه الوصايا: «لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأُمك»، هذه كلها واردة في الوصايا العشر؛ وإنما أضاف عليها المسيح: «وأَحِبَّ قريبك كنفسك». هذه الآية هي الوصية الحافظة لكل الوصايا، ويُسمِّيها العلماء الربِّيُّون: "**الآية المُكمِّلة لجميع الآيات**". وقد عبَّر عنها القديس بولس الرسول: «**المحبة هي تكميل الناموس**» (رو ١٣: ١٠). وهذا التعليم هو تعليم ربَّاني أي من تعليم المُعلِّمين الربِّيين الذين يُفسِّرون الناموس. فوصية «أحب قريبك كنفسك» وردت في سفر اللاويين (١٩: ١٨)، ولكنها لم تكن ضمن الوصايا العشر.

تبعية المسيح هي المُكمِّلة لعمل الوصايا:

+ **بعد أن عدَّد الرب الوصايا، قال له الشاب: «هذه كلها حفظتها منذ حداثتي»**.

ولكن إن كان هذا الشاب قد حفظ هذه الوصايا بالفعل، لكان قد

تقدَّم إلى المسيح كتلميذ وليس كواحدٍ يسأل: «أيَّ صلاحٍ أعمل؟». ولذلك أردف قائلاً: «فماذا يُعوزني بعد؟». في إنجيل القديس مرقس عندما سأل الشابُ المسيحَ: «أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟»، قال له الرب يسوع: «لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحدٌ صالحاً إلاَّ واحد وهو الله. أنت تعرف الوصايا: لا تزنِ، لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور، لا تسلُب. أكرم أباك وأُمَّك». فأجاب الشاب وقال للرب: «يا مُعلِّم، هذه كلها حفظتها منذ حداثتي»، «فنظر إليه يسوع وأحبَّه، وقال له: يُعوزك شيءٌ واحد» (مر ١٠: ١٧-٢١). وهو، في الحقيقة، الشيء الواحد الذي يُعوزه.

❖ إنجيل القديس متى دائماً يوضِّح ما جاء في إنجيل القديس مرقس، لأن إنجيل القديس مرقس كُتِبَ قبل إنجيل القديس متى: «إن أردتَ أن تكون كاملاً، فاذهب وبِعْ أملاكك، وأعطِ الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعالَ اتبعني» (مت ١٩: ٢٠). في إنجيل القديس مرقس، يقول الرب: «يُعوزك شيءٌ واحد» (مر ١٠: ٢١).

التفريط في كل شيء هو السبيل لتبعية المسيح:

فماذا يكون هذا **الشيء الواحد**؟ وما الذي يُوصِّل إلى الكمال؟ **«تعال اتبعني»**، هذا هو الشيء الواحد، وهذا هو الأساس، وهذا هو الكمال. أما اقتناء الأملاك، فهو المُعطِّل الذي يُعوِّق الإنسان لكي يكون كاملاً أو يُعطِّله لكي يتبع المسيح.

فإذا كان مجرد حفظ الوصايا وترديدها هو الذي يؤدِّي إلى تبعية المسيح، لكان الأمر سهلاً، ولكان هذا الشاب أصبح تلميذاً للرب؛

ولكنه حَفِظَ الوصايا حفظاً روتينياً، كما كنّا نردِّدها ونحن صغار. ولكن الرب كشف للشاب الأمر قائلاً: «**يعوزك شيءٌ واحد. اذهب بِعْ كلَّ ما لك وأَعْطِ الفقراء، فيكون لك كنزٌ في السماء، وتعالَ اتبعني حاملاً الصليب**» (مر ١٠: ٢١).

❖ ولكن لكي يتبع الرب، **لابد له أن يبيع كل أمواله**، «**فلما سمع الشاب الكلمة، مضى حزيناً، لأنه كان ذا أموال كثيرة**» (مت ١٩: ٢٢). **فاغتمام هذا الشاب، ليس لأنه كان ذا أموال كثيرة**؛ ولكن لأنه كان لابد عليه لكي يكون كاملاً أن **يبيع كل شيء**. فبَيْع كل شيء، هذا هو الاختبار والمحكّ الأساسي في إمكانية اتِّباع المسيح.

في مزمور الراعي، يقول المُرنِّم: «الربُّ راعيَّ فلا يُعوزني شيء» (مز ٢٣: ١). ولماذا لا يُعوزني شيء؟ لأني أسير خلف المسيح. «الربُّ راعيَّ»، معناه أن الربَّ سائرٌ أمامي وأنا أسير وراءه، تماماً مثل الحَمَل الذي يجري وراء راعيه، فهو يتبعه. فإذا كان الرب راعيَّ سائراً أمامي وأنا أتبعه، فحينئذ لا يعوزني شيء. فالتطبيق الرائع لهذا المزمور هو الذي قاله الرب للشاب الغني: «يعوزك شيءٌ واحد... تعالَ اتبعني». فلكي تضمن الدخول إلى الحياة الأبدية أو الملكوت، يجب أن تَتْبَع الرب.

اعتراضٌ، والرد عليه:

❖ لكن التلاميذ اعترضوا على هذا الكلام اعتراضاً لطيفاً، فقالوا للرب على لسان بطرس الرسول: «**ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا؟**» (مت ١٩: ٢٧). فأجاب الرب: «**إنكم أنتم الذين تبعتموني، في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده،**

تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر» (مت ١٩: ٢٨). ولكن أراد الرب أن يُنبِّه التلاميذ قائلاً: «**لكن كثيرون أوَّلون يكونون آخِرين، وآخِرون أوَّلين**» (مت ١٩: ٣٠). تماماً مثلما قال لهم في موضع آخر: «مَن أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً. ومَن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً» (مت ٢٠: ٢٦،٢٧). فإذا تمسَّك أحدٌ أن يكون هو الأول والكبير والعظيم، ولم يتوقَّع ماذا سيكون عندما يذهب إلى الملكوت، فإنه إذا افترضنا أنه سيذهب إلى الملكوت، فهو سيكون آخِرَ الكل.

تحذير من الافتخار بتبعية المسيح:

فما قاله المسيح في نهاية إنجيل اليوم هو عملية تحفُّظية في غاية الكمال والإبداع: «ولكن كثيرون أوَّلون يكونون آخِرين، وآخِرون أوَّلين». إذا وُضعت هذه الآية دون ارتباطها بما قيل قبلها، فإنها لا تُفهَم، فالرب يريد أن يُطبِّقها على الملكوت: «اذهب بِعْ أملاكك... وتعالَ اتبعني» (مت ١٩: ٢٠)، ليس كما أراد يوحنا ويعقوب ابنا زبدي عندما تقدَّمت أُمهما طالبةً من الرب: «قُلْ أن يجلس ابناي هذان: واحدٌ عن يمينك، والآخر عن اليسار في ملكوتك» (مت ٢٠: ٢٠،٢١)، فالأُم هنا أرادت لابنيها المجد والعظمة. فالرب يريد أن يضع أمامنا احتراساً تحفُّظياً، فحتى لو بعنا كل شيء وتبعنا المسيح، ثم طلبنا أن نكون أسياداً أو عظماء أو مُكرَّمين أو أصحاب مقامات أو فضائل؛ فحينئذ – إذا افترضنا وأن دخلنا الملكوت – فلن نكون أوَّلين بل آخِرين. فالجملة التحفُّظية التي وردت في نهاية هذا الإنجيل، تشرح لنا أنه إذا بِعنا كل شيء وتبعنا المسيح، فليس لنا فخرٌ في أنفسنا أبداً.

فالتلاميذ يبدو أنهم افتخروا بأنهم "تركوا كل شيء وتبعوا الرب"، ولذلك وضع الرب أمامهم هذه الجملة التحفُّظية. فأيُّ افتخار للتلاميذ حتى لو كانوا قد تركوا كل شيء، بالرغم أنهم أول مَن سار وراء المسيح، وأول مَن تألَّم من أجل الإيمان. ولذلك في إنجيل القديس مرقس، أضاف الرب: «... فيكون لك كنز في السماء، وتعالَ اتبعني، **حاملاً الصليب**» (مر ١٠: ٢١). فمَن يحمل الصليب، الصليب الحقيقي، وليس صليب الماس أو الذهب أو الذي يُعلَّق على الصدر، فسيضمن مائة بالمائة أن يكون في الملكوت.

حَمْل الصليب هو الاستعداد كل يوم للموت مع المسيح:

الصليب غير منظور إطلاقاً، هو محمولٌ في القلب، أن تكون مستعداً أن تموت مع المسيح كل يوم، مثلما قال بولس الرسول: «من أجلك نُمات كل النهار» (رو ٨: ٢٦). لم يَقُل: "نموت"، وإنما قال: «نُمات». فلأننا نُسلِّم حياتنا للمسيح، فإننا لا نموت، وإنما نُمات بواسطة النعمة أو بواسطة الروح القدس، الذي يُدخِلنا في مِحَن أو تجارب أو ضيقات، ونحن قابلون هذا.

فما قاله بولس الرسول: «**من أجلك نُمات كل النهار**»، يوضع بجانب ما قاله الرب: «**تعالَ اتبعني حاملاً الصليب**». وما قاله الرب: «ولكن كثيرون أوَّلون يكونون آخِرين، وآخِرون أوَّلين»، هو تنبيه لنا حتى **لا نطلب الأجر** على ما تركناه أو تنازلنا عنه، لأن الملاحَظ بحسب الواقع وحسب التاريخ، أنه ليس كل مَن ترك أمواله وتبع المسيح قد نال الخلاص، وليس كل مَن سار وراء المسيح استطاع أن يحمل الصليب، أو

يشهد للمسيح شهادة حسنة.

فكثيرون يطلبون أجراً على ما تركوه، ويُردِّدون: ماذا عمل لنا الرب على كل ما فعلناه؟ ولماذا لم ينتقم الرب لي من الذين ظلموني؟ ولذلك فإن إنجيل هذا الصباح يُعطينا إجابة واضحة على كل هذه التساؤلات: إن أردنا أن نسير على الطريق المُوصِّل إلى السماء، أو نهاجر من الوطن الأقل، المُشبَّه بالخيمة المصنوعة باليد والتي تُطوَى بالموت، إلى الوطن الأفضل السمائي غير المصنوع بيد؛ فعلينا أن نتنبَّه إلى العلامات الموضوعة على الطريق المؤدِّي إلى ملكوت السموات، بأن نحفظ الوصايا بالمفهوم العميق، أي نحفظها في الكنز الداخلي في القلب، وليس بالعمل الظاهري، ولكن في أعماق القلب.

هذه هي بداية الطريق. أما العمود الفقري الذي يحملك في الطريق، وليس أنت الذي تحمله، هو **أن تكون قد بعت فعلاً من كل قلبك كل شيء في هذا الدهر**، وتبعت المسيح بنية كاملة حتى الموت بحَمْل الصليب.

✝✝✝

فصل إنجيل هذا اليوم يُعتبر إنجيلاً مثالياً بالنسبة للموضوع الذي نتأمَّل فيه، وهو الصوم المقدس. فقد وضعه آباء الكنيسة المرتشدون بالروح القدس، لكي نتنبَّه ونحن في بداية الصوم، لكي نستوفي منهج الصوم وأساسياته: كيف نسير؟ وعلى أيِّ أساس؟ طوبى للإنسان الذي بدأ السير في الطريق حاملاً الصليب بعد أن باع كل شيء، وهو مستعدٌّ أن يبيع كل شيء باستمرار، حتى يضمن الوصول إلى الوطن السمائي.

ولربنا المجد الدائم إلى الأبد، آمين.

العظة السابعة

مؤهِّلات المسيرة في الطريق

يوم الجمعة من الأسبوع الثاني من الصوم المقدس

«٣٩وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً: "هَلْ يَقْدِرُ أَعْمَى أَنْ يَقُودَ أَعْمَى؟ أَمَا يَسْقُطُ الاِثْنَانِ فِي حُفْرَةٍ؟ ٤٠لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَلِّمِهِ بَلْ كُلُّ مَنْ صَارَ كَامِلاً يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ. ٤١لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ ٤٢أَوْ كَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لأَخِيكَ: يَا أَخِي دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِكَ وَأَنْتَ لاَ تَنْظُرُ الْخَشَبَةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ. يَا مُرَائِي! أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ.

٤٣لأَنَّهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَراً رَدِيّاً وَلاَ شَجَرَةٍ رَدِيَّةٍ تُثْمِرُ ثَمَراً جَيِّداً. ٤٤لأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا. فَإِنَّهُمْ لاَ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ تِيناً وَلاَ يَقْطِفُونَ مِنَ الْعُلَّيْقِ عِنَباً. ٤٥اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ. فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ.

٤٦وَلِمَاذَا تَدْعُونَنِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ وَأَنْتُمْ لاَ تَفْعَلُونَ مَا أَقُولُهُ؟ ٤٧كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلاَمِي وَيَعْمَلُ بِهِ ٤٨يُشْبِهُ إِنْسَاناً بَنَى بَيْتاً وَحَفَرَ وَعَمَّقَ وَوَضَعَ الأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ. فَلَمَّا حَدَثَ سَيْلٌ صَدَمَ النَّهْرُ ذَلِكَ الْبَيْتَ فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُزَعْزِعَهُ لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّساً عَلَى الصَّخْرِ. ٤٩وَأَمَّا الَّذِي يَسْمَعُ وَلاَ يَعْمَلُ فَيُشْبِهُ إِنْسَاناً بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الأَرْضِ مِنْ دُونِ أَسَاسٍ فَصَدَمَهُ النَّهْرُ فَسَقَطَ حَالاً وَكَانَ خَرَابُ ذَلِكَ الْبَيْتِ عَظِيماً"» (لو ٦: ٣٩-٤٩).

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

إنجيل هذا الصباح، يا أحبائي، يُكثر جداً من التشبيه والتوضيح فيما

يختص بالطريق المؤدِّي إلى الحياة الأبدية. وبالرغم من كثرة هذه التشبيهات، إلاَّ أنه لا يزال هناك احتياج لاستيضاح الغاية والهدف والطريق.

تعليم المسيح هو لكل وقت:

+ **«وضرب لهم (الرب) مَثَلاً»** (لو ٦: ٣٩).

ولكن ما هو التطبيق؟ هذا هو الذي يهمُّنا جداً في هذا الصباح، بل وفي كل يوم، طالما نحن نتحدث عن موسم الصوم المقدس، وعن تحرُّكنا الداخلي نحو الهدف الذي نسعى إليه في مسيرتنا. فالمسيرة ليست هي الحركة الظاهرية، ولكن هي مسيرة داخلية أعمق وأخطر. الطريق حقيقي والمسيرة حقيقية، ولكن أي طريق وأية مسيرة؟ هذه هي التشبيهات التي تُوضع أمامنا، لعلنا نستشف من ورائها حقيقة ما يحدث، لئلا نظل نسمع أمثلة ونشرح أمثلة دون أن نسير في الطريق. فما قيمة أن نأخذ المَثَل دون أن نصل إلى الهدف الذي من أجله وُضِعَ المَثَل؟

+ **«هل يقدر أعمى أن يقود أعمى؟»** (لو ٦: ٣٩)

في الحقيقة هذا افتراض غير معقول. ولكن هذا ما يحدث أحياناً، فإنَّ كثيرين مِمَّن يدَّعون القيادة الروحية للطريق المؤدِّي إلى الحياة الأبدية، أي طريق الخلاص، أي طريق الانتقال غير المنظور والحركة غير المنظورة من هذا الوطن الفاني إلى الوطن الباقي؛ على هؤلاء ينطبق هذا المَثَل: **«هل يقدر أعمى أن يقود أعمى؟»**. ومثل هذا الإنسان المدَّعي القيادة، وهو ليست له مسيرة داخلية في الطريق الروحي، ولا يعرف واجبات المسيرة، ولا يتصوَّر لنفسه الهدف الذي من أجله يسير؛ إلاَّ أنه للأسف مع كل

ذلك فهو يقود الآخرين!

مشكلة الحياة الأبدية اليوم في العالم كله تتركّز في القيادة، القيادة التي لا ترى، وبالرغم من عدم رؤيتها فإنها تقود. لا تعرف، وبالرغم من ذلك تُعلّم. الهدف ليس واضحاً أمامها، لا بكثير ولا بقليل، ولكنها تُشجّع السائرين نحو هدفٍ وهمي. لذلك صارت المسيرة شاقة جداً على السائرين، وصار التيه شيئاً لا يمكن تحاشيه. هل من الممكن أنَّ أعمى يقود أعمى؟ المسيح يئنُّ. والردُّ الطبيعي: ليس من الممكن أن يحدث هذا! لماذا؟ «**أَمَا يسقط الاثنان في حفرة**»، لأن الفخ الذي يُوضَع للأول سيقع فيه الثاني والثالث والرابع، وسيبقى هذا الفخ فخّاً في الطريق يُوقِع ويصطاد أجيالاً وراء أجيال.

القائد الروحي يتخذ المسيح قائداً له:

ثم يرتفع المسيح بالمَثَل إلى قوله:

+ «**ليس التلميذ أفضل من مُعلّمه**».

فليس من الممكن أن يسير إنسان في طريق المسيح ولا يتخذ لنفسه المسيح مُعلّماً وقائداً.

هنا يضع المسيح شرطاً أساسياً:

+ «**بل كل مَن صار كاملاً يكون مثل مُعلّمه**».

فالرب عندما أتاه الشاب الغني سائلاً: «ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية»، قال له الرب يسوع: «**يُعوزك شيءٌ واحد**» لكي ترث الحياة الأبدية. ما هو هذا الشيء الواحد؟ هل هو أن تبيع كل شيء فقط، أبداً؛ ولكن ما قاله الرب بعد ذلك: «**وتعالَ اتبعني**» (مر ١٠: ١٧-٢٢).

تبعيَّة المسيح ثمنها بيع كل شيء:

❖ **الشيء الوحيد الذي ينقصنا هو أن نتبع المسيح.** أما ما يقصده الرب من "بيع كل شيء"، فليس معناه أن الغَني لا يمكن أن يدخل ملكوت السموات. فعندما قال الرب لتلاميذه: «ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت السموات»، وعندما تحيَّر التلاميذ من كلامه، أجابهم قائلاً: «**ما أعسر دخول المتَّكلين على الأموال إلى ملكوت الله. مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنيٌّ إلى ملكوت الله**». فبُهت التلاميذ إلى الغاية «**قائلين بعضهم لبعض: فمَن يستطيع أن يخلُص؟**» (مر ١٠: ٢٣-٢٧). ما أوضحه الرب للتلاميذ أنه ليس الغَني هو الذي لا يدخل ملكوت الله، وإنما المُتَّكل على ماله، أي المتمسِّك بأمواله.

دخول ملكوت السموات يلزم أن يكون الإنسان خفيفاً:

عندما قال الرب: «**مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنيٌّ إلى ملكوت الله**»، فليس هذا كما يعتقد البعض أنه تهويلٌ! أبداً. هذا أمرٌ منطقي، ولكنه منطقٌ ليس قياسياً، منطقٌ عقلي. لماذا؟ لأن الجمل الذي يدخل من ثقب الإبرة[1] جملٌ نظيف، يدخل بمفرده ولا يحمل شيئاً، ولا يُمسِك بشيء. على نفس هذا القياس، فالإنسان الذي يُريد أن يدخل الملكوت، إذا كان مُمسكاً بشيء أو يجرُّ وراءه شيئاً، فإنه لا يستطيع أن يدخل. فالقول: «**ليس ملكوت الله أكلاً وشُرباً، بل بر وسلام وفرح في**

(١) "ثقب الإبرة" كان اسم أحد الأبواب في سور أورشليم المؤدِّي إلى داخل مدينة أورشليم، وكان ضيِّقاً ومنخفض السقف؛ لذلك، فلكي يدخل منه الجمل كان لابد من إنزال كل ما يحمله ليُمكنه الدخول من الباب بسهولة.

الروح القدس» (رو ١٤: ١٧)، يعني أنه إذا كان الإنسان مُمسِكاً في أبيه، فلا يقدر أن يدخل؛ أو مُمسِكاً في أُمه، فلا يقدر أن يدخل؛ أو مُمسِكاً في إخوته، فلا يقدر أن يدخل ملكوت السموات: «**إنَّ لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله**» (١كو ١٥: ٥٠).

يمكنني أن أُبسِّط لكم المَثَل، إذا كان إنسانٌ يضع في جيبه شيكاً بمائة مليون جنيه، فإنه سيكون خائفاً جداً. فهل يمكن لهذا الإنسان المتَّكل على ماله والخائف على ماله أن يدخل ملكوت السموات؟ فإنَّ الباب المؤدِّي إلى الملكوت بابٌ ضيِّق لا يحتمل أن يحمل الإنسان معه شيئاً أو يُمسِك بشيء. ولذلك قال الرب: «ما أعسر دخول المتَّكلين على الأموال إلى ملكوت الله». فما دام الإنسان متَّكلاً على ماله، أو متمسِّكاً بشيء، فإنه من غير الممكن أن يدخل ملكوت السموات. لابد لهذا الإنسان ألاَّ يُمسِك بشيء أو يتَّكل على شيء، هذا هو مفهوم "**مرور جمل من ثقب إبرة**"، إذ أنه جملٌ لا يحمل شيئاً أو يُمسِك بشيء. فهو أمرٌ منطقي، ولكنه منطق غير قياسي؛ وإنما على المستوى الروحي فهو صحيحٌ مائة بالمائة.

المقصود أن لا يتَّكل الغني على أمواله:

فماذا يعني هذا؟ يعني: إن الإنسان إذا كان نظيفاً ليس معه شيء، ولا يُمسِك بشيء مهما كان؛ فإنه يدخل إلى الملكوت. هذا ما قاله الرب للشاب الغني عندما سأله: «ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية». فأجابه الرب: «أنت تعرف الوصايا...». وعندما أجابه الشاب: «هذه كلها حفظتها منذ حداثتي»، «نظر إليه يسوع وأحبه». هنا المسيح يتواجه مع

الشاب الغني قائلاً له: «**يعوزك شيءٌ واحد... تعالَ اتبعني**». ولكن لكي تتبعني، وتدخل ملكوت السموات، لابد أن تبيع كل شيء، **ولا تتَّكل على شيء**، «فاغتمَّ على القول، ومضى حزيناً».

القديس يوحنا ذهبي الفم له عظة تُسمَّى: "الغني الذي سيدخل الملكوت"، وهي عظة رائعة. مَن هو الغني الذي سيدخل ملكوت السموات؟ طبعاً هو الغني الذي لا يتَّكل على أمواله، أو الذي لا يساوي المال عنده شيئاً؛ هذا هو الغني الذي يدخل الملكوت. ولذلك قال الرب: «لا يقدر أحدٌ أن يخدم سيِّدين» (مت ٦: ٢٤).

❖ **ما أسهل أن يدخل الإنسان غير المتَّكل على أمواله**، والذي لا يُمسِك بشيء، إلى ملكوت السموات. فلا يوجد في الأرض كلها مثيلٌ للنصيب المُعدِّ للمختارين، الذي هو «**فرحٌ لا يُنطق به ومجيد**» (١بط ١: ٨). كل جمال المسيح الذي سمعنا عنه، سوف نرى أضعاف أضعافه في السماء، مجد ووداعة وعظمة ومحبة وأُخوَّة وأُبوَّة وحقٌّ ينضح منه إلى أبد الآبدين، والحق الذي ينضح منه يستوعبه تابعوه بلا نهاية. لا حدَّ للمعرفة هناك في ملكوت السموات، ولا حدَّ للفرح. في هذا الدهر الفرح له حدود، وإنما هناك في الملكوت لا حدود للفرح. فليس خوفٌ هناك، فكلما فرحنا بالرب كلما ازددنا معرفة، وكلما ازددنا معرفة ازددنا فرحاً.

الحياة الأبدية حياةٌ مُبدعة جداً لا يمكن تصوُّرها. فإذا كان أعمى يقود أعمى، سيقع الاثنان في حفرة، فكيف يمكن لإنسان لم يسلك في طريق ملكوت الله، ولا يعرف هذا الطريق، ولا يملأ الحبُّ الإلهي قلبه؛

كيف يعمل من نفسه قائداً ليقود الناس إلى ملكوت السموات؟ هذه تكون كارثة كبيرة جداً؟! كيف يمكن لأعمى ليست له استنارة ولا معرفة ولا بصيرة، أن يدَّعي المعرفة، ويقود آخرين في طريق ملكوت السموات؟ فهو ليس عنده نور، ولا له خلاص، ولا له حياة، ولا عنده شفاءٌ أبداً!

ماذ يعوز الإنسان لكي يتبع المسيح؟

❖ الشيء الواحد «**يعوزك شيءٌ واحد**» لكي يصل الإنسان إلى الكمال هو أن يتبع المسيح من كل قلبه، هذا هو الكمال. وكما يقول الرب: «تعالَ اتبعني **حاملاً الصليب**» (مر ١٠: ٢٢). فكل مَن يتبع الرب ستُقابله ضيقات، ستواجهه اختبارات، سيدخل باباً ضيِّقاً، وسيسير في طريق كَرب. فالطريق إلى ملكوت السموات هو طريق باطني داخلي وليس طريقاً خارجياً. هو طريقٌ تسلك فيه بمفردك، فهل من الممكن أن يدخل أحدٌ داخلك وتسير معه في أعماقك، مهما كان هذا الإنسان: صديقاً، أباً، زوجاً، زوجة، أخاً، ابناً؟ من غير الممكن أن يكون هذا أبداً!

الطريق إلى ملكوت السموات طريق مفرد:

❖ طريق ملكوت السموات طريقٌ سرِّي، طريقٌ داخلي. لا يمكن أن يُشاركنا فيه إنسان، مهما كان عزيزاً لدينا. طريق ملكوت السموات طريق مُفرد، يستحيل أن يسير أحدٌ معك في داخلك. وهذا الطريق المؤدِّي إلى ملكوت السموات لابد أن يكون له قائد. وبدون القائد لا تستطيع أن تمشي خطوة واحدة. **والقائد طبعاً هو المسيح**، هو القائد الكامل لحياتك، لابد أن تتصوَّره في كل لحظة، وتحفظ أقواله وكلماته.

لابد أن تحفظ كلام المسيح في خزانة قلبك: «**كل كاتب متعلِّم في ملكوت السموات يُشبه رجلاً رب بيت يُخرج من كنزه جُدُداً وعُتقاء**» (مت ١٣: ٥٢)، تُخرج من كنزك هذا آية، مبدأ، وتعيش به، ويكون المسيح هو القائد لك.

❖ عليك أن تقرأ الإنجيل كل يوم. أو اقرأ كتاباً روحياً حتى ولو كان صغير الحجم عظيم الفائدة. هناك كتب روحية تُعتبر مثالية للقيادة، عندما تقرأها تتقابل مع المسيح وتجده ماثلاً أمام ذهنك. طريق الملكوت هذا هو طريقٌ داخلي سرِّي، طريقٌ لا يمكن أن يُشاركنا فيه إنسان مهما كان، ولا ملاك، لا يمكن. الملاك يمكن أن يحرسك من بعيد لبعيد، ولكن لا يستطيع أن يقودك، الذي يقودك هو المسيح. **فالمسيح هو "الطريق"، وهو القائد الذي يقود الإنسان في هذا الطريق.**

إدانة الآخرين: أكبر خطر في الطريق إلى الملكوت:

❖ إن كنتَ تريد أن تسلك هذا الطريق، احترس جداً مما يُحذِّرك منه المسيح: «**لماذا تنظر القَذي الذي في عين أخيك، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها؟**» (لو ٦: ٤١).

❖ عندما تنظر لغيرك، ستقع حتماً على وجهك، لذلك فلا تنظر لغيرك أبداً. الطريق داخلي، فعندما تنظر إلى غيرك ستنتقل بعد ذلك من النظرة إلى الدينونة أو القياس، وتحكم على هذا الإنسان أنه طيِّب، وذاك أنه رديء؛ هذا سيدخل الملكوت، وذاك سوف لا يدخل. وحينئذ ستجد نفسك قد توقَّفتَ في الطريق تلقائياً، لأنه «**كيف تقدر أن تقول لأخيك: دعني أُخرج القَذَي الذي في عينك، وأنت لا تنظر الخشبة**

التي في عينك» (لو ٦: ٤٢).

رُبَّ قائل يقول: وماذا أعمل؟ والردُّ: يُعوزك أن تنظر إلى القائد الذي هو المسيح، لا تنظر إلى غيرك؛ وإنما تكون عينك مُثبَّتة على المسيح. وعندما تضع المسيح نصب عينيك، حينئذ سوف لا ترى إلاَّ قذارتك وخطاياك وليس عيوب غيرك.

نفترض أن إنساناً ملابسه متَّسخة، ولا ينظر إلى قذارته، ثم رأى إنساناً آخر يلبس ملابس بها بقعتان أو ثلاث، فيستهزئ بهذا الإنسان ويُعايره بأن ملابسه قذرة، في الوقت الذي لا ينظر فيه إلى قذارة ملابسه. فماذا نعمل لمثل هذا الإنسان؟ نُحضِر له مرآة، ونضعها أمامه، ونقول له: انظر إلى نفسك وإلى ملابسك! المرآة هي المسيح، مثلما قال: «**كل مَن صار كاملاً يكون مثل مُعلِّمه**». إن لم يَكُن المسيح لنا بمثابة مرآة أمامنا، سنرى العالم كله مُظلماً ورديئاً، والناس كلهم أشراراً، بينما نحن فقط الأبرار في أعين أنفسنا، كما كان يقول لنا أحد الآباء الأتقياء (الراهب المتنيح أندراوس الصموئيلي) هذه المقولة على لسان الذين يدينون الآخرين: "الناس كلهم تواحشوا ونحن وحدنا تمالحنا".

لابد أن يكون المسيح هو قائدك في الطريق، لتصل إلى كمال المسيح الذي يُرضيه أمامه، وحينئذ لن تستطيع أن تدين إنساناً مهما كان. لن تستطيع أن تحكم على إنسان، وإنما تحكم على نفسك. فطريق الملكوت الذي نحن نسلكه، يتطلَّب منَّا ألاَّ ننظر إلى إنسان ما، وإنما تكون أعيننا مفتوحة على المسيح، وإلاَّ يختل توازننا في مسيرتنا.

+ «**كيف تقدر أن تقول لأخيك: يا أخي، دعني أُخرج القذى**

الذي في عينك، وأنت لا تنظر الخشبة التي في عينك. يا مرائي، أَخْرِج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تُبصر جيداً أن تُخرِج القَذَى الذي في عين أخيك» (لو ٦: ٤٢).

فعندما تُخرج الخشبة من عينك، حينئذ يتعطَّف عليك الروح القدس، ويجعلك قائداً لآخرين، ومنوطاً بك أن تُخرج القَذى من أعين الناس؛ ولكن لا يمكنك أن تكون هكذا إلاَّ بعد أن تتطهَّر وتتقدَّس، وإلاَّ فكيف يمكنك أن تدَّعي المعرفة والقيادة؟! مَن لم يُخرج أولاً الخشبة من عينه، فسوف يقع هو في الحفرة، وسيقع معه كل الذين يقودهم.

الثمر الجيد لابد له من التجديد الداخلي:

+ «**لأنه ما من شجرة جيدة تُثمر ثمراً رديّاً، ولا شجرة رديَّة تُثمر ثمراً جيداً**» (لو ٦: ٤٣).

هنا، في الحقيقة، نقلة كبيرة جداً في الإنجيل: «**لأن كل شجرة تُعرف من ثمرها. فإنهم لا يجتنون من الشوك تيناً، ولا يقطفون من العُلَّيق عنباً**» (لو ٦: ٤٤). نحن كلنا شوك وليس من المنتظَر لنا إطلاقاً أن نُخرِج عنباً. وليس من الممكن أن يخرج تين من شوك، هذا أمرٌ مستحيل؛ ولا يطلع عنبٌ من عُلّيق أبداً. ولذلك قال الرب (لنيقوديموس): «إن كان أحدٌ لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله» (يو ٣: ٣). هذا ما وضعه المسيح منذ البداية لمَن يريد أن يسلك في طريق الملكوت: **أن تتغيَّر طبيعته.** لابد أن يحدث تغيير داخلي، لابد أن يُفرَغ كنز قلب الإنسان من شروره، ويبتدئ أن يتعلَّم ويعمل الصالحات: لذلك، فإنَّ «**الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يُخرِج الصلاح. والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير**

يُخرج الشر» (لو ٦: ٤٥).

❖ في بداية حديثي منذ بدأ الصوم المقدس، كنتُ أقول: إن رحلة الملكوت والانطلاق من الوطن الفاني والذي يَبْلَى إلى الوطن الذي لا يَفْنَى ولا يَبْلَى، من الخيمة التي تُطوَى إلى البيت الأبدي غير المصنوع بيدٍ؛ هذه الانطلاقة السرِّيَّة وصفتُها بطائر السِّمَّان (السَّلوى). الطائر الذي ينطلق من سيبيريا في روسيا، في موسم الشتاء، ويَعْبُر البحار كلها في مدة ١٥ يوماً دون توقُّف، ويأتي إلى بلادنا الدافئة. هذا الطائر الذي يقول العلماء عنه إنهم اكتشفوا أن في مخِّه جهازاً يستطيع أن يُقدِّر المسافات والزوايا ليحُطَّ في المكان الذي يريده تماماً، وهذا هو ما يُهيِّئه للسفر المتواصل طوال هذه الرحلة السعيدة. فإن حدث أن اختلَّ هذا الجهاز الداخلي الذي يوجِّه هذا الطائر، فإنه حتماً سيقع في البحر ويموت.

المسيح اتحد بطبيعتنا لكي يُجدِّدها كل يوم:

الحقيقة إن الرب لا يمكن أبداً أن يُسقِطنا في الطريق، أو كما اعتقد بنو إسرائيل المتذمِّرون في القديم أنه خرج بهم إلى البرية ليُميتهم. لماذا؟ لأن الربَّ تبنَّانا، وقد أخذ جسدنا واتحد به، ووضع لنا عهداً أبدياً، عهد الدم المسفوك على الصليب. الرب تبنَّى خلاصنا، وتبنَّى وصولنا إلى الأبدية، لا يمكن أن يُلقينا في القفر فنموت مثلما اعتقد شعب إسرائيل. ولكي يضمن لنا الرب الوصول إلى الملكوت، أعطانا الميلاد الجديد من الماء والروح، أعطانا الطبيعة الجديدة التي ينبغي أن تتجدَّد كل يوم؛ ذلك لأن المسيرة السليمة تُعطي مقدرة جديدة لمسيرة أدق. فالطريق وعر، وكل مرحلة يتجاوزها الإنسان يأخذ مقابلها قوةً وتجديداً ومواهب

جديدة روحية تُعينه وتُساعده لكي يقطع بقية مراحل هذا الطريق.

دوام المسيرة هو ضمان التجديد:

❖ **التجديد نحن نأخذ بدايته في المعمودية، ولكننا نظل نتجدَّد كل يوم في مسيرتنا إلى الملكوت: «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم»** (رو ١٢: ٢). التجديد يأتي بدوام المسيرة. إن لم تكن تسير في الطريق، لا يمكن أن تتغير طبيعتك الساقطة إلى طبيعة جديدة. فإن كنتَ تئنُّ في نفسك نتيجة ضعفات في حياتك وفي جسدك وفي فكرك وفي مبادئك، فهذا كله ناتجٌ عن تعثُّرك في المسيرة نحو الملكوت، أو أنك قد توقَّفتَ عن المسيرة؛ ولذلك لا تشعر بتجديد، ولا توجد لك قوة جديدة تدفعك إلى الأمام.

❖ **الطريق المؤدِّي إلى الحياة الأبدية، هو طريقٌ ديناميكي، طريقٌ متحرِّك**، وهو في نفس الوقت مُحرِّك. طريقٌ يتحرَّك بنا ويُعطينا حركة. فهو ليس طريقاً متوقِّفاً، ولكنه بالمفهوم الروحي طريقٌ ديناميكي لا يمكن أن يتوقَّف أبداً؛ بل يظل يتحرَّك وينمو بنا إلى أبد الآبدين، إلى أن نبلغ إلى السماء، ويستمر هناك أيضاً في التحرُّك. فالحياة متجدِّدة كل صباح، نأخذ قوتها من خبرتنا مع المسيح كل يوم، مع الإنجيل، مع المسيرة، مع الأعداء، مع الأصدقاء، مع المشقات التي تُقابلنا كل يوم. كل يوم نتواجه فيه مع واقع العالم المؤلم والمُحزِن، ولكننا نتغيَّر. نفقد أشياء ضعيفة، ولكننا ننال أشياء قوية. الطريق إلى الحياة الأبدية، طريقٌ متحرِّك، وهذا الطريق هو المسيح. هذا الطريق يهب قوةً، يعطي تجديداً، يُعطي خلاصاً، يُعطي روحاً جديدة للسائرين فيه.

دوام المسيرة ضمان الوصول إلى الملكوت:

ولكي يضمن المسيح لنا مسيرتنا إلى الملكوت، أعطانا طبيعة خاصة تليق بهذه المسيرة، وهي الإنسان الجديد والوعي الجديد والمفهوم الجديد للإنسان المسيحي. نحن لا نَمُتُّ بصِلَة لهذا العالم، يا أحبائي، بعد أن أخذنا ميلادنا السماوي، وبدأنا الرحلة. فأين أنت من الطريق؟ لقد ابتدأت الرحلة منذ مدة طويلة، ويوجد أُناس قد قطعوا في المسيرة مراحل كثيرة، ولكن يوجد أُناس آخرون ما زالوا يخطون الخطوات الأولى. لقد حصلتَ على هذا التجديد من الماء والروح، وأخذتَ عطية الروح القدس، لذلك فالانطلاقة إلى الملكوت قد بَدَأت، بدأت من الوطن الأقل إلى الوطن الأفضل، وأصبحت المسيرة تحتاج إلى عناية وإلى رؤية متواصلة. لابد أن تُمسِك بكل كيانك بالقائد الذي سيصل بك إلى الملكوت.

❖ لقد قرأتُ أن الطائر قبل أن يُهاجر من البلاد الباردة (روسيا) إلى البلاد الدافئة، تحدث له تغيُّرات أساسية؛ حتى أيضاً أسراب الجراد التي تُهاجر من السودان، ومن الجزيرة العربية، ومن أواسط أفريقيا، لها مواسم هجرة لكي تصل إلى المناطق الخضراء وتعيش. الأبحاث الحديثة وجدت أن هناك تغيُّراً يحدث في الجراد قبل وبعد هجرته. لقد اكتشفوا أن لونه يتغيَّر، وغدته النخامية تفقد كمية كبيرة من مخزونها، وهرموناته تتغيَّر. ولكي يتَّقي العلماء شر هذا الجراد، ويمنعوه من الهجرة من البلاد الجنوبية إلى شمال أفريقيا، والتي كانت تأكل الأخضر واليابس؛ حقنوه بمواد في غدَّته النخامية، قبل أن يحدث له طور الهجرة. وكانت النتيجة أنه توقَّف عن الهجرة.

الله خلق في المخلوقات كيانات ليضمن لها الحياة:

إني أتصوَّر أن الله واضعٌ في الخليقة كيانات عميقة داخلية لكي يضمن لها الحياة. ولكن إذا استطاع العلماء أن يُجروا أبحاثهم على الجراد ويمنعوه من الهجرة، فستكون النتيجة هي فناء الجراد، لأنه حشرة ضارة. أما طائرٌ مثل السِّمَّان، فهو طائرٌ يُهاجر من أجل الحياة. وقد أعطاه الله إمكانيات داخلية وتفاعُلات داخلية وسيَّالات كيميائية تسري في داخل كيانه، فيبتدئ الهجرة من البلاد الباردة إلى أن يصل إلى المناطق الدافئة بالضبط، فيقضي الشتاء كله فيها، وبذلك يضمن ويُؤمِّن حياته. ولكنه يعود مرَّة أخرى، بعد انقضاء موسم الشتاء، إلى بلاده، ليتكاثر ويحفظ جنسه من الفناء. هذا فيما يختص بالأمور الدنيوية العالمية الجسدية.

كل مَن نال مؤهِّلات الملكوت ينطلق في مسيرته إلى الوطن السعيد. أما الإنسان البطيء في الحركة، فلا يضمن الوصول، بالرغم من أنه قد أُعطيت له جميع المؤهِّلات التي تُساعده على الوصول.

بعدما أخذنا قوة وفعل الروح القدس السرِّي mystical، أصبحت المنيرة نحو الله، نحو الحياة الأبدية، مُؤمَّناً عليها. لقد أعطاكم الله كل المؤهِّلات التي تُوصِّلكم إلى الملكوت، ثم قال لكم: «**ها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر**» (مت ٢٨: ٢٠)، «**سيروا ما دام لكم النور لئلا يُدرككم الظلام**» (يو ١٢: ٣٥). سيروا وراء الرب، وحينئذ لا تستطيع الظلمة أن تُدرككم.

✝ ✝ ✝

إن رحلتنا الطويلة السعيدة إلى الملكوت، والتي تبتدئ من الداخل،

والتي تنتهي في حضن المسيح؛ قد بَدَأت، وقد استلمنا كل مؤهِّلاتها. والصوم المبارك الذي نُعيِّد له، وأنا أقول نُعيِّد لأنه فعلاً عيد؛ هو أحد مؤهِّلات المسيرة في هذا الطريق الصاعد إلى السماء، الطريق المملوء حياة وقوة وأماناً وضماناً للوصول إلى هدفنا السعيد.

ولربنا المجد الدائم أبدياً، آمين.

العظة الثامنة

المسيح هو نور الطريق

يوم الاثنين من الأسبوع الثالث من الصوم المقدس

«٣٣"لَيْسَ أَحَدٌ يُوقِدُ سِرَاجاً وَيَضَعُهُ فِي خُفْيَةٍ وَلاَ تَحْتَ الْمِكْيَالِ بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ لِكَيْ يَنْظُرَ الدَّاخِلُونَ النُّورَ. ٣٤سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ فَمَتَى كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّراً وَمَتَى كَانَتْ شِرِّيرَةً فَجَسَدُكَ يَكُونُ مُظْلِماً. ٣٥اُنْظُرْ إِذاً لِئَلاَّ يَكُونَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظُلْمَةً. ٣٦فَإِنْ كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيِّراً لَيْسَ فِيهِ جُزْءٌ مُظْلِمٌ يَكُونُ نَيِّراً كُلُّهُ كَمَا حِينَمَا يُضِيءُ لَكَ السِّرَاجُ بِلَمَعَانِهِ"» (لو ١١: ٣٣-٣٦).

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

إنجيل هذا الصباح تتركَّز الآيات فيه وتتداخل بصورة شديدة جداً، لذلك يصعب التعبير البسيط عن هذا الإنجيل بمفهوم واحد. فإذ نجد أن الآيات تتداخل، لذلك يلزمنا أولاً أن نُلقي نظرة متسعة للخلفية التي فيها انجمعت هذه الآيات كلها.

فالإنجيل يتكلَّم عن "النور" ويقول:

+ **«ليس أحدٌ يُوقِد سراجاً ويضعه في خُفْيةٍ ولا تحت المكيال، بل على المنارة، لكي ينظر الداخلون النور»** (لو ١١: ٣٣).

النور هو المسيح:

التأويل الأول والأبسط أنَّ النور هنا هو المسيح. هنا الآية تتداخل مع الآية التي تقول: «**أنا هو نور العالم**» (يو ٨: ١٢). ثم يقول الإنجيل: إن النور (السراج) لا يُوضع في خفية ولا تحت مكيال. في خفية أي في ظلام، أي في القبو المظلم. وهنا يتَّجه فكرنا مباشرة إلى قول بولس الرسول: إن "المسيح" هو «**رأس الجسد الكنيسة**» (كولوسي ١: ١٨)، تماماً مثلما هو موضوع على منارة فوق، أعلى شيء في البيت، لكي يُضيء لكل الداخلين. ثم يتكلَّم الإنجيل عن "السراج"، والسراج هنا غير النور. النور شيءٌ مُطلق، بينما السراج هو الآلة التي تحمل النور. وهنا لابد أن ينفكَّ هذا الاشتباك ما بين مفهوم **النور المطلق** الذي يُوضَع على المنارة، **والسراج** الذي هو المصباح الذي يُوقَد باليد.

العين هي سراج الجسد:

❖ ثم ينتقل الإنجيل إلى اعتبار أنَّ «**سراج الجسد هو العين**» (لو ١١: ٣٤)، بمعنى أن العين هي التي تُضيء للجسد. هنا التشبيه صحيحٌ، فالعين ليست نوراً، ولكنها آلة لاستقبال النور. فإذا لم يكن هناك نورٌ أو توقَّف النور، حينئذ لا تقدر العين أن تُبصر مهما كانت قوية وسليمة.

❖ وبعد ذلك يقول الرب: «**فمتى كانت عينك بسيطة**» (لو ١١: ٣٤).

كلمة "**بسيطة**" هنا يعني سليمة. الله بسيطٌ، والبساطة هي النقاء المطلق، أي عدم التركيب (بالمفهوم الفلسفي). الله غير مركَّب، هو بسيط بساطة مُطلقة كلِّية. والبساطة تعني أيضاً مفهوم الصحة. العين

البسيطة هي العين السليمة. ثم يتكلَّم عن "**العين الشريرة**". وأصلها اليوناني يعني: "عدم الصحة أو المرض"، والاثنان يتلاحمان في المفهوم الآبائي.

عند الآباء: "**أوجاع**" النفس هي "**أمراضها**"، و"**أوجاع**" الجسد هي "**أمراضه وشهواته**". فالأوجاع تعني الأمراض. و"الشر" هو التعبير المرادف للمرض أو الوَجَع. وفعلاً، فكل مرض أصله شر، وخصوصاً إذا كان بمعنى "**الوجع**". الوجع بمعنى الشهوات: الكبرياء هو مرضٌ (وَجَع) للنفس؛ النَّهَم هو مرضٌ للنفس والجسد.

العين الشريرة تجعل الجسد لا يستقبل نور المسيح:

فعندما يتكلَّم الإنجيل عن "العين الشريرة" بمعنى أنها غير بسيطة، غير صحيحة، ذلك لأن العين غير الصحيحة لا تجعل الجسد يرى شيئاً، فيصبح الجسد كله كأنه في ظلام. العين الشريرة أو العين غير السليمة أو المريضة لا تقدر أن تستقبل النور؛ فالنور يكون موجوداً، ولكن لأن العين غير سليمة فهي تَعتَبر أن النور غير موجود. الإنسان المُصاب بانفصال شبكي يشتكي من الظلام الذي يشعر به، بالرغم من أن نوافذ البيت تكون مفتوحة والنور يملأ المكان. العين المريضة تنفي وجود النور. الإنجيل هنا يتكلَّم بأسلوب مستيكي mystical (سرِّي) بصورة شديدة جداً. كل آية لها المقابل الروحي، ولكن في خفية ودقة متناهية. فالنور المطلق شيء، وأداة النور (المصباح) شيءٌ آخر.

النور هو الصحة، وانعدامه هو المرض:

❖ النور هو الصحة، وعدم النور (الظلمة) هو المرض. فالمصباح

عندما يُضاء يستقبل النور، وفي نفس الوقت يُنير لآخرين. ولكن المصباح ليس من ذاته منيراً، فإذا كان قنديلاً فيه قليل من الزيت وفتيلة، فإن لم يُوقَد فإنه لا يُضيء. وهكذا المصباح الكهربائي، إن لم يَسْرِ فيه تيار كهربائي فإنه لا يُضيء. فهو أداة نور، ولكنه ليس نوراً. فالإنجيل يضع هنا تشبيهاً لكي ينطلق منه إلى الهدف، والهدف هو: «**انظر إذاً لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة**» (لو ١١: ٣٥). **فأداة النور (العين)** هنا إذا لم تستقبل النور أو إذا كانت غير قادرة على استقبال النور، فستسود الظلمة الجسد كله.

العين هي أداة نور الجسد:

+ «**متى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيِّراً**».

هذا في حالة إذا كانت مداخل النور سليمة، فحينئذ يكون الجسد كله نيِّراً أي ليس فيه مرض، بمعنى أن تكون كل أعضاء الجسد سليمة: اليد لا تكون مريضة، وكذلك الرجل، وأيضاً بقية الأعضاء. الآية هنا تُشير ولو من بعيد إلى ما قاله الرب في موضع آخر: «إن كانت عينك اليُمنى تُعثرك، فاقلعها وألقِها عنك» (مت ٥: ٢٩)، «إن أعثرتك رجلك، فاقطعها» (مر ٩: ٤٥).

+ «**فإن كان جسدك كله نيِّراً، ليس فيه جزءٌ مُظلم، يكون نيِّراً كله**» (لو ١١: ٣٦).

فإذا كانت واسطة استقبال النور سليمة، فجسدك كله يكون نيِّراً. وإذا كان جسدك كله نيراً، يكون كل شيء لك خارج الجسد نيِّراً أيضاً: «**كل شيء طاهر للطاهرين**» (تيطس ١: ١٥)، «**الله نورٌ، وليس**

فيه ظلمة البتة» (١يو ١: ٥). هذا هو مفهوم النور المطلق في المسيح، ونحن نأخذه ونستقبله كما هو، بالرغم من أن طبيعة النور تختلف اختلافاً كلّيّاً عن طبيعة المصباح (الجسد)، ولكن في إمكان المصباح (الجسد) أن يستقبل النور فيُنير.

كيف نشترك في النور الذي هو المسيح؟

فالمسيح الذي هو "نور العالم" قد جاء واستطاع أن يُضيء في الظلمة. والظلمة هنا بمفهومها الإنجيلي تكون سواء في العالم أو في الجسد. لأن النور (المسيح) عندما جاء، اتَّحد بالجسد، وصار الجسد كله نيِّراً، و«ليس فيه جزءٌ مظلم»، الذي هو جسد المسيح. وبعد ذلك نحن أخذنا النور في طبيعته دون أن يتحوَّل هو إلى طبيعتنا، بمعنى أن طبيعة النور تكون في داخلنا، وهذا يُسمِّيه الإنجيل "**شركة**"، **شركة النور** (١يو ١: ٧)، **شركة المسيح** (١يو ١: ٣)، «**شركاء الطبيعة الإلهية**» (٢بط ١: ٤). نحن لم نأخذ هذه الطبيعة في أعماقنا لتصير هي طبيعتنا، ولكن لكي نشترك فيها، نأخذ من خيراتها. فالنور يدخل إلى أعماق الإنسان، والإنسان ينتفع بنور المسيح، فيصير كل شيء له مُنيراً.

❖❖❖

والآن، بعد أن غطَّيتُ الخلفية الإنجيلية لإنجيل هذا الصباح، أنطلق مرة أخرى إلى رحلتنا السعيدة في موسم الصوم المقدس لنتأمَّل هذا الإنجيل في مسيرتنا السرِّية الداخلية.

لقد قلتُ إن الطريق داخلي، وكذلك فإن **النور أيضاً داخلي، النور بمفهوم البصيرة الروحية**. هنا "السراج" الذي يتكلَّم عنه الإنجيل هو

"الضمير"، هو "**القلب**". هذا هو سراج الإنسان. «**الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يُخرج الصلاح**» (لو ٦: ٤٥). فإذا كان القلب نقيّاً غير مريض، فإن العين ستكون نقية أيضاً وغير مريضة. فالقلب هو الذي يُغذّي العين. هناك أُناس تحاول أن تحفظ عينها طاهرة، ولكنها لا تستطيع أن تضبط قلبها.

لابد أن يكون القلب – قبل العين – منيراً:

كثيراً ما يكون تركيز الإنسان على العين، ولكن التركيز لابد أن يكون أولاً على القلب. فالقلب ما يزال يميل إلى ظلمة هذا الدهر. كما قال الإنجيل عن المسيح: «إلى خاصّته جاء، وخاصّته لم تقبله» (يو ١: ١١). ولماذا؟ لأنه «أحب الناس الظلمة أكثر من النور» (يو ٣: ٢٠). الظلمة هنا بمفهومها العالمي والجسدي، هي ما في العالم من شهوات وأمجاد دنياوية، وما في الجسد من ملذّات وقتية مائتة.

بالنسبة للسائر على الطريق، وبالنسبة للإنسان الذي يُجاهد في الصوم لكي يتقدّم في طريق الملكوت والحياة الأبدية؛ يضع الإنجيل شرطاً هائلاً، وهو أنه لكي تكون المسيرة في الطريق مستقيمة، لابد أن تكون أعضاء استقبال النور الإلهي سليمة، وهذه الأعضاء شبّهها الإنجيل بالعين. وفي الوضع الجسدي، فإنه عندما يشيخ الإنسان، قد تُصاب العين بالمياه الزرقاء أو المياه البيضاء، ويحدث أن الشبكية التي تستقبل النور تُصاب بالتليُّف. كما أن عدسة العين، والتي هي شفّافة، تعتم وتصبح مُتليِّفة، والخلايا تتصلّب وتجف. ونتيجة هذا تصير الدُّنيا كلها ضباباً بالنسبة للإنسان الذي قد أُصيبت عينه، وعندما يسير يتلمّس الحائط أو الباب.

موهبة "الإفراز" هي "استنارة" عين الضمير والقلب:

❖ ولذلك فإن المسيح يُنبِّهنا ويقول: «**انظُر إذاً لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة**» (لو ١١: ٣٥).

و"النور الذي فيك" هو "**الضمير**" الذي يستقبل معرفة الله. مصباح الإنسان هو، في الحقيقة، **قلبه وضميره**. وهذا يحتاج إلى "**الاستنارة**" أو "**الإفراز**" الذي قال عنه القديس أنبا أنطونيوس إنه هو المتقدِّم على الصوم والنسك والرحمة، وباقي الفضائل. فهذه الفضائل كلها ضرورية، ولكن إن لم يكن هناك **إفراز** فإن هذه الفضائل تتعطّل ولا تعمل. "**الإفراز**" هو فعلاً الذي يتكلّم عنه إنجيل هذا الصباح، الذي هو مصباح الإنسان، الضمير المستقبِل لصوت الله.

عندما يكون في الإنسان ضميرٌ حي، يتنقّى الإنسان ويتطهّر ويدخل شعاع النور داخل قلبه، وحينئذ يستنير القلب، ويدخله النور مع الحرارة الإلهية. والأشياء التي كانت سابقاً مشتهاة من الإنسان تصير غير مشتهاة. والأشياء الشريرة التي كان الإنسان قبلاً يخاف منها ويرتعب، تصير أمام الإنسان كأنها طاهرة لا تُثيره ولا تستثيره في شيء. هذا، في الحقيقة، أساس المسيرة.

العين هي أساس المسيرة. فالرجل الضرير لا يمكن أن يُسافر من مكان إلى آخر بمفرده دون أن يُرشده أحدٌ، لابد أن يُساعده أو يأخذ بيده آخر. فالطريق إلى الملكوت طريقٌ داخلي. وكل إنسان له طريقه، لا يستطيع أحد أن يُبيِّن الطريق لإنسان آخر. كل إنسان له متاعبه، وكل إنسان توضَع أمامه عراقيل وصعوبات. طريقي غير طريقك. لا أستطيع

أن أقود إنساناً في طريقي أنا الذي أسير فيه. نحن نتقابل مع المسيح، الذي هو الطريق، **بواسطة النور الإلهي**. وهو الذي يكشف لكل إنسان طريقه، كما أنه يكشف لنا العثرات وكيف يمكننا تلافيها.

❖ طائر السِّمَّان الذي يُهاجر من البلاد الباردة إلى المناطق الدافئة، لا يتوقَّف عن الطيران، مهما ساد الظلام، ومهما كانت الرياح، يظل طائراً إلى أن يبلغ غايته. فلديه من القدرة الحركية ما يجعله يتفادَى الرياح، ولديه من القدرة الباطنية ما يجعله يستبطن الطريق، فيطير وهو يضبط زاوية الطيران. وبعد مدَّة من الطيران، حوالي ١٥ يوماً، يصل إلى الأرض التي انطلق إليها، حتى ولو لم يعرفها من قبل. يطير بالرغم من الظلام والسُّحُب الكثيفة وعدم رؤيته الواضحة، كما لو أنَّ في داخله مصباحاً يُوجِّهه ويُنير له طريق الحياة، ذلك لكي لا يَفْنَى جنسه.

كلمة الله تُنير العين الداخلية، وهذا هو "الإفراز":

❖ **هكذا قد أضاء الله لنا الطريق، طريق الحياة والخلود** (٢تي ١: ١٠)، وسلَّمنا الكلمة الإلهية في قوتها، الكلمة التي تُنير الضمير، والتي تُهذِّب المصباح الداخلي للنفس. فكلام الإنجيل هو الذي يُنير هذا المصباح، الذي هو "**الإفراز**". والإفراز هو **العين الداخلية** التي ترى وسط الظلام الحالك، ظلام التجارب والآلام والهموم والمظالم والأتعاب والأمراض.

الإنسان السائر يظل سائراً بنفس السرعة، لا يتوقَّف أبداً وهو على طريق الخلاص والحياة الأبدية. مصباحه مُضيء مُشتعل، كمصباح العذارى الحكيمات. ولكن بماذا يشتعل هذا المصباح؟ بنور الله. هناك

الكثير من الآباء، ومنهم القديس أفرآم السرياني، مَن يتكلَّم عن أنَّ الزيت الذي في المصباح هو النُّسك؛ وأبٌ آخر يقول إن الزيت هو النعمة؛ وأبٌ ثالث يقول إن الزيت هو أعمال الرحمة. وعموماً فإن القيمة النهائية والعظمى في المصباح هي **في النور الذي ينبعث منه.**

فإذا كان مصباح الإنسان مُهيَّأً للاستنارة فسوف يُضاء. ولكن إن كان في المصباح زيت لكنه غير قابل للاشتعال، فإنه لا يُضيء، لأن الزيت يكون زيتاً مزيَّفاً، نُسكاً مزيَّفاً، أو تواضعاً مزيَّفاً، أو محبة مُزيَّفة مخلوطة بالشهوة. فقد يظهر لهذا الإنسان وللآخرين أنه مُجاهد ويجمع في مصباحه نسكاً، وسهراً، ومطانيات، وقَرْع صدر، وتواضعاً، وانحناءَ رأس، وصوتاً منخفضاً. ويظن هذا الإنسان أنه يجمع في مصباحه زيتاً؛ ولكنه في حقيقته زيت مزيَّف، فعندما تقترب منه كلمة الله تحرقه، فينطفئ ولا يُنير، وبالتالي الإنسان لا يستنير.

الحذر من تزييف النور:

المصباح، في الحقيقة، يعتمد اعتماداً كبيراً على كلمة الله، لأنها هي التي تُنيره. وعندما يقول المسيح: «**انظر إذاً لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة**». فالنور هنا هو الضمير، هو الوعي الروحي. فعندما يكون مظلماً، أي غير مبني على أساس الرسل والإنجيل والمسيح نفسه، فحينئذ يكون «النور الذي فيك ظلمة». قد يقتني الإنسان معرفة، وذكاءً هائلاً، ومقدرة بشرية مُدهشة، فيتهيَّأ له أن هذه المقدرة تستطيع أن تُنشئ فيه نوراً. ولكنه يظل مخدوعاً، لأن هذا النور هو نورٌ مزيَّف، نورٌ مُظلِم، نورٌ عكسي يخدع الإنسان أن فيه نوراً مع أنَّ ليس فيه إلاَّ ظلمة.

لقد قال الرب يسوع: «**اتركوهم. هم عميان قادة عميان. وإن كان أعمى يقود أعمى، يسقطان كلاهما في حفرة**» (مت ١٥: ١٤). فهؤلاء ليسوا عمياناً بالمعنى الجسدي، ولكن العَمَى هنا أنه ليس عندهم وعيٌ روحي. فالوعي الروحي هو الذي يكشف الطريق الكَرِب. وكاختبار أو ترمومتر لك، فإني أسألك: هل عندما تقابلك ضيقة تكون فَرِحاً أو حزيناً؟ إذا كنتَ تنحصر وتتضايق في نفسك، فمعنى هذا أن بصيرتك لم تعمل بعد، وأن قوة الإفراز والمصباح لم يُضيئا بعد.

علامة صحة النور:

❖ العلامة الوحيدة والأكيدة لوجود وعي روحي هو أن يُضيء المصباح في الظلمة. ولكن لا يمكن أن تُجرِّب المصباح وتحاول إضاءته في ضوء الشمس، فسوف لا يظهر نوره. الوعي الروحي، أي ضمير الإنسان المُهذَّب بكلمة الله، النور الحقيقي؛ يظهر في الضيقة، يُستعلَن في الحزن، ينكشف في المرض، في الآلام النفسية والجسدية، في الحرمان، في الجوع. فإن كان هناك إفراز، فسوف يظهر النور. وإن كان هناك مصباح مُضيء، فسوف يُستعلَن.

❖ لذلك يُنبِّهنا المسيح: «**انظر إذاً لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة**». هذا أمرٌ مُرعب أن يكون "النور" ظلمة. إذا كان لا يوجد نور أصلاً، بل ظلام في ظلام، فهذا ممكن. يمكن أن يتولَّد مصباح جديد مُضيء، ويتوب الإنسان عن الإدراك وعن الوعي الخاطئ، ويُصلِح من نفسه. **ولكن أن يتوهَّم إنسانٌ ويُوهِم الآخرين أن لديه مصباحاً**، وأن عنده استنارة، وعنده إفرازاً، بينما هو أعمى يقود أعمى؛ فهذا هو الوهم

بعينه، هذا هو التزييف. يدَّعي الإنسان أن فيه نوراً، بينما ليس فيه نورٌ البتة؛ ويدَّعي أن فيه مصباحاً، بينما ليس لديه مصباح!

إذا كانت أداة النور، وأداة استقبال النور الإلهي، وأداة استقبال إيحاء النعمة، وإيحاء القداسة، وإيحاء اللطف والتحنُّن وطول الأناة والصبر والاحتمال والبذل، هذه الأداة التي تستقبل أشعة النعمة الإلهية، إذا كانت هذه الأداة موجودة وتلتقط الحق الإلهي والنور الإلهي التقاطاً صحيحاً لأنها سليمة؛ فحينئذ يكون النور الذي فينا مُنيراً، به يستنير الإنسان أولاً، ثم يُنير الآخرين بعد ذلك، لأنكم «**أنتم نور العالم**» (مت ٥: ١٤).

❖ «**أنتم نور العالم**»، «**فليُضئ نوركم هكذا قدام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات**» (مت ٥: ١٦). هذه الأعمال ننالها بقوة الله ونعمته. وهذه الأعمال تكشف عن نور الله الموجود في القلب، وهذا يُظهِر لنا البصيرة النيِّرة.

❖ ❖ ❖

هذا الموسم المقدس، هو موسم مراجعة، موسم مراجعة الوعي الروحي على مستوى النُّسك والصوم. والصوم يكشف الإرادة الجانحة نحو الشر. هذا عكس البطن الممتلئة، والعقل المليء بالخيالات والظنون، فإنها تطمس الوعي، فلا يستطيع الإنسان أن يكشف الشر. أما الصوم، فكما يقول عنه الآباء: "إن أردتَ أن تمسك أية فضيلة، فابتدئ بالصوم". لماذا؟ لأن الصوم هو الذي يوضِّح الفضيلة، ويكشفها لك، ويُرغِّبك فيها. فالصوم أساسي كما قلنا.

❖ الصوم هو الوسط الذي يتحرَّك فيه الإنسان الروحي، وهو

الذي يتأسَّس عليه الطريق الكَرِب الصاعد إلى السماء. الصوم يكشف المصباح الداخلي إن كان ضعيفاً. الإنسان في موسم الصوم يشتهي جداً كلمة الله. لذلك فإن الآباء حبَّذوا جداً الصوم مع الصلاة، وهو ما يُقال في قسمة الصوم المقدس في القدَّاس الإلهي: "الصوم والصلاة هما اللذان رفعا إيليا إلى السماء... الصوم والصلاة هما اللذان عَمِلَ بهما موسى... الصوم والصلاة هما اللذان عَمِلَ بهما أهل نينوى...". فالصوم يكشف الوعي الروحي وعمقه، والصلاة تُعدِّل وتُضيء وتُزيد الاستنارة.

✠ ✠ ✠

في إنجيل هذا الصباح، يُنبِّهنا المسيح، وهو النور الحقيقي، **أن نلتفت إلى المصدر الداخلي الذي به نستطيع أن نستقبل النور من المسيح**. فإذا كان هذا المصدر سليماً، فإننا سنمتدُّ وننمو ونسير في الطريق.

الرب يجعلنا قادرين بالفعل أن نكتشف ذواتنا من الداخل، لكي نستطيع أن نُهذِّب مصباحنا يوماً فيوماً.

ولربنا المجد الدائم أبدياً، آمين.

العظة التاسعة

حرية البنين السائرين على الطريق

يوم الثلاثاء من الأسبوع الثالث من الصوم المقدس

«٣١فَقَالَ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ: "إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تلاَمِيذِي ٣٢وَتَعْرِفُونَ الحَقَّ وَالحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ". ٣٣أَجَابُوهُ: "إِنَّنَا ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَلَمْ نُسْتَعْبَدْ لأَحَدٍ قَطُّ. كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: إِنَّكُمْ تَصِيرُونَ أَحْرَاراً؟" ٣٤أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: "الحَقَّ الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلخَطِيَّةِ. ٣٥وَالعَبْدُ لاَ يَبْقَى فِي البَيْتِ إِلَى الأَبَدِ أَمَّا الاِبْنُ فَيَبْقَى إِلَى الأَبَدِ. ٣٦فَإِنْ حَرَّرَكُمْ الاِبْنُ فَبِالحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَاراً. ٣٧أَنَا عَالِمٌ أَنَّكُمْ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ. لَكِنَّكُمْ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي لأَنَّ كلاَمِي لاَ مَوْضِعَ لَهُ فِيكُمْ. ٣٨أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ مَا رَأَيْتُمْ عِنْدَ أَبِيكُمْ". ٣٩أَجَابُوا: "أَبُونَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ". قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ!"» (يو ٨: ٣١-٣٩)

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

إنجيل قدَّاس هذا الصباح متَّصل بإنجيل قدَّاس الأمس (لو ١١: ٣٣-٣٦). وقفنا في كلمة البارحة عند الفكرة الأساسية أو النقطة المحورية التي يدور حولها مفهوم الانتقال أو الارتحال على طريق الحياة الأبدية. هذا الطريق هو طريقٌ داخلي، وليس طريقاً خارجياً. إنه طريقٌ لا يتَّسع إلاَّ

للإنسان السائر فيه، ولابد لَمن يسلك فيه أن يكون له - كمثلما للجسد - عينٌ يستطيع من خلالها أن يستقبل النور لكي يرى الطريق.

❖ لقد تحدَّثنا عن العين المريضة التي لا تستطيع أن تستقبل النور بل تنفي وجوده، فلا تستنير ولا تُنير، ويصير العالم كله بالنسبة لها ظلاماً، فلا يعلم ذلك الإنسان كيف أو إلى أين يسير. كما أننا نحتاج في حياتنا الروحية ولمسيرتنا على طريق الحياة الأبدية، أن يكون لنا وعيٌ روحي، أن يكون لنا مصباح الله المضيء داخل القلب. هذا المصباح ليس هو من طبيعة الله، ولكنه يستطيع أن يستقبل نور الله، وهذا هو الضمير. العين ليست من طبيعة النور، ولكنها إذا كانت سليمة تستطيع أن تستقبل النور، وتستخدمه لمعرفة الطريق، والتمييز ما بين الطريق الصحيح والطريق غير الصحيح.

لقد قال الرب: «انظر إذاً لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة» (لو ١١: ٣٥). هذا النور هو الاستنارة الداخلية أو الوعي الداخلي.

ولكن كيف نستقبل النور ونحفظه في أعماقنا، ولا يتحوَّل فينا إلى ظلام؟ كيف نستخدم مصباح الله أي الضمير، أو الجهاز الروحي كله الذي نستطيع به أن نميِّز بين الحق والباطل، وبين الطريق الصحيح والطريق غير الصحيح، بين الكلمة النافعة والكلمة المُخسِّرة؟ ما هي الوسيلة التي بها نجعل هذا المصباح الإلهي، داخل ضمائرنا وقلوبنا وعقولنا، منيراً؟

يُنبِّهنا الرب: «متى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيِّراً... فإن كان جسدك كله نيِّراً، ليس فيه جزءٌ مُظلم، يكون نيِّراً كله» (لو

١١: ٣٤، ٣٦)؛ ذلك لأن أعضاء الجسد كله تكون مستنيرة بالحق الإلهي، وتستطيع أن تخدم الحق والنور، فلا تعود هذه الأعضاء بعد تخدم الإثم، ولكنها تخدم البر. عندما يكون الجسد نيِّراً، يكون حينئذ خاضعاً للعمل الإلهي بعد أن كان مستعبَداً للعمل المرذول. تظل العين ساهرة الليالي وطوال العمر تقرأ وتعي كلمة الله، عِوَضاً عمَّا كانت تسهر لتراه من أمور لا ينبغي أن تُرَى.

كيف نحافظ على هذا المصباح مُنيراً؟

❖ **أو كيف نُحرِّره من الظلمة؟ وبالتالي، كيف نجعله سليماً؟ هنا يُعالج الإنجيل هذا الأمر في نقطتين في غاية الأهمية والتركيز:**

+ **«قال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إنكم إنْ ثبتُّم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي. وتعرفون الحقَّ، والحقُّ يُحرِّركم»** (يو ٨: ٣١).

هذه هي **أول مرحلة أو أول مبدأ** في كيفية الاحتفاظ بالبصيرة الروحية أو بمصباح الله في الضمير مُنيراً، غير مُستعبَد، بل حُرّاً؛ أن يثبُت الإنسان في كلام الله: «إن ثبتُّم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي». إنْ ثَبَتْنا في كلام المسيح، وكان كلام المسيح هو كلامنا، فإنَّ كلام المسيح هذا ينقلنا إلى معرفة كل ما للمسيح، إلى الدرجة التي فيها نصبح تلاميذ المسيح، و«يكفي التلميذ أن يكون كمُعلِّمه» (مت ١٠: ٢٥).

الثبات في كلام الرب أساس تحرُّرنا:

❖ **«وتعرفون الحق، والحق يُحرركم»**. هذه الآية مُحمَّلة على المبدأ الذي قاله الرب قبلها: «إن ثبتُّم في كلامي، فبالحقيقة تكونون

تلاميذي»، وحينئذ «تعرفون الحق، والحق يُحرركم». هذا هو الجزء الأهم الذي وضعه الرب في بداية معرفتنا به، أن يكون تحرُّرنا قائماً على ثباتنا في كلام الرب.

❖ فتفاخُر الإنسان بإمكانياته أو أنه ينتسب إلى العائلة الفلانية، وكذلك تفاخُر الشعوب بجنسياتهم؛ هذا لا يُبرِّر الإنسان أو يُعطيه الحرية التي تؤهِّله للدخول إلى ملكوت السموات. هذا، في الحقيقة، هو التمسُّك بالأرض. فالذي يتمسَّك بعائلته وبلده وجنسه ولونه ، هذا يزداد تمسُّكه بالأرض وتراب الأرض. وهذا التمسُّك ليس واسطة لتحرير الإنسان، بل بالعكس هو عبودية.

❖ ولكن اليهود أجابوا الرب: «**إننا ذُرِّية إبراهيم، ولم نُستعبَد لأحدٍ قط**» (يو ٨: ٣٣).

هنا المسيح يُريد أن يُحررهم من الأرض ويوصِّلهم إلى السماء، ولكنهم يتمسَّكون بالأرض ويريدون أن يُدفنوا فيها.

+ «**كيف تقول أنت إنكم تصيرون أحراراً؟ أجابهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: إن كل مَن يعمل الخطية هو عبدٌ للخطية**» (يو ٨: ٣٤).

هنا نقطة الاتصال بين **المبدأ الأول**: «إن ثبتُّم في كلامي تكونون تلاميذي. وتعرفون الحق، والحق يُحرِّركم»، **والمبدأ الثاني**: «كل مَن يعمل الخطية هو عبدٌ للخطية».

● **التحرير الأول: تحرير الفكر والذهن:**

المبدأ الأول مبدأ فكري: «إن ثبتُّم في كلامي... تعرفون الحق،

والحق يُحرِّركم». هذا تحريرٌ فكري، تحرير ذهني، ونتيجته: «تكونون تلاميذي». بمعنى أن يكون الإنسان مثل المسيح: «يكفي التلميذ أن يكون كمُعلِّمه». والرب يسوع يقول: «كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل» (مت ٥: ٤٨)، والقديس بطرس يقول: «نظير القدوس الذي دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قدِّيسين في كل سيرة، لأنه مكتوبٌ: كونوا قدِّيسين لأني أنا قدوس» (١بط ١: ١٥، ١٦). هذه هي غاية الله من إرسال ابنه، وغاية المسيح من تسليم نفسه للصَّلب، هو أن نصير مثله: «إذا أُظهِرَ نكون مثله، لأننا سنراه كما هو» (١يو ٣: ٣). وكما يقول بولس الرسول: «أما نحن فلنا فكر المسيح» (١كو ٢: ١٥).

غاية المسيح من تجسُّده: أن نصير مثله، بالالتصاق به:

هذه هي الغاية النهائية التي يريدها الله لنا، والتي نتمنَّاها نحن من الله، أنْ يصير ذهننا أو فكرنا حسب فكر المسيح. وهذا لا يمكن أن يتحقَّق إلاَّ إذا التصقنا التصاقاً حقيقياً بالرب.

لا يمكن أن نكون تلاميذ للرب إلاَّ إذا كان كلام الرب ووصاياه هو كل شيء بالنسبة لنا: «سراجٌ لرجلي كلامك، ونورٌ لسبيلي» (مز ١١٩: ١٠٥). تماماً مثل إنسان معه مصباح، ويسير في الطريق، وهو يُضيء له. هذه هي كلمة الله، التي لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنها أبداً في كل خطوة يخطوها وفي كل عمل يعمله. فالكلمة هنا أساسية.

فالتحرير الأول هو تحريرٌ فكري.

التحرُّر من الخطية:

وعندما أجاب اليهودُ الربَّ قائلين: «**إننا ذُرِّيَّة إبراهيم**»، لم يَقُل لهم: "أنتم لستم أولاد إبراهيم"؛ ولكنه أجابهم قائلاً: «**الحق الحق أقول لكم: إنَّ كل مَن يعمل الخطية هو عبدٌ للخطية**». فهل أنتم أحرار ولم تُستعبَدوا لأحدٍ لأنكم أولاد إبراهيم؟ ماذا تنفعكم هذه الحرية الأرضية؟ ماذا تنفعكم حرية الجنس، أو حرية الجسد، أو فريضة الختان؟ إن لم يكن عندك حرية عقل وفكر وإرادة، فسيصير ختانك كأنه غُرلة، سيصير ختانك نجاسة، وطهارتك نجاسة، وفخرك خزيك!!

❖ عندما يقول الرب: «إن كل مَن يعمل الخطية هو عبدٌ للخطية»، فإنه هنا يتطرَّق إلى نوع من العبودية أشد وأعنف، ولكنه أسهل في التحرُّر. فالذي يعمل الخطية يصير عبداً للخطية؛ ولكن الذي يكون مصباحه مُنطفئاً، فمن الصعب بمكان أن يُنيره. فالتحرير الأول هو تحرير الفكر، تحرير التصوُّر، تحرير البصيرة الداخلية، وهذا صعب! أما إن كان إنسان يعمل خطية، فهذا التحرُّر الفكري من الممكن حدوثه عندما يسمع كلمة الله بصدق، ويبكي ويتوب؛ حينئذ يتحرر من الخطية.

ولذلك أكمل الرب كلامه قائلاً: «**والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد**»، أي لا يمكن لهذا العبد أن يجلس مع الحُرِّ، هذا هو قانون العهد القديم: «لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحُرَّة» (غل ٤: ٣٠). هنا قَصْد الرب يسوع أن هذا العبد لا يمكنه أن يبقى في بيت الله. والعبودية هنا عبودية للخطية، ثم أوضح الرب بعد ذلك أنها عبودية للشيطان: «أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تُريدون أن تعملوا» (يو

٨: ٤٤). وقد قال بولس الرسول: «لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين. أية خلطة للبر والإثم. وأية شركة للنور مع الظلمة. وأيُّ اتفاق للمسيح مع بليعال. وأيُّ نصيب للمؤمن مع غير المؤمن. وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان» (٢كو ٦: ١٤-١٦).

فيستحيل أن تجمع الاثنين معاً: البر والإثم، النور والظلمة، المسيح والشيطان، يستحيل! لأنه إذا جاء النور تتبدَّد الظلمة، إذا انطفأ النور تظهر الظلمة. والنور هو الاتحاد والاتصال بالله، أما الظلمة فهي البُعد عن الله، لذلك قال الرب لليهود: «العبد لا يبقى في البيت إلى الأبد. أما الابن فيبقى إلى الأبد» (يو ٨: ٣٥). المسيح هنا يتكلَّم عن نفسه فهو ابن الله، ولأنه "الابن" (مُعرَّفة بالـ) فإنه يبقى إلى الأبد في بيت أبيه.

حرية البنوَّة لله هي في التحرُّر من الخطية:

+ «**فإن حرَّركم الابن (الذي هو المسيح نفسه)، فبالحقيقة تكونون أحراراً**» (يو ٨: ٣٦).

❖ هنا توجد حرية أخرى غير حرية العقل، وهي هنا الحرية بالكلمة. إنها حرية بالبنوَّة. هذا مبدأ أو طريق ثانٍ أسهل وأجمل جداً. وكأن المسيح يقول: "أنا كابن وحيد للآب، فإني وارثٌ لأبي. أنا سأُعطيكم بنوَّتي مجاناً، وسأُحرِّركم من العبودية". العبودية هنا هي عبودية الطبيعة كلها، لأن الطبيعة المخلوقة مستعبَدة. نحن عبيد الله، لأننا مخلوقون. وعندما سجد يوحنا الرائي للملاك، قال له: «انظر، لا تفعل. أنا عبد معك ومع إخوتك...» (رؤ ١٩: ١٠). فكل طبيعة مخلوقة هي عبدة، ولكن لا يوجد إلاَّ ابن وحيد، هو المسيح، وهو الخالق للخليقة، الخالق

المتجسِّد والمرئي. هو يظهر أمامنا كإنسان (بحسب الجسد)، ولكنه في الحقيقة هو إله. فطبيعة لاهوته طبيعة خالقة. والحرية التي يريد أن يهبها لنا، ليست فقط حرية الفكر، وإنما أيضاً حرية البنين.

خطورة عَمَى العقل المؤدِّي إلى العبودية للخطية:

❖ **يقول الرب لليهود: «أنا عالمٌ أنكم ذرية إبراهيم. لكنكم تطلبون أن تقتلوني، لأن كلامي لا موضع له فيكم. أنا أتكلَّم بما رأيتُ عند أبي. وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم»** (يو ٨: ٣٧،٣٨).

❖ هنا بدأ المسيح يكشف لهم عن نية قلوبهم، بدأ يُظهر عَمَى عقولهم أولاً؛ ثم عبوديتهم للخطية أو للقيد الذي يربطهم بالخطية ثانياً. وعَمَى العقل وعبودية الخطية، كلاهما أُصيب بهما اليهود أيام المسيح. فلا هم أمناء لكلمة الله، فيتحرَّرون بالفكر أو بالعقل؛ ولا هم يعملون حسب الوصايا، فيُعتبَرون أبناء ولو بالاستثناء، كجنس مختار من أجل الآباء، والآباء مختارون بنوعٍ من الاستثناء. ولكن هذا الاستثناء قد فقدوه هم بأنفسهم، لأنهم لم يريدوا أن يبقوا في البيت، وأحبوا الظلمة أكثر من النور، وبدأوا يدوسون الوصايا ويكسرونها.

+ **«أنا أتكلَّم بما رأيتُ عند أبي. وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم. أجابوا وقالوا له: أبونا هو إبراهيم. قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسانٌ قد كلَّمكم بالحق الذي سمعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم... أنتم من أب هو إبليس»** (يو ٨: ٣٨-٤٤).

غريزة الحنين إلى الله

هي التي تُرجعنا إلى الله بسماع كلمة الله:

❖ في الحقيقة، التحرُّر الفكري واضحٌ، وهو الإجابة على ما قيل في إنجيل الأمس: «انظر إذاً لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة» (لو ١١: ٣٥). وحديثنا طوال موسم الصوم المقدس عن مسيرة الانطلاق على طريق الحياة الأبدية. ويُعتبر الصوم هو الوسيلة أو الإطار أو المجال الروحي الذي به نستطيع أن نكتشف الطريق الذي نحن سائرون عليه. وتكلَّمتُ عن طائر السِّمَّان الذي يُهاجر من البلاد الباردة، وينطلق وهو صائم عن الأكل والشُّرب، لمدة ١٥ يوماً، ليلاً ونهاراً، يُوجِّهه جهاز في مخِّه بزاوية محددة حتى يصل بسلام إلى المناطق الدافئة. وهذه الغريزة التي تُوجِّه الطائر إلى هدفه، هي نفسها الغريزة أو الموهبة التي أعطاها لنا الله، والتي هي الحنين إلى الله والحنين إلى الوطن السماوي. وهذا الحنين يظهر عندما يحيد الإنسان عن الطريق، إذ حينما يسمع كلمة الله ويستجيب لها، فإن حنينه إلى الله وإلى الملكوت يجعله ينطلق مرة أخرى إلى الوطن السماوي، شاعراً أنه غريب هنا على الأرض، وأنه مسافر ومُهاجر تماماً مثل طائر السِّمَّان.

فلكي تصلوا إلى غايتكم، لابد أن تكون عندكم العين التي تستطيع أن ترى في الظلام أو تُنير الظلام، وتتجاوز العوائق، إلى أن تصل إلى الميناء بسلام. لابد أن يكون الجهاز الداخلي في القلب سليماً وصحيحاً.

هذا الجهاز، يُظهره إنجيل هذا الصباح أنه حرية الفكر، وهذه الحرية لا تأتي إلاَّ بالكلمة. فإن ثبتنا في كلمة المسيح يتحرَّر فكرنا. ولكن مِمَّ أو

مِن أيِّ شيء يتحرَّر الفكر؟ من الانقسام بين الخير والشر، بين النور والظلمة.

العلاج: ليس في خطية معرفة الخير والشر:

لقد قال البعض إن خطية آدم هي في الحنجرة، وتم التعبير عنها بالوَجَع أو الألم أو المرض. وأطلقوا على هذا الجزء من القناة التنفسية "تفاحة آدم". ولكن خطية آدم هي المعرفة المنقسمة التي دخلت الإنسان وجعلته يعرف الخير والشر، فينقسم بين الخير والشر. والذي ينقسم بين الخير والشر، يستحيل أن يثبت في الخير. فأصبح لا رجاء للإنسان بعد أن انقسم على ذاته ما بين معرفة الخير ومعرفة الشر التي اشتهاها آدم. لذلك كان لابد أن يتحرَّر الإنسان من معرفة الخير والشر، ويبتدئ يعرف الحق. الحق ليس هو في الخير، هو أعلى من الخير، الحق هو الله. آدم تشتَّت وانقسم ما بين الخير والشر عندما ترك الله ولم يسمع وصيته، وحينئذ فَقَدَ الصلة بالله.

الخير هو العمل الإيجابي الذي يُوصِّل إلى الحق. فتصوَّر البعض أن آدم اختار معرفة الخير والشر بدلاً من الحق. بينما نحن نأخذ الحق ونتغذَّى به كل يوم من قِبَل الله. حرية إرادة الإنسان في العمل، تُمكّنه بأن يعمل الخير أو يعمل الشر. ولكن إن عملتَ الخير فإنه لا يمكنك أن تتخلَّص تماماً من عمل الشر؛ ذلك لأن الخير مرتبط بالشر. ولذلك فالشجرة التي كانت في وسط الجنة تُدعى "شجرة معرفة الخير والشر". ومن غير الممكن أن يُميِّز آدم الخير عن الشر. وعندما عرف الخير عرف الشر أيضاً، فانقسم بين الاثنين.

ولكن الحق، أي معرفة الله، هو العلاج:

أما المسيح، وهو كلمة الله، والذي هو من جوهر الله، وهو صورة الله الآب، وهو الحق المُعبَّر عنه بالتعبير اليوناني "الأليثيا" (أي الحق المطلق الذي لا يشوبه معرفة خير أو شر)؛ هذا الحق هو الأساس الذي تقوم عليه معرفة الله. ولكن الحق في الله شيء، وفينا شيء آخر. مثل النور: فالله نور ليس فيه ظلمة البتة، ونحن أيضاً نور؛ ولكن شتَّان بين الله كنور مطلق وبيننا كنور يمكن أن يستنير من الله ويُنير. فإذا كان الضمير أو الوعي الإلهي الداخلي فينا سليماً، فيمكننا أن نأخذ من النور الإلهي، فنعمل أعمالاً صالحة نُمجِّد بها الآب الذي في السموات: «فليُضئ نوركم هكذا قدَّام الناس، لكي يروا أعمالكم الحسنة، ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات» (مت ٥: ١٦).

الله نورٌ كطبيعة فيه، ونحن لا نأخذ هذه الطبيعة لكي نتحوَّل إلى طبيعة الله، ولكننا نشترك في هذه الطبيعة، حينما تدخل داخلنا، فتُضيء ظلمتنا، فنستطيع أن نُضيء الظلمة التي حولنا وحول الآخرين. كذلك كلمة الله حقٌّ مُطلق، وهي كطبيعة الله. طبيعة الله وجوهره هو "الحق"، ونحن نستطيع أن نشترك في الحق، نستطيع أن نستقبل الحق، مثل العين التي تستقبل النور دون أن تتحوَّل إلى نور فتُنير أمامنا الطريق. الحق الإلهي يصل إلينا، ونصير شركاء فيه، بواسطة الكلمة، دون أن نتحوَّل إليه.

يقول الرب: «**إن ثبتُّم في كلامي**». "**الكلمة**" في الأصل اليوناني تُنطق "لوغوس" بالمفرد، أي "**إن ثبتُّم في كلمتي**"، «**فبالحقيقة تكونون تلاميذي**»، أي تمشون خلف المسيح خطوة خطوة. التلميذ يتبع سيده،

ولكن لديه الإمكانية لأن يبلُغ إلى صورة مُعلّمه، ويكون صورة للكمال، ولكن ليس هو الكمال.

لابد من وجود الأداة التي تستقبل الحق الإلهي:

إذا كان لدينا الأداة التي تستقبل الحق الإلهي أي الطبيعة الإلهية، فإننا نصل بذلك إلى الله. الحق هو **كلمة الإنجيل**، إن تمسّكتَ بها تتحوّل فيك إلى قوة، تُجدِّد ذهنك؛ فتصير خليقة أخرى، وتصير شريكاً في الحق الإلهي، وكلنا «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١: ٤). الكلمة تصير في عقلك كأنها عقلك، تتكلّم بكلام الله كأنك أنت مُرسلٌ من الله، تسكن فيك كلمة الله.

يقول الرب لليهود: «**كلامي لا موضع له فيكم**» (يو ٨: ٣٧). إذا وَجدَت كلمة المسيح لها محلاً أو خيمة تسكن فيها، مثلما كان يسكن الله في البرية في خيمة الاجتماع، إذا وجد المسيح مكاناً يسكن فيه في قلبنا وفي وعينا؛ سيثبُت فينا ونحن نثبُت فيه، وستتحوَّل من خليقة فانية زائلة إلى خليقة قابلة أن ترث المجد وتصير حُرَّة كالابن.

كلمة الله تصير كجناحين للعقل:

هنا التحرير الأول تحريرٌ ذهني. ولكن، كيف نُبقي على النور الذي فينا دون أن تشوبه ظلمة؟ ذلك بالكلمة، بالإنجيل. ليس بمجرد قراءته فقط، ولكن بالثبات فيه: «إن ثبتُّم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي». فإن لم نثبت في كلام المسيح لا يمكن أن نكون تلاميذه. إن ثبتنا في كلام المسيح، فسوف نأخذ حريتنا، ستتغيَّر المبادئ والأفكار والإرادة: من إرادة وفكر وتصوُّر مُقيَّد بالخطية، إلى إرادة وفكر وتصوُّر متحرِّر يستطيع أن

يُحلِّق بنا كالطائر في سماء الله بالكلمة. الكلمة تصير كجناحين للعقل، يطير بهما ويتأمَّل ويفرح في الليل وفي النهار، لا يحطُّ أبداً على الأرض، لأنه يعرف أنه مسافر ومُهاجر إلى الوطن السعيد. إن طائر السِّمَّان إذا لم يستمر في الطيران، سيقع في المحيط أو في البحر ويموت، ولكنه يستمر في الطيران حتى يصل إلى شاطئ السلام، فينزل ويستقر.

نحن مرتحلون إلى السماء، ولا رجاء لنا في أرض الغربة، ليس لنا هنا مكان، إطلاقاً. فالرحلة مستمرة، ولا تُنبِّهنا إلاَّ كلمة الإنجيل. كلمة الإنجيل هي بمثابة جناحين قويَّين بهما يظل عقل الإنسان مُحلِّقاً الليل والنهار، دون أن ينجذب إلى الأرض فيضيع. رحلتنا إلى الوطن السعيد مستمرة الليل والنهار. ونحن في موسم الأربعين المقدسة نتصوَّر أن الرحلة في صورة مُصغَّرة هي أربعون يوماً؛ ولكننا، كرهبان، من المفروض علينا أن يكون موسم الأربعين المقدسة هو العمر كله.

المسيحي هو إنسانٌ صائم، ليس بمفهوم الأكل والشُّرب فقط؛ وإنما هو صائمٌ لأنه مُهاجر، صائمٌ عن شهواته، صائمٌ عن مجاذبات هذا الدهر القادرة أن تشدَّ الإنسان إلى الأرض مرة أخرى لتدفنه تحت التراب. نحن مُحلِّقون ومهاجرون، والتحرير الأول الذي قدَّمه لنا المسيح هو تحرير فكري، وهذا مهمٌ جداً. لأن العقل إذا لم يكن مُتحرراً بكلمة الإنجيل، ستتخبَّط الإرادة، وسينحل الجسد، وتُستعبَد الأعضاء.

● **التحرير الثاني: تحرير البنوَّة:**

أما التحرير الثاني الذي يُركِّز عليه المسيح فهو تحرير البنوَّة. فقد قال: «كل مَن يعمل الخطية هو عبد للخطية. والعبد لا يبقى في البيت

إلى الأبد. أما الابن فيبقى إلى الأبد» (يو ٨: ٢٤، ٢٥)، وهذا ما قاله بولس الرسول: «ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يُحارب ناموس ذهني، ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي. وَيْحي أنا الإنسان الشقي. مَن يُنقذني من جسد هذا الموت» (رو ٧: ٢٣، ٢٤).

فالتحرير الأول كان تحرير الذهن. ففي العهد القديم لم يكن كل الآباء مستعبدين للخطية أو كان ذهنهم مُعتماً ومظلماً، لأن الكثيرين منهم كانوا ينتظرون رجاء إسرائيل بأصوام وصلوات وعبادة ليلاً ونهاراً. ربما كان هؤلاء متحرِّرين بالذهن، ولكن حرية الذهن يستحيل أنها تُحرِّر الجسد أو أعضاء الجسد. فكانوا يحيون بحرية ذهنية، ولكن جسدهم كان مُستعبَداً، و«كل مَن يعمل الخطية هو عبد للخطية. والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد. أما الابن فيبقى إلى الأبد».

ولكن، ما هي الوسيلة للتحرُّر الحقيقي؟

الوسيلة هي أن يتحوَّل الإنسان من عبدٍ إلى حُر. ولكن، كيف يمكن أن يتحوَّل العبد إلى حُر؟ هذا التحرُّر ليس بمال، لأن العبودية هي عبودية خطية. ومَن الذي يُحرِّرني من الخطية؟ "فليس أحدٌ طاهراً من دنسٍ (أو من خطية) ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض" (أوشية الراقدين). ليس من الممكن أن يُحرِّر عبدٌ عبداً مثله، وهكذا لا يستطيع ملاكٌ أو نبيٌّ أن يُحرِّر. ولذلك يقول الكاهن في صلاة الصُّلح في القدَّاس الغريغوري: "لا ملاك، ولا رئيس ملائكة، ولا رئيس آباءٍ، ولا نبيّاً، ائتمنته على خلاصنا. بل أنت بغير استحالةٍ، تجسَّدتَ وتأنَّستَ، وأشبهتنا في كل شيء ما خلا الخطيئة وحدها".

بدون بنوَّتنا لله لا يمكننا أن ننال التحرُّر:

ولكن ابن الله الحي هو الذي نزل إلينا. لقد جاء إلينا وتجسَّد ليُعطينا حريته الشخصية، ليهبنا بنوَّته للآب. وبدون هذه البنوَّة لا يمكننا أن ننال التحرُّر. لماذا؟ لأن التحرُّر هو تحوُّل من طبيعة فاسدة تُزرع في فساد إلى طبيعة جديدة تقوم في عدم فساد (١كو ١٥: ٤٢). هنا التحوُّل هو تحوُّل جذري جوهري في الطبيعة البشرية. وهذا لا يتم إلاَّ إذا تبنَّانا الآب في المسيح يسوع، أي إذا صرنا أبناء الله في المسيح. ولذلك قال الرب لليهود: «فإن حرَّركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨: ٣٦). وإن لم يُحرِّرنا الابن، فلا يمكننا أن نتحرَّر. ولأن ناموس الخطية يظل مُهيمناً؛ فحتى إذا تحرَّر الذهن، ولكن عرفنا الخطية، فإننا لا يمكن أن نتخلَّص منها.

ولذلك يقول بولس الرسول: «فإني أعلم أنه ليس ساكنٌ فيَّ، أي في جسدي، شيءٌ صالح. لأن الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أفعل الحُسنَى فلستُ أجد. لأني لستُ أفعل الصالح الذي أُريده، بل الشر الذي لستُ أريده فإيَّاه أفعل. فإن كنتُ ما لستُ أريده إيَّاه أفعل، فلستُ بعد أفعله أنا، بل الخطية الساكنة فيَّ. إذاً أجد الناموس لي حينما أريد أن أفعل الحُسنَى أنَّ الشر حاضرٌ عندي... وَيْحي أنا الإنسان الشقي. مَن يُنقذني من جسد هذا الموت» (رو ٧: ١٨-٢٤). هذا كان قبل تحرير المسيح له، ولكنه عاد ليقول: «إذاً، لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح» (رو ٨: ١).

✝ ✝ ✝

فبالمسيح نلنا البنوَّة. وهذه البنوَّة قد غيَّرت طبيعتنا، حوَّلتنا من عبيد كجنس مخلوق إلى ورثة الله في المسيح يسوع: «فإن كُنَّا أولاداً (لله)، فإننا ورثة أيضاً، ورثة الله ووارثون مع المسيح» (رو ٨: ١٧).

ولربنا المجد الدائم أبدياً، آمين.

العظة العاشرة

تجارب على الطريق

يوم الأربعاء من الأسبوع الثالث من الصوم المقدس

«١أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئاً مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ ٢أَرْبَعِينَ يَوْماً يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئاً فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيراً. ٣وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: "إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ لِهَذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزاً". ٤فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: "مَكْتُوبٌ أَنْ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ". ٥ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ. ٦وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: "لَكَ أُعْطِي هَذَا السُّلْطَانَ كُلَّهُ وَمَجْدَهُنَّ لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ. ٧فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ". ٨فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: "اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ". ٩ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَأَقَامَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: "إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلَى أَسْفَلَ ١٠لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ ١١وَأَنَّهُمْ عَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ". ١٢فَأَجَابَ يَسُوعُ: "إِنَّهُ قِيلَ: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ". ١٣وَلَمَّا أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ» (لو ٤: ١-١٣).

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

إنجيل قدَّاس هذا الصباح يكشف لنا مدى الصعوبات التي تنتظرنا على الطريق، كما تمثَّلها المسيح نفسه وعاناها. وفي الحقيقة، يا أحبائي، لم يترك لنا الإنجيل شيئاً هاماً يمكن أن يُقال بالنسبة لارتحالنا على طريق

الحياة الأبدية، إلاَّ وكشفه بغاية الوضوح.

❖ تكلَّمنا بالأمس (الثلاثاء من الأسبوع الثالث من الصوم المقدس) عن كيفية احتفاظنا بنور الله أو مصباح الله مُضيئاً. أما إنجيل قدَّاس هذا الصباح، فإنه يتكلَّم عن كيف تُداهمنا الظلمة، لكي نكتشف أنَّ النور الذي فينا سيُختَبَر ويتضح لنا أنه ليس بلا ثمن، فهو نعمة ولكن ليس بلا ضيقات. صحيحٌ أن النور قادرٌ أن يكشف لنا كل الطريق حتى النهاية، ولكن ماذا سيكشف لنا إلاَّ الصعوبات. وهكذا يبتدئ الإنجيل يُنذرنا أن النور ومصباح الله والضمير لابد أن يُختَبَر بالنار كل يوم لكي يتقدَّس. المسيح هنا هو صاحب التجربة، والمجرِّب هنا يُجرِّب المسيح ذاته. والإنجيل يُقدِّم هذا التوجيه ليُطبِّقه كل واحد على نفسه بقدر ما يُستعلَن له، بالرغم من أن الإنجيل لم يُطبِّقه إلاَّ على المسيح.

الإنجيل قدَّم لنا التجربة،
ثم ترك لنا التطبيق على حياتنا:

لقد قدَّم الإنجيل التجربة على أنها تواجه المسيح شخصياً، ثم ترك لنا التطبيق على حياتنا. لذلك اجتهد المفسِّرون كثيراً ليُطبِّقوا التجربة علينا. ولكن إذا استطعنا أن نأخذ التجربة في حدودها الأصلية، باعتبار أنها تجربة مُقدَّمة للمسيح، ونتفهَّم قصد الشيطان من تجربة المسيح، وكيف جُرِّب الرب، وكيف انتصر؛ فسيكون ذلك هو الباب أو الوسيلة الوحيدة التي بها نفهم كيف يمكننا أن نُطبِّق هذه التجربة على حياتنا.

التجارب تأتي لِمَن هو ممتلئ بالروح:

❖ يقول إنجيل قدَّاس هذا الصباح: «**أما يسوع فرجع من الأردن،**

ممتلئاً من الروح القدس» (لو ٤: ١).

معنى هذا أن التجربة لا تواجه أبداً إنساناً ليس راجعاً من اغتسال، أو من توبة. فالأردن هنا هو رمزٌ للتوبة؛ لأن الأردن، الذي هو معمودية الماء، كان رمزاً للتوبة. ولكن توبتنا في العهد الجديد لا تتم إلاَّ بالروح القدس، فهي توبة مؤازَرة بالنعمة. الأردن والامتلاء من الروح القدس معاً هما أساس التعرُّض للتجربة. لا يمكن لإنسان أن يُجرَّب من العدو إلاَّ إذا كان ممتلئاً من الروح القدس؛ أو بمعنى آخر: لا يمكن أن يُجرَّب إنسان وهو غير مُعمَّد، غير مولود ثانية، غير مُهيَّأ للجهاد بالروح القدس، غير متَّجه ناحية الوطن الأفضل. فالتجربة تُداهم فقط السائرين على الطريق. أما غير السائرين، غير التائبين، غير المرتحلين، غير المنتقلين من وطنٍ أرضي إلى وطنٍ سماوي؛ فلا يُداهمهم العدو.

❖ يحكي بستان الرهبان عن كيف يصطاد الشيطان الضعفاء كما يصطاد الإنسان السمك الصغير؛ أمَّا أمام السمكة الكبيرة فإنه يقف لمدةٍ طويلة حتى يتمكن من اصطيادها. فشُغل الشيطان الشاغل هو اصطياد المتقدِّمين في الطريق، وليس فقط السائرين العاديين على الطريق. فبقدر مسيرتنا على الطريق، بقدر ما نواجهه من تجارب؛ ولكن أيضاً بقدر ما يعني هذا أننا مُحاطون بنعمة أو بمؤازرة خفية.

❖ ثم يتكلَّم الإنجيل عن المسيح: «**وكان يُقتاد بالروح في البرية أربعين يوماً يُجرَّب من إبليس**» (لو ٤: ١، ٢).

وإذا رجعنا إلى العهد القديم، نجد أن هذا العدد (٤٠ يوماً) يُمثِّل فترة كاملة سواء في العهد القديم أو في تعليم الربِّيين. فهي فترة كاملة

للانتقال من حال إلى حال أفضل. نجد نفس هذه المدة (أربعون نهاراً وأربعون ليلة) وهي التي قضاها موسى النبي في صوم (خر ٣٤: ٢٨) قبل أن يستلم الوصايا الجديدة أو الشريعة الجديدة أو الشريعة الأولى المكتوبة بإصبع الله، وهي التي سار عليها بنو إسرائيل. وهكذا صام أيضاً إيليا النبي (١مل ١٩: ٨)، فتقابل مع الله، وكانت المقابلة دعوة في الحال للانتقال من حياة أرضية إلى حياة سماوية، وبعدها أُخِذ إيليا النبي إلى السماء في العاصفة في مركبة نارية (٢مل ٢: ١١).

❖ **فالأربعون يوماً عند موسى، تتمثَّل في الانتقال من حال إلى حال أفضل.** وهي أيضاً عند إيليا تتمثَّل في الانتقال من حياة أرضية إلى حياة سماوية. وهي تُعتبر أكثر ملاءمة وأكثر مطابَقة بالنسبة لموضوعنا الذي نتكلَّم عنه دائماً، وهو ارتحالنا ونحن صائمون. وسواء عند موسى النبي أو عند إيليا النبي، فإن مدة الأربعين يوماً يواكبها صومٌ. فالأربعون يوماً فيها تجارب، والعدو يُجرِّب الصائمين طوال فترة صومهم. وبدون الصوم لا نتواجه في حربٍ مع العدو. فالصوم أولاً يُهيِّج علينا العدو أو يُغريه لكي يأتي ويحاربنا؛ ولكن في نفس الوقت، يُعتبر الصوم سلاحاً في أيدينا نستطيع به أن نكشف حِيَل العدو.

❖ أما الأربعون يوماً التي صامها الرب، في العهد الجديد، فهي تُمثِّل انتقالاً، انتقالاً من حياة المسيح قبل المعمودية والامتلاء، إلى حياة الخدمة فيما بعد المعمودية والامتلاء من الروح القدس؛ لأن الرب نزل من جبل التجربة وابتدأ يخدم في الحال: «**ورجع يسوع بقوة الروح إلى الجليل، وخرج خبر عنه في جميع الكورة المحيطة. وكان يُعلِّم في مجامعهم مُمجَّداً من الجميع**» (لو ٤: ١٤).

وبالنسبة إلى الرب يسوع، فهذه الفترة كان لابد منها للانتقال من حياة عادية متمشِّية مع حياة البشر قبل بدء خدمته، إلى حياة تتضح فيها الرسالة، ويتضح فيها عمل المسيح. ثم في نهاية فترة الأربعين المقدسة، كما تُرتِّب الكنيسة، يأتي أسبوع الآلام ثم الصليب.

+ «**وكان (المسيح) يُقتاد بالروح في البرية أربعين يوماً يُجرَّب من إبليس. ولم يأكل شيئاً في تلك الأيام. ولما تمَّت، جاع أخيراً**» (لو ٤: ١،٢).

لاحِظوا هنا، أنه لما جاع الرب، بدأ العدو يتدخَّل، ليس بصورة منظورة، ولكن - كما يقول الآباء أو حسب الاختبار المعروف - بالمنظر المعقول، أو النفس هي التي تُجرَّب برؤيا واضحة، ولكن ليست عينيَّة.

التجربة الأولى (تجربة تحويل الحجر إلى خبز):

+ «**وقال له إبليس: إن كنتَ ابن الله، فقُل لهذا الحجر أن يصير خبزاً**» (لو ٤: ٣).

تجربة التشكيك فيما سمعه المسيح من صوت الآب:

هذه هي أول تجربة واجهت المسيح. «**إن كنتَ ابن الله**»، فهنا العدو جاء ليُشكِّك المسيح فيما سمعه من صوتٍ من السماء عند معموديته: «أنت ابني الحبيب بك سُررتُ» (لو ٣: ٢٢). فالتجربة هنا مُصوَّبة على المسيح لتشكيكه في هذا الصوت الذي سمعه، وبالتالي في كيانه من الداخل. بمعنى: "إن كنتَ أنت حقاً ابن الله، كما استُعلِنتَ، وكما سمعتَ من السماء؛ فإنه **يكون في استطاعتك أن تَخلِق**. أي تستطيع أن

تقول لهذا الحجر أن يصير خبزة". ألم ينفجر من الصخرة في البرية قديماً ماء (خر ١٧: ٦؛ مز ٧٨: ٢٠)؟! «والصخرة كانت المسيح» (١كو ١٠: ٤). والشيطان يعي هذا، ولكنه لم يَقل للرب أن يُفجِّر من الحجر ماءً، لأن الرب كان جائعاً.

هنا عنصر هام يعمل من خلاله العدو، هو الصوت المسموع من السماء، والذي لم يحتمله العدو، وعرف أنه قد دخل في حرب، وأن الانهزام سينتظره لا محالة. ولذلك بدأ الحرب بعد أن امتلأ المسيح من الروح القدس، واستُعلِن أمام الجميع – من خلال الصوت الذي سُمِعَ آتياً من السماء – أنه "ابن الله". فالشيطان بمجرد أن أدرك ذلك، بدأ يُشهِر سيفه بالحرب.

❖ **فالتجربة تأتي طبقاً للمناسبة**، والمناسبة هنا (الجوع) واضحة جداً للدخول في التجربة. فعندما يجدك العدو جائعاً، يُشكِّكك في جدوى عدم الأكل وعدم الشُّرب. فعندما يجدك تتنسَّك، بمعنى أنك لا تريد شيئاً من هذا العالم، يبدأ يُحاربك في أمور العالم. وهكذا دائماً مع التجربة توجد المناسبة. ومع المناسبة يستخدم العدو أسلحة أخرى مثل **عنصر المفاجأة**. ولكن أهم أسلحته هي المناسبة. فالناسك أو المتوحِّد في الجبل، بماذا يُحاربه العدو؟ يُحاربه ويُغريه في الأشياء التي قد بدأ يَعزِف أو يمتنع عنها أو يتنسَّك عنها. تماماً مثلما فعل العدو مع الرب: «إن كنتَ أنت ابن الله»، هنا يُشكِّك المسيح فيما سمعه من صوت من السماء. «فقل لهذا الحجر أن يصير خبزاً»، بمعنى: "إنك أنت الابن، وأنت الخالق، والقادر أن تُحوِّل هذا الحجر إلى خبز، فتأكل".

نفس التجربة تُداهمنا ونحن في مرحلة التوبة:

❖ **وهذا هو ما نستطيع أن نُطبِّقه على أنفسنا**. فأول تجربة تُداهمنا، خصوصاً إن كنا في مرحلة توبة أو في مرحلة انتقال من وضعٍ إلى وضع؛ هي **تجربة الإيمان**. فما دمتَ قد نويتَ السَّفَر والهجرة إلى الوطن الأفضل، فلابد أن تَعْبُر منطقة التجربة.

❖ إذن، ارتحالنا من وطننا الأرضي، ومن الخيمة المَطْويَّة، إلى البيت السماوي غير المصنوع بيدٍ، إلى الأمجاد والشركة، أمجاد المسيح والميراث معه فيما للآب؛ هذا ليس بالأمر الهيِّن. فهي مرحلة طويلة، لابد أن نَعْبُر فيها الأربعين يوماً؛ ولكن بالمفهوم الأوسع. فالأربعون يوماً تمثِّل الحياة برمتها، التي فيها نرتحل ونهاجر من موضع إلى موضع أفضل، من وضع أرضي إلى وضع سماوي. فالتجربة في هذه المرحلة، تواجهنا ونحن في حالة نسك، في حالة صوم.

إذا كان تشكيك العدو للمسيح مُصوَّب نحو بنوَّته لله؛ فإنَّ تشكيك العدو لنا سيُصوَّب نحو **يقيننا من الخلاص الأبدي**، وفي حقيقة الوطن السماوي الذي نحن مرتحلون إليه: "هل يوجد وطنٌ سماوي؟ هل ابن الله موجودٌ فعلاً؟ هل هو كائنٌ فوق ليُعدَّ لنا مكاناً أو منازل في بيت أبيه؟ إذا كان هذا الإيمان صحيحاً، وإن كنتَ أنت مدعوّاً لملكوت السموات، وإن كنتَ تتبع المسيح فعلاً، والسماء هي غايتك؛ ألاَ يُستعلَن هذا بالفعل، في معجزة أو ما شابه ذلك؟ ألم تستمر في صيامك لمدةٍ (إلى المغرب، أو تطوي الأيام يوماً أو يومين)؟ هل هذا كله يضيع عبثاً؟ ألم ينظر الله إلى صومك؟ فلابد أن تنال شيئاً وأنت في الطريق: معجزة، أو

آية، أو رؤيا في الليل، أو أي شيء يمنحه لك الله؟".

كيفية المواجهة:

❖ هنا النفس في احتياج شديد للتحقُّق من مسيرتها، والتحقُّق من الإيمان الذي تتسلَّح به وتسير بقوته على الطريق. هذا الإيمان هو إيماننا بالمسيح أنه "ابن الله".

❖ فالعدو في تجربته للمسيح، قدَّم أقصى ما عنده من التشكيك والحَبْك المدهش الذي يتفق مع المناسبة. فكل العلامات المؤكَّدة عن مجيء المسيَّا (عند اليهود) كانت أنه عندما يأتي سيُنزل خبزاً من السماء، تماماً كما أنزل الله لبني إسرائيل خبزاً من السماء (المَنّ) وهم في البرية. وكل تعاليم الربِّيين، بالنسبة لمجيء المسيَّا، مبنية على هذا الأساس. لذلك جرَّب إبليسُ الربَّ قائلاً: «إن كنت ابن الله، فقلْ لهذا الحجر (كما كان الحجر في برية سيناء) أن يصير خبزاً»، وكما كانت المياه تتدفَّق من الصخرة لبني إسرائيل في برية سيناء، والصخرة كانت تتبعهم.

تجربة الاحتياج إلى برهان:

❖ **عنصر المناسبة هو الحَبْك** الذي يُقدِّمه العدو للمجرَّب. فيأتي العدو للناسك أو العابد، أو الإنسان الصائم الذي قد نوى أن يعيش حياة أفضل أو يتمرَّس في حياة التوبة، لينتقل يوماً فيوماً من حال إلى حال أفضل، أو من حياة حسب الجسد إلى حياة حسب الروح؛ والإنسان يختبر ذلك في إيمانه الذي هو متمسِّك به أنه **لابد أن يكون له برهان!** "هل هو مجرد إيمان فقط؟ هل تؤمن فقط بابن الله، وأنَّ المسيح موجود فعلاً؛ إذن، فكيف لا يصنع لك آية؟". هذه هي التجربة الأولى التي تُداهم كل ناسك، وكل

عابد، وكل صائم، وكل مرتحل على الطريق؛ أنه لابد من ظهور علامة تسند هذا الإنسان أو ذاك، فيظهر فعلاً أنه مؤمنٌ بالمسيح، وأنه (أي العابد أو الصائم) ابنٌ لله، وأنه سائرٌ على الطريق.

❖ **فإذا كُنَّا سائرين بالفعل على الطريق، فلن يَسْلَم أي واحد منَّا من هذه التجربة.** ويبتدئ الناس يتنبَّهون لنا، ويقولون: هذا ناسكٌ، وذاك عابدٌ، وذاك قديسٌ. وهنا يتدخَّل الشيطان ليُحارب ذلك الإنسان مُوَسْوِساً له: "هل أنت - كما يقولون - قديسٌ فعلاً؟ ألاَ تطلب من الله ليعمل بواسطتك آية أو معجزة؟ تضع يدك على المرضى، فيشفون! أو تعمل شيئاً يُظهِر للناس فعلاً أنك قديس!". ويبتدئ هذا الإنسان يشتكي أمام الله: "كيف يمكنني أن أكرز أو أتقابل مع الناس؟ وكيف يمكنني أن أعظهم بدون أن تؤيِّدني بآية أو معجزة أو موهبة أو ما شَابَهَ ذلك؟". هذه هي التجربة الأولى.

إجابة المسيح على هذه التجربة:

+ «**فأجابه يسوع قائلاً: مكتوبٌ: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة (تخرج) من (فم) الله"**».

الإجابة هنا سرِّية: "بكل كلمة تخرج من فم الله". فالرب يردُّ على الشيطان وكأنه يقول: "حياتي، وحياة كل إنسان، ليست بالخبز الذي نأكله، أو بالحجر الذي نحوِّله، أو من الذهب، أو من الغِنَى؛ ولكن بكلمة الله". فماذا يقصد المسيح بـ "كلمة الله" هنا، في "كل كلمة تخرج من فم الله"؟ إنه يقصد الكلمة التي خرجت من فم الله بصوتٍ مسموع: «أنت ابني الحبيب بك سُررتُ» (لو ٣: ٢٢). فالحياة هي من الكلمة

التي سُمِعَت من فم الله، من صوت الآب الآتي من السماء. والصوت والكلمة والكلام، يدخل كله في مفهوم "**اللوغوس**".

❖ "**بكل كلمة تخرج من فم الله**". كلمة الله هي مصدر حياتي، وهي الردُّ الذي نواجه به العدو بالنسبة لحياتنا وإيماننا. نقول للعدو: "**لا، أنا لا أحيا بالمعجزة، ولا بالمواهب، ولا بالفضائل الظاهرة؛ وإنما بكلمة الله!** الله هو الذي دعاني، الله الذي رعاني. فأنا أحيا بالإيمان، ليس من الضروري أن يأتيني الصوت من السماء، يكفي أنه أتى من السماء للمسيح، وقد سجَّل الإنجيليون لنا هذا الصوت". فما نقرأه في الإنجيل هو صوت الله تماماً كما أتى للمسيح. فالمرادف للصوت الذي سمعه المسيح هو ما قاله لنا المسيح: «**ليس من أجلي صار هذا الصوت، بل من أجلكم**» (يو ١٢: ٣٠)، وكما قال يوحنا المعمدان: «وأنا لم أكن أعرفه. لكن الذي أرسلني لأُعمِّد بالماء، ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومُستقِرّاً عليه، فهذا هو الذي يُعمِّد بالروح القدس. وأنا قد رأيتُ وشَهِدْتُ أن هذا هو ابن الله» (يو ١: ٣٣،٣٤).

لسنا بالخبز وحده نعيش:

❖ **فهنا الشهادة:** فالصوت أتى ليوحنا المعمدان أولاً، ثم للمسيح بعد ذلك، مع أنَّ المسيح ليس في احتياج إلى هذا الصوت، إذ هو ابن الله فعلاً. الصوت جاء ليوحنا ليُعلِن له المسيح أنه ابن الله، ويوحنا "رأى وشهد أن المسيح هو ابن الله"، والتلاميذ سجَّلوا هذا في الإنجيل. فالصوت الذي جاء إلى المسيح، وسمعه يوحنا المعمدان، وسجَّله الإنجيليون القدِّيسون؛ هذا الصوت أو هذه الكلمة التي نتمسَّك نحن بها،

هي حياتنا التي نعيش بها، وليس بالخبز نعيش.

التجربة الثانية كما وردت في إنجيل القديس متى (تجربة جناح الهيكل):

❖ إنجيل القديس لوقا يتبادل ترتيب التجارب مع إنجيل القديس متى. فإنجيل لوقا يضع تجربة الجبل قبل تجربة جناح الهيكل في أورشليم. أما إنجيل متى فإنه يضع تجربة جناح الهيكل ثم تجربة الجبل. فالقديس متى يُرتِّب التجارب كما وقعت بالفعل (حرفياً)، وضعها كما نُقلت إليه. أما القديس لوقا فيُرتِّب التجارب حسب ترتيبها المنطقي الذي يُقدِّمه لشعوب العالم، ولها مفاهيم كبيرة. فإذا أخذنا التجارب حسب ترتيب القديس متى، تكون أوضح لنا، لأن تجربة الهيكل هي تجربة قُدِّمت للمسيح مباشرة، بعدما هَزَم العدو في التجربة الأولى أي في تجربة اختبار الإيمان والتشكيك فيه. ولذلك فإن إبليس تقدَّم للمسيح بتجربة الهيكل كما لو أنه يقول له: "أنت تريد الآن أن تخدم!".

تلميحٌ فقط على تجربة "الجبل العالي":

+ «**ثم أصعده إبليس إلى جبلٍ عالٍ، وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظةٍ من الزمان**» (لو ٤: ٥).

عبارة: "**في لحظة من الزمان**"، تُظهِر أنها لم تكن رؤيا عينية، أو انتقالاً جسدانياً بأن ينتقل الجسد من موضعه ويحطَّ على قمة جبلٍ عالٍ ليُريه إبليس جميع ممالك المسكونة؛ ولكن هذه الرؤيا كانت بالمنظر المعقول، أو كانت رؤيا نفسانية، استطاع من خلالها المسيح أن يرى فعلاً جميع ممالك المسكونة في لحظة خاطفة!

+ «وقال له إبليس: لك أعطي هذا السلطان كله ومجدهُنَّ، لأنه إليَّ قد دُفِعَ، وأنا أعطيه لِمَن أُريد» (لو ٤: ٥،٦).

فإنَّ «العالم كله قد وُضِعَ في الشرير» (١يو ٥: ١٩). ولكن هذا العالم الذي لإبليس ليس هو عالم القدِّيسين، ليس هو عالم الطُّهر؛ ولكنه عالم الأكل والشُّرب والشهوة وأمجاد الدُّنيا الزائلة. هذا العالم الزائل هو عالم الشيطان. ولكن في العالم يوجد أيضاً مَن هم للمسيح، والذين من أجلهم أرسل الله الآب ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به.

❖ ويُكمِل إبليس حديثه قائلاً: «فإن سجدتَ أمامي، يكون لك الجميع». فأجابه الرب يسوع: «"اذهب (عني) يا شيطان. إنه مكتوبٌ: للرب إلهك تسجد، وإيَّاه وحده تعبد"» (لو ٤: ٧،٨).

ولكن، تجربة "جناح الهيكل"، كما وردت في إنجيل متى، هي التجربة الثانية:

+ «ثم جاء به إلى أورشليم وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: إن كنتَ أنت ابن الله، فاطرح نفسك من هنا إلى أسفل. لأنه مكتوبٌ: أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك. وأنهم على أياديهم يحملونك، لكي لا تصدم بحجرٍ رجلك» (لو ٤: ٩-١١).

فعندما وجد إبليس أن الربَّ يسوع متمسِّك بكلمة الله، تقدَّم إليه من مدخلٍ آخر: «اطرح نفسك من هنا إلى أسفل. لأنه مكتوب (في التوراة) أنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك...». "هذا هو كلام الله الذي أنت متمسِّك به - كما يقول إبليس للرب - وهذا أفضل شيء تستطيع من خلاله أن تُظهِر نفسك للعالم كله. فإنك ستقف على جناح الهيكل من

الخارج، وليس من الداخل، لأنك إذا خدمتَ من داخل الهيكل ستكون مثل أي إنسان فرِّيسي، بمعنى أنك تتبع العهد القديم أو الناموس أو الوصايا؛ ولكنك جئتَ لكي تخدم وتعمل عهداً جديداً. لذلك يجب أن تقف على جناح الهيكل وليس من داخله، وليس بالكلمة تعظ وتُقنِع الناس، ولكن بإظهار ذاتك، بإعلانك عن نفسك، تطرح نفسك من فوق جناح الهيكل إلى أسفل بموكبٍ عظيم، وأنت تطير في الهواء؛ وحينئذ يصرخ الناس قائلين: هذا هو المسيَّا".

تجربة إظهار المسيح ذاته:

❖ هذه هي التجربة التي حارب بها إبليسُ الربَّ يسوع، على مدى الإنجيل والخدمة كلها (ثلاث سنوات ونصف). فالمعجزات التي تُصنع يحاول دائماً العدو أن يعكسها **لكي تُظهِر الشخص وتستعلنه هو.** ولكن الرب يسوع عندما كان يصنع آية أو معجزة، **فإنه لم يكن يُعلِن بها عن نفسه هو، وإنما عن الآب الذي أرسله؛ لا لكي يُظهِر ذاته، وإنما لكي يُظهِر محبة الله الآب.**

فالرب عندما شفى العُمي، فإنه قد تحنَّن عليهم، ومجَّد الآب الذي أرسله، لا لكي يُظهر لهم أنه هو المسيَّا. هذا عكس ما أراده الشيطان، فإنه يقول للرب: "اعمل معجزة، اطرح نفسك من هنا إلى أسفل، لكي تظهر أنك رجلٌ عظيم، أنك أنت المسيَّا". ولكن الرب في صُنعه للآيات والمعجزات، استخدمها لا لكي يُظهِر نفسه، وإنما لكي يُظهِر الله الآب؛ لكي يُعلِن صفات الله وصفاته هو "تحنَّن عليهم وشفاهم"، وليس لكي يُعلِن ذاته.

معجزات المسيح لم تكن لإظهار مجد المسيح بل مجد الآب:

الشيطان يحاول جاهداً أن يُحوِّل المعجزة لمجد المسيح، ولكن المسيح كان يختفي في الحال (لو ٢٤: ٣١؛ يو ١٢: ٣٦). وعندما صنع المسيح معجزة الخمس الخبزات والسمكتين، وأطعم هذا الشعب الهائل، «فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع، قالوا: إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم»، هذا هو الخبز الذي نزل من السماء وأطعم هذه الجموع، هذه علامة أن هذا هو "المسيّا". «**وأما يسوع فإذ علِمَ أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه، ليجعلوه مَلِكاً، انصرف أيضاً إلى الجبل وحده واختفى في الحال**» (يو ٦: ١٤، ١٥).

بالنسبة لنا، كل ما يعمله الله لنا، يعكسه العدو ليُظهِر أننا أتقياء:

عندما نأخذ هذه التجربة على أنفسنا لنواجهها، ويكون ما فعله المسيح هو منهج لحياتنا، نجد أن كل ما يعمله الله لنا، يحاول العدو أن يعكسه ويُعلنه للناس، لا ليتمجَّد الله فينا؛ وإنما ليُظهِر للناس أننا أتقياء، أو عظماء، أو قدِّيسين، أو مقتدرين، أو أصحاب مواهب وفضائل. فإذا قَبِلْنا هذا فإنه يُدمِّر حياتنا الروحية. ولكن الوضع الصحيح هو أن تقول للعدو: "**اذهب يا شيطان**"! "لا يمكن أن تتحوَّل كرامة الله لي، ولا يمكن أن يتحوَّل ما يصنعه الله من معجزات أو ما يُعطيه من مواهب إلى كرامة أو مجد أو تقديس لي. فأنا أرفض هذا، إطلاقاً. أرفض أن أكون فوق جناح الهيكل، سأبتدئ من الهيكل". والمسيح لم يأتِ لينقض الناموس والأنبياء؛ بل ليُكمِّل الناموس، ويُتمِّم نبوَّات الأنبياء.

التجربة الثالثة كما وردت في إنجيل القديس متى (تجربة الجبل العالي):

لقد وضع القديس لوقا تجربة تحويل الحجر إلى خبز أولاً، ثم تجربة الجبل العالي ثانياً، ثم تجربة جناح الهيكل ثالثاً؛ وهذا هو الترتيب المنطقي. أما القديس متى - والذي نأخذ بترتيبه - فإنه وضع تجربة جناح الهيكل ثانياً، ثم تجربة الجبل العالي ثالثاً؛ وهذا هو الترتيب الطبيعي.

التجربة الثالثة (تجربة الجبل العالي بحسب القديس متى) خطيرة جداً، وهي تختص بعلاقة المسيح بالعالم كله. فالشيطان كان كما لو أنه يقول للمسيح: "عندما تبتدئ خدمتك سوف يثور العالم عليك. فإذا اتَّبعتَ ما جاء في التقليد اليهودي - الذي هو واضحٌ في التوراة - فلابد أن المسيَّا الآتي يغلب الأمم كلها، ويُخضِع له عدو اليهود الأول: الرومان. فلابد، وأنت يهودي أصيل، أن تُقاوم الرومان ولا تخضع لسلطانهم. وحينئذ يغلب شعبُ إسرائيل الأممَ والرومانَ بقوة المسيَّا، ويصير سيِّداً للعالم كله كما يقول التقليد اليهودي".

فالتقليد اليهودي يقول: "إنه عند مجيء المسيَّا سيصبح اليهودي الواحد يخدمه خمسة آلاف أُمي. والأُمم هم بالنسبة لليهود كأنهم كلاب. وعند مجيء المسيَّا سيأتي بقوةٍ واقتدار، فيغلب الأُمم ويكسرهم. يكسر تروسهم، ويحرق سهامهم بالنار".

تجربة الجبل العالي هي إغراء مقاومة السلطان الزمني:

فكل الرموز المذخرة في العهد القديم استنبطها المسيح من كلام الشيطان، وعَرِفَ أن الشيطان يُحفِّزه لكي يأخذ مكانه كمقاوِمٍ للسلطان

الزمني لكي يسود على الكل، فلا يقتلونه. كل هذه المبادئ الجديدة هي أعلى بكثير مما يتصوَّره اليهود والرومان. ولذلك كما لو أن الشيطان يقول للمسيح: "إن خضعتَ، ستموت سواء بيد هؤلاء (اليهود) أو أولئك (الرومان). ولكن إن قاومتَ (الرومان) وغلبتَهم، فستظهر (لليهود) أنك أنت هو المسيَّا. والمسيَّا يجب أن يكون فوق الجميع".

+ «**ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبلٍ عالٍ جداً، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها**» (مت ٤: ٨)،

+ «**وأنا أُعطيه لِمَن أُريد. فإن سجدتَ أمامي يكون لك الجميع**» (لو ٤: ٧).

السجود هنا هو التسليم للشيطان. كَوْن المسيح يُسلِّم للشيطان، فهذا يعني أن يكون له المنهج الفكري للشيطان. وما هو منهج الشيطان؟ **المقاومة، القوة؛ وبدلاً من أن يدعو الناس بالكلمة والحق، يدعوهم بالقوة.** هذا هو سلطان الشيطان. وكأنه سوف يتنازل عن سلطانه للمسيح، لأن أول ما يخافه الشيطان، هو **الصليب**. ولذلك يُظهر منهجه للمسيح قائلاً: "أليس كل ما تجسَّدتَ من أجله أن تكون سيِّداً على العالم، ومَلِكاً عليه. فما الداعي للصليب؟ أنا سوف أُعطيك كل ممالك العالم، لأنها تخصُّني، «**إن سجدتَ أمامي، يكون لك الجميع!**»".

❖ إذا تذكَّرنا ما قاله بيلاطس البنطي للمسيح: «**ألستَ تعلم أن لي سلطاناً أن أصلبك، وسلطاناً أن أُطلِقك**». فأجابه الرب: «**لم يكن لك عليَّ سلطانٌ البتة لو لم تَكُن قد أُعطيت من فوق**» (يو ١٩: ١٠، ١١). وهذا ما ردَّ به الرب يسوع على الشيطان: «**اذهب يا شيطان، لأنه**

مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإيَّاه وحده تعبد» (مت ٤: ١٠؛ لو ٤: ٨). وفي صلاة المسيح الشفاعية للآب قال: «والآن مجِّدني أنت، أيها الآب، عند ذاتك، بالمجد الذي كان لي عندك قبل كَوْن العالم. أنا أظهرتُ اسمك للناس الذين أعطيتَني من العالم... والآن عَلِموا أن كل ما أعطيتَني هو من عندك، لأن الكلام الذي أعطيتَني قد أعطيتُهم» (يو ١٧: ٥-٨). وفي موضع آخر يقول الرب يسوع: «**أيها الآب: مجِّد اسمك**»؛ فجاء صوت الآب من السماء: «**مجَّدتُ، وأُمجِّد أيضاً**» (يو ١٢: ٢٨).

ردُّ المسيح على الشيطان:

+ «**للرب إلهك تسجد، وإيَّاه وحده تعبد**».

فالمنهج الفكري الأعلى الذي عاش به المسيح طوال حياته على الأرض، هو أن يُعطي الكرامة والمجد للآب: «أنا مجَّدتُك على الأرض» (يو ١٧: ٤)؛ فجاءه صوتٌ من السماء: «مجَّدتُ، وأُمجِّد أيضاً» (يو ١٢: ٢٨).

هنا في هذه التجربة، تجربة الجبل العالي، نجد أن المسيح يتمسَّك بشدة بأنْ يُعطي المجد لله الآب، والعبادة والسجود لله الآب؛ حتى ولو لم يأخذ شيئاً من ممالك العالم، حتى لو كان العالم كله ضده، حتى لو صُلِبَ.

تطبيق ذلك على حياتنا:

إغراء استخدام القوة والسياسة والمال والمُداهنة:

إذا طبَّقنا هذا الكلام على أنفسنا، فسيتضح لنا أنه طوال مدة هجرتنا ومسيرتنا على الطريق الكَرِب، سنُدعَى لكي نتخذ من فكر الشيطان منهجاً لنا، لكي نتلافَى العقبات، أو نجوز الضيقات. والمنهج الفكري

للعدو، هو استخدام القوة، أو استخدام الخبث، أو السياسة، أو استخدام المال، أو المُداهنة. هذه كلها هي أسلحة الشيطان وسلطانه. ومعروفٌ أن سلطان الشيطان يقوم على الكذب، والخداع، والقوة، والسلطان الزمني. وكل مَن يسير على طريق الحياة الأبدية سيُدعَى لكي يستخدم كل هذه الأسلحة الشيطانية.

لقد كان المسيح واضحاً منذ الابتداء أنه جاء ليُصلب لكي يتمَّ الفداء، فحينما ردَّ على الجنود: «قال لهم: مَن تطلبون؟ أجابوه: يسوع الناصري. قال لهم يسوع: أنا هو... ثم إنَّ الجُند والقائد وخُدَّام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه» (يو ١٨: ٤،٥،١٢). فالمسيح في كل حياته على الأرض كان يُمجِّد الآب، وجاء لكي يُسلِّم نفسه للموت من أجل خلاص العالم. ولم يستخدم سلطانه الشخصي لإعلان نفسه، ولم يستخدم اقتراح الشيطان حتى آخر لحظة من حياته. فقد قال: «رئيس هذا العالم يأتي، وليس له فيَّ شيء» (يو ١٤: ٣٠). هذا هو الردُّ الذي واجه به الربُّ يسوع الشيطانَ، وغَلَبَه بالصليب.

ولربنا المجد الدائم أبدياً، آمين.

العظة الحادية عشرة

إخراج الأرواح النجسة

يوم الجمعة من الأسبوع الثالث من الصوم المقدس

«١٤وَكَانَ يُخْرِجُ شَيْطَاناً وَكَانَ ذلِكَ أَخْرَسَ. فَلَمَّا أُخْرِجَ الشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ الأَخْرَسُ فَتَعَجَّبَ الْجُمُوعُ. ١٥وَأَمَّا قَوْمٌ مِنْهُمْ فَقَالُوا: "بِبَعْلَزَبُولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ". ١٦وَآخَرُونَ طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ يُجَرِّبُونَهُ. ١٧فَعَلِمَ أَفْكَارَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: "كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تَخْرَبُ وَبَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى بَيْتٍ يَسْقُطُ. ١٨فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ أَيْضاً يَنْقَسِمُ عَلَى ذَاتِهِ فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَمْلَكَتُهُ؟ لأَنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنِّي بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ. ١٩فَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ. ٢٠وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ بِإِصْبِعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ. ٢١حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ دَارَهُ مُتَسَلِّحاً تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ. ٢٢وَلكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ. ٢٣مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ عَلَيَّ وَمَنْ لاَ يَجْمَعُ مَعِي فَهُوَ يُفَرِّقُ. ٢٤مَتَى خَرَجَ الرُّوحُ النَّجِسُ مِنَ الإِنْسَانِ يَجْتَازُ فِي أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ يَطْلُبُ رَاحَةً وَإِذْ لاَ يَجِدُ يَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي الَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ ٢٥فَيَأْتِي وَيَجِدُهُ مَكْنُوساً مُزَيَّناً. ٢٦ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَأْخُذُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ أُخَرَ أَشَرَّ مِنْهُ فَتَدْخُلُ وَتَسْكُنُ هُنَاكَ فَتَصِيرُ أَوَاخِرُ ذلِكَ الإِنْسَانِ أَشَرَّ مِنْ أَوَائِلِهِ!"»
(لو ١١: ١٤-٢٦)

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين

قد يبدو، يا أحبائي، أن إنجيل قدّاس هذا الصباح لا يختص بمسيرتنا

كثيراً، أو بموضوع تأمُّلنا المستمر عن الصوم وعن الطريق وعن الارتحال الطويل الذي بدأناه، وليس لنا غاية أو نهاية إلاَّ بأن ننال الجعالة (المكافأة) العُليا. ولكن بقليل من التأمُّل، نجد أن هذا الإنجيل مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بإنجيل يوم الثلاثاء الماضي (يو ٨: ٣١-٣٩)، عندما قال الرب يسوع لليهود: «لكنكم تطلبون أن تقتلوني، لأن كلامي لا موضع له فيكم». قال لهم هذا الكلام، بالرغم من أنه كان قد كلَّمهم كثيراً، ولكن انطبق عليهم مَثَل الزارع الذي خرج ليزرع: «وفيما هو يزرع سقط بعضٌ على الطريق، فجاءت الطيور وأكلته»، وقد شرحها المسيح بقوله: «كل مَن يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم، فيأتي الشرير ويخطف ما قد زُرِع في قلبه (أي في قلب الإنسان). هذا هو المزروع على الطريق» (مت ١٣: ٤، ١٩). معنى هذا أن الشيطان قد خطف الكلمة من قلوب اليهود، فلم تسترح الكلمة في قلوبهم، وصارت قلوبهم مسكناً للعدو. لذلك قال الرب في بداية حديثه معهم: «إن ثبتُّم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي» (يو ٨: ٣١).

شفاء حالة خَرَس ناتج عن طغيان الشيطان:

❖ ابتدأ إنجيل قدَّاس هذا الصباح هكذا: «**وكان (الرب يسوع) يُخرِج شيطاناً، وكان ذلك أخرس**» (لو ١١: ١٤).

«وكان ذلك أخرس»، هنا انعدام الكلمة بصورة طبيعية جسدية. الخَرَس هنا - يُشخِّصه الأطباء - بأنه ما دام خَرَساً مستمراً ولا يُصاحبه صَمَم؛ فهو خَرَس غير طبيعي، ليس عضوياً. لأنه من الناحية الطبيعية، إذا أصاب الصمم إنساناً، فإنه يفقد بالتالي القدرة على الكلام أيضاً. ولكن

الخَرَس المذكور في هذا الإنجيل، هو تشخيصٌ واضح أن هذا الشخص الأخرس مصابٌ بعمل الشيطان. فهذا الشخص المُصاب بالخرس يكون في حالة صمت مُطبَق، أو في حالة صراخ. وهذا ما يحاول الأطباء علاجه، بدون تقدُّم ملحوظ.

❖ والسؤال المطروح الآن: **هل توجد علاقة ما بين حياة الإنسان السابقة، وبين ما وصل إليه من تدهور؟** هنا لا أقصد الوراثة، ولكن السلوك؛ ذلك لأن حالة الخرس هذه، ناتجة عن طغيان الشيطان على هذا الشخص، حتى أن الأعراض التي تظهر تبدو أنها طبيعية، أو عضوية. ولكن في حقيقة الأمر، هي إصابة من العدو. فعندما يدهم الشيطان أو يهيمن على عضوٍ من أعضاء إنسان، فإنه يُصيبها إصابة تبدو أنها عضوية في تشخيصها، ولكنها غير طبيعية في حقيقتها.

فشلوا في شفاء هذا الأخرس:

+ «**فلما أُخرِج الشيطانُ، تكلَّم الأخرس. فتعجَّب الجموع**» (لو ١١: ١٤).

عندما أخرج المسيحُ الشيطانَ المهيمن على هذا الإنسان الذي أُصيب بالخرس، تكلَّم الأخرس؛ مِمَّا يُظهِر أن هذا الخَرَس هو من عمل الشيطان.

«**فتعجَّب الجموع**». لماذا تعجَّبوا؟ لأنه يبدو أنهم حاولوا محاولات عديدة لشفاء هذا الإنسان الأخرس، وكلها باءت بالفشل. وأيضاً في موضعٍ آخر، جاء إنسانٌ إلى المسيح قائلاً: «يا سيد، ارحم ابني فإنه يصرخ ويتألَّم كثيراً... وأحضرتُه إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه...

ثم تقدَّم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا: لماذا لم نقدر نحن أن نُخرجه؟ فقال لهم يسوع: ... "أما هذا الجنس فلا يخرج إلاَّ بالصلاة والصوم" (مت ١٧: ١٤-٢١).

افتروا على المسيح أنه ببعلزبول رئيس الشياطين أخرج الشيطان:

فعندما حاولت الجموع علاج هذا الإنسان الأخرس وفشلوا؛ تعجَّبوا جداً عندما رأوا أن الرب استطاع بقدرته أن يُخرج الشيطان من هذا الإنسان الأخرس، وأنه تكلَّم.

+ **«وأما قومٌ منهم فقالوا: ببعلزبول رئيس الشياطين يُخرج الشياطين»** (لو ١١: ١٥).

وقد تكلَّمتُ بإسهاب في عظةٍ سابقة (عظة المرأة الكنعانية) عن كلمة "بعلزبول"، وهي تتكوَّن من مقطعين: "بال" أو "بعل"، وتعني "سيِّد" أو "رب"؛ و"زبول" وهي تُنطق نُطقين: "زبول" و"زبوب". والنُّطقان لهما أصل في المفهوم العبري وفي حياة البشر الذين يعيشون في هذه المناطق.

النُّطق الأول: "زبوب" أي "ذباب". فيكون معنى كلمة "بعلزبوب" هو "إله الذباب" أو "رب الذباب". وهو نوع من الهُزء أن يُلقَّب رئيس الشياطين بهذا اللقب. وإذا فحصنا في الوضع الذي كان يعيش فيه أهالي هذه المنطقة، نجد أنها مدينة على الساحل اسمها "عكرون"، وهي مدينة تحت مستوى البحر، ولذلك يكثر فيها الذباب بشكل بشع جداً، ولم يكن في ذلك الحين مبيدات تستطيع أن تُقاوم هذه الحشرة الضارة. ويعلم الأطباء كم من الميكروبات تحملها هذه الحشرة. في أيام دراستي كانت هذه الحشرة تحمل حوالي ٣٢ ميكروباً، تنقل ٣٢ مرضاً، من ضمنها

وأهمها التيفود، وهو وباء قد يُميت الآلاف إذا أصابها. ومن ضمن الأمراض: الدوسنتاريا، والرمد الحبيبي والصديدي، ومعظم النزلات المعوية التي تُصيب الأطفال. وفي هذه المناطق البدائية، عندما يجدون أي عنصر من عناصر الطبيعة يبدو ذا بأسٍ، فإنهم في الحال، ولكي يتَّقوا شر هذا العنصر، فإنهم يهابونه إلى درجة العبادة. والشيطان، عند العامة وغير المؤمنين وغير المتمسِّكين بالمسيح، مرعبٌ ومخيف؛ ولذلك يدعون رئيس الشياطين "بعلزبوب" أي إله الذباب.

❖ في قصة القديس مكسيموس، نقرأ في "بستان الرهبان"، أنَّ القديس أنبا مقار الكبير رأى الشيطان كالذباب على فم القديس مكسيموس، وهو يريد أن يدخل فمه، ولكن سيفاً من نار أو حَبْلاً من نار كان يمنعه. هذا وَصْفٌ عيني رائع، يُظهِر الشيطان كذباب. هنا التنقيص من هيئة الشيطان لا ينفي فعاليته. ولكن الرب يسوع لم يتركنا أمام عدو لا يُقهر؛ فهو مقهورٌ بقوة ربنا يسوع المسيح.

النُّطق الثاني: "بعلزبول" من "زبالة"، أو من "زِبْل" أي القذارة التي تخرج من الحيوان. فـ "بعلزبول" هو "إله الزبالة" أو "إله القذارة". وهذا نوع من التحقير المريع لرئيس الشياطين. وهذا له أصل، لأن أشدَّ ما يُنجِّس الإنسان - واليهودي خاصةً، وكذلك بقية الأُمم بصفة عامة - كانت هي القذارة التي تخرج من المخرج. وهذا يُسمِّيه اليهود "نجاسة"، وهي الشيء الذي يجعل الإنسان في وضعٍ لا يستطيع فيه أن يُصلِّي أو يعبد. ولذلك سُمِّي رئيس الشياطين "بعلزبول" أي "إله القذارة" التي هي النجاسة عينها. ولذلك سُمِّيت الأرواح الشريرة في مواضع أخرى من الإنجيل "أرواحاً نجسة". لماذا؟ لأنها ذات علاقة بما يُنجِّس الإنسان (في

العُرف اليهودي) ويمنعه من الصلاة أو من العبادة أو من الوجود في حضرة الله.

الأرواح الشريرة نجسة، وتدفع الإنسان إلى النجاسة:

والأرواح الشريرة هي أرواح نجسة، لأنها فعلاً تدفع الإنسان إلى الخطية والتعدِّي الذي يبلغ إلى حدِّ النجاسة الذي هو الزنا. وأشد ما يصيب الإنسان من الشيطان بصورة واضحة وصورة قاهرة هو الزنا بالذات. فالروح الشرير هو روح نجس، وله علاقة مباشرة بالزنا. والآباء وضعوا الزنا ضمن الأوجاع الثمانية، وهي الأمراض التي تُصيب النفس. وقد جاء العالِم فرويد - وإن كنتُ لا أؤيده كثيراً - ووضع غريزة الجنس في القمة. فقد قسَّم الغرائز إلى ١٤ غريزة في عصره، ووضع غريزة الجنس كأشد وأقوى الغرائز والتي منها تندرج جميع الغرائز. فهنا العلم يضع تأكيداً أكثر.

+ **«وأما قومٌ منهم فقالوا: ببعلزبول (أو بعلزبوب) رئيس الشياطين يُخرِج الشياطين»** (لو ١١: ١٤،١٥).

فما معنى "رئيس الشياطين" و"الشياطين"؟ كان يوجد قديماً مَن يُسمَّوْن بـ "المُعزِّمين"، وكذلك التلاميذ، كانوا يُخرجون الشياطين. وقد ورد في سفر أعمال الرسل (١٩: ١٣-١٦) عن قوم من اليهود الطوَّافين المُعزِّمين شرعوا «أن يُسمُّوا على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين: نُقسِم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس. وكانوا سبعة بنين لسكاوا رجُل يهودي رئيس كهنة الذين فعلوا هذا. فأجاب الروح الشرير وقال: أمَّا يسوع فأنا أعرفه، وبولس أنا أعلمه، وأما أنتم فمَن

أنتم؟ فوثب عليهم الإنسان الذي كان فيه الروح الشرير وغلبهم وقَوِيَ عليهم، حتى هربوا من ذلك البيت عُراة ومُجرَّحين». فهؤلاء لم يكن عندهم السلطان، وليس لهم أصبع الله، ولم يكونوا يُخرجون الشياطين باسم المسيح، وحتى إذا خرجت فهو خروج مؤقت. وكان في عُرف اليهود، وإلى الآن عند بعض الشعوب، توجد شياطين صغيرة وشياطين كبيرة، كانوا يُسمُّونها "أسياداً". ولكن اليهود وجدوا أن المسيح لديه قوة كبيرة، فقالوا إنه «برئيس الشياطين يُخرج الشياطين».

❖ والمسيح حقّاً "رئيس"، وأيضاً الشيطان يُسمَّى "رئيساً". والمسيح هو صاحب الملكوت. فهنا ملكوت مقابل ملكوت.

+ **«وأما قومٌ منهم فقالوا: ببعلزبول رئيس الشياطين يُخرج الشياطين. وآخرون طلبوا منه آيةً من السماء يُجرِّبونه»** (لو ١١: ١٥،١٦).

فما الصلة بين قول البعض منهم عن المسيح أنه «ببعلزبول رئيس الشياطين يُخرج الشياطين»، وبين طَلَب آخرين آيةً منه؟ فما دام المسيح - في عُرف اليهود آنذاك - يكسر الناموس ويكسر السبت ويكسر الوصايا، فإنه من غير المعقول - في نظرهم - أن يُخرِج الشياطين بقوة الله، ولكنه يُخرجهم بقوة رئيس الشياطين. هذا كان المنطق اليهودي، وهو منطق عاجز.

يطلبون آية من المسيح:

❖ أما الآخرون فكانوا أكثر مكراً، فقد «**طلبوا منه آية من السماء يُجرِّبونه**».

وكأنهم يريدون أن يقولوا للمسيح: "إن كنتَ تريد أن تنفي هذه التهمة عنك، أنك برئيس الشياطين تُخرج الشياطين، فيلزم أن تصنع لنا آية من السماء مُبهرة، تُظهِر لنا أنك من السماء وأنك أتيتَ من الله".

+ **«فعَلِمَ أفكارهم وقال لهم: كل مملكة مُنقسمة على ذاتها تَخْرَب، وبيت مُنقسم على بيت يسقط. فإن كان الشيطان أيضاً ينقسم على ذاته، فكيف تثبت مملكته، لأنكم تقولون: إني ببعلزبول أُخرج الشياطين. فإن كنتُ أنا ببعلزبول أُخرج الشياطين، فأبناؤكم بمَن يُخرجون»** (لو ١١: ١٧-١٩).

"أبناؤكم" تعني: إما الرسل، وقد أعطاهم المسيح فعلاً السلطان على الأرواح الشريرة لكي يُخرجوها؛ وإما الجماعة المُسمَّاة "المُعزِّمون"، وقد كانوا موجودين أيام المسيح وقبله، لأن اليهود مشهورون بعمل الأحجبة والسِّحْر واستحضار الشياطين واستخدامهم وما إلى ذلك، وقد أخذوها عن المصريين عندما توطَّنوا في أرض مصر.

وفي الكنيسة الأولى كان يوجد جماعة يُطلَق عليهم "المُعزِّمون"، وكانت لهم أوشيَّة خاصة هي "أوشية المُعزِّمين". وكانوا جماعة من عامة الشعب عندهم موهبة إخراج الشياطين، فكانت الكنيسة تضمهم في طقسٍ معيَّن هو "طقس المُعزِّمين". وكان لهم رسالة أو عمل داخل الكنيسة. وقد توقَّف هذا الطقس في عصرنا هذا.

معنى "أَصْبع الله":

❖ **«فأبناؤكم بمَن يُخرِجون»**؟ هذا هو البرهان الثاني! أما البرهان الأول:

+ **«كل مملكة مُنقسمة على ذاتها تَخْرَب». فالشيطان لا يستطيع أن يُخرج شيطاناً. «فإن كان الشيطان أيضاً ينقسم على ذاته، فكيف تثبت مملكته... ولكن إن كنتُ بأصبع الله أُخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله»** (لو ١١: ١٨، ٢٠).

"أَصبع الله" جاءت أول ما جاءت في العهد القديم أثناء وجود شعب إسرائيل في أرض مصر، وعندما بدأ الله على يد موسى يضرب المصريين بالضربات العشر، فعند ضربة البعوض «قال العرَّافون (السَّحَرة) لفرعون: هذا **أصبع الله**» (خر ٨: ١٩).

أما المرة الثانية عند استلام موسى لوحَي العهد: «ثم أعطى (الرب) موسى عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحَي الشهادة، لوحَي حجر مكتوبَيْن **بأصبع الله**» (خر ٣١: ١٨).

❖ فقول المسيح: «إن كنتُ بأصبع الله أُخرج الشياطين»، فهو يوجِّه الفكر هنا إلى مفهوم الوصايا، لأن الوصايا العشر مكتوبة بأصبع الله. ولكن "أصبع الله" الآن تُعبِّر عن وضع جديد، أراد فيه المسيح أن يُنبِّه الفكر إلى الوصايا الجديدة. فهنا "**إسرائيل الجديد**"، هنا "**موسى الجديد**"، هنا "**الشريعة الجديدة**"، هنا "**العهد الجديد**". أراد المسيح أن يُبيِّن لهم أن "أصبع الله" قد ظهر الآن بصورة قوية، وأنه "بأصبع الله" يُخرج الشياطين أمامهم بصورة واضحة وقوية، وفي حالاتٍ ميئوس منها عجز عن إخراجها المُعزِّمون.

+ **«ولكن إن كنتُ بأصبع الله أُخرِج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله».**

فالآن، أصبحت المواجهة بين ملكوت الله وملكوت الشيطان! فالشيطان «رئيس هذا العالم» كقول المسيح (يو ١٤: ٣٠): «رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء». وأيُّ عالم؟ عالم الشر. فلما أخطأ آدم، فسدت الطبيعة البشرية، وساد الموت «وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع» (رو ٥: ١٢)؛ وبالتالي سُلِّم العالم والخليقة المنظورة للشيطان. الإنسان الأول عندما تعدَّى أخطأ بإرادته، ولكن الخليقة أُخضِعَت للشيطان من جراء خطية آدم، فأصبح الشيطان رئيس هذا العالم، ولكن كما يقول بولس الرسول عن الخليقة: «إذ أُخضِعَت الخليقة للبُطْل، ليس طوعاً، بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء» (رو ٨: ٢٠). فالله لم يُخضِع الخليقة للشيطان، ولكن بسبب خطية آدم أُخضِعَت الخليقة للشيطان، فأصبح هو رئيس هذا العالم. ولكن هناك رجاء بانعتاق هذه الخليقة: «لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله» (رو ٨: ٢١).

❖ هنا مواجهة بين المسيح، وبين الشيطان. وهذا يهمُّنا جداً في مسيرتنا للحياة الأبدية، وفي جهادنا اليومي، في معرفتنا: في أيٍّ معسكر نحن عائشون؟

الأقوى يَغْلِب القوي:

+ **«حينما يحفظ القويُّ داره مُتسلِّحاً تكون أمواله في أمان. ولكن متى جاء مَن هو أقوى منه، فإنه يغلبه وينزع سلاحهُ الكامل الذي اتَّكل عليه، ويوزِّع غنائمه»** (لو ١١: ٢١،٢٢).

هنا أطلق المسيح على الشيطان اسم "**القوي**". هنا الوضع سرِّي، فما

هي دار الشيطان؟ عندما نكون مستسلمين للأهواء والشهوات، فنحن نصير داره، نصير البيت الخاص بالشيطان؛ فهنا يسود علينا ويتملَّك فعلاً. فهو يسكن بصورة فعلية، مثلما سَكَنَ في هذا الرجل المجنون الأخرس الذي تكلَّم عنه الإنجيل؛ أو يستحوذ على الإنسان بصورة ظاهرية، بأن يعمل الإنسان أعمالاً غير طبيعية، مثل أن يكذب بصورة مُريعة، أو يزني بصورة بشعة. وهنا الآباء المتمكِّنون ببصيرتهم الروحية يعرفون أن ذلك الإنسان أصبح مُهيمَناً عليه من الشيطان، وقد تملَّك على أعضاء الإنسان.

أما الوضع الأخير وهو غير منظور، أنَّ الشيطان يوسوس للإنسان بأخطاء وأفعال مُشينة وأفكار نجسة وشهوات، يملك من خلالها على الإنسان. فيظهر أنَّ الإنسان هو الذي يعمل ويُفكِّر ويسلك، ولكن في حقيقة الأمر فإنَّ الشيطان هو الذي يعمل كل هذا بصورة غير منظورة.

❖ هنا القوي (أي الشيطان) يَسْبي الإنسان ويستحوذ عليه. «**يحفظ القوي داره مُتسلِّحاً**». ما هي أسلحة الشيطان؟ شهوة زنا، شهوة نجاسة، شهوة أموال، شهوة رئاسة، شهوة كبرياء، هذه الشهوات عندما تملك على إنسان فهي أشد وأعنف من السيف. وهذه هي الأسلحة التي يحفظ بها الشيطان داره، ويُسلِّح بها نفسه، ويؤسِّس من خلالها وجوده داخل الإنسان.

فهذه الشهوات تتسلَّط على الإنسان بواسطة الشيطان إلى أن تصير كأسلحة في يد الشيطان. الإنسان إذا حاول مواجهتها يمكن أن يمرض، يكون كالمقيَّد، عقله يكون مسبياً، أعضاؤه الجنسية تكون مربوطة، قلبه

يكون مربوطاً بالشهوات والكبرياء. فالشيطان يمكنه أن يربط أعضاء الإنسان المستسلم له.

البلادة الروحية تُصيب الإنسان نتيجة هيمنة الشيطان عليه:

❖ ثم يقول المسيح: «**تكون أمواله في أمان**».

عندما يُهيمِن الشيطان على إنسان يُصيبه بالبلادة الروحية، فلا يكترث أو يهتم لا بإنجيل ولا بكنيسة ولا بكلمة وعظ. وبمجرد أن تتوارد على ذهن الإنسان أفكار توبة، يوسوس له الشيطان قائلاً: "هل أنت تصلح للتوبة؟ هل نسيتَ كل ما فعلته؟". فأسلحة العدو متماسكة ومترابطة جداً، يستخدمها متكاملة مع بعضها البعض. فلا يمكن سلاح زنا يعمل بدون سلاح كبرياء مثلاً، وشهوة كبرياء لا يمكن أن تعمل بدون شهوة رئاسة، وشهوة رئاسة لا يمكن أن تعمل بدون مشاحنات وغضب... إلخ؛ فتصبح السلسلة التي يُقيِّد بها الشيطانُ الإنسانَ عبارة عن حلقات متراصة متكاملة.

المسيح هو الأقوى، ينزع أسلحة الشيطان بالكامل:

+ «**ولكن متى جاء مَن هو أقوى منه، فإنه يغلبه**».

المسيح هنا يُعبِّر عن نفسه بأنه "**أقوى منه**". وهذا يُعطينا راحة ما بعدها راحة. إذن، الفكاك مضمونٌ، والهروب من الأَسْر مضمونٌ مائة بالمائة، إذا مَلَك المسيح. ولكن انتبهوا من هذه الجملة: «متى **جاء**...، **فإنه يغلبه**». الغلبة طبعاً تمَّت مرة واحدة، كما أن الموت الذي ماته المسيح من أجل الخطاة ماته مرة واحدة. وقد غلب المسيحُ الشيطانَ لحسابنا مرة واحدة على الصليب، كما يقول بولس الرسول: «جرَّد

(المسيح) الرياسات والسلاطين، أشهرهم جهاراً، ظافراً بهم فيه (في الصليب)» (كو ٢: ١٥). فهذه الغلبة التي غلب بها المسيحُ الشيطانَ هي لحسابنا نحن، وهي الغلبة الأولى بالنسبة لنا؛ أما بالنسبة للمسيح فهي ليست الغلبة النهائية، لأنه عند مجيئه الثاني المخوف المملوء مجداً سوف يطرح الشيطان وكل جنوده في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت.

+ «**ولكن متى جاء مَن هو أقوى منه، فإنه يغلبه، وينزع سلاحه الكامل الذي اتَّكل عليه**» (لو ١١: ٢٢).

هنا نَزْع السلاح الكامل ليس منظوراً. فمَن كان يُصدِّق أن هذا الإنسان السِّكِّير يتوب؛ أو أن هذا الرجل المشهور بالزنا وقد فضح نفسه وأولاده وبيته، يمكن أن يرجع ويتوب. وهنا أرجع وأقول إن الشياطين يُطلَق عليها "أرواح نجسة". فالعمل الأول والأعظم بالنسبة للشيطان هو النجاسة. كما ذكر بستان الرهبان عن الشيطان كيف أنه حارب راهباً حوالي ٤٠ أو ٥٠ سنة حتى أوقعه في الزنا؛ وهكذا اعتُبِر عمله عند رئيس الشياطين أنه أعظم من كل أعمال الشياطين الأخرى مع أنها كانت فظيعة، وكوفئ عليها هذا الشيطان بأن أجلسه رئيس الشياطين على كرسيه ووضع عليه التاج، كما تذكر القصة.

هذا يُوضِّح خطورة الشيطان، كيف أنه يمكنه أن يُحارب ناسكاً يمكث في البرية سنين طويلة (٤٠ أو ٥٠ سنة). وهنا أُنبِّه ذهنكم أن الخطية التي تسود العالم الآن، ليست هي البُعد عن المسيح، بقدر ما هي الزنا. الزنا في العالم كنجاسة عمَّت في كل أصناف الفئات، ولم تترك فئة من الفئات إلاَّ وأصابتها بهذا الداء. وهذا يوضِّح أن العالم مُفكَّكٌ، وأنَّ

الشيطان بدأ يُفكِّك العالم، لأن هذه الخطية كفيلة بأنْ تُخرِّب العالم.

ملكوت المسيح في مواجهة ملكوت الشيطان:

+ «مَن ليس معي فهو عليَّ. ومَن لا يجمع معي فهو يُفرِّق» (لو ١١: ٢٣).

المسيح وضع نفسه في مواجهة الشيطان. منذ أن دخل المسيح إلى البرية، وهو يُجرَّب من الشيطان، وهنا بدأت المواجهة. وبدأ المسيح فعلاً يُحطِّم مملكة الشيطان كل يوم. فكونه يُخرِج شيطاناً أخرس بهذا الشكل، فهذه حرب. ملكوتان في مواجهة وصراع مرير.

❖ ولذلك يقول المسيح: «مَن ليس معي فهو عليَّ. ومَن لا يجمع معي فهو يُفرِّق». لا توجد حالة وسط: إما مع الشيطان، أو مع المسيح! فلو لم تكن مع المسيح، لابد أن تكون مع الشيطان. وأنا أُشبِّه هذا لكم بطريقة علمية: فإنه لا يوجد في الكون فراغ مطلق. لابد أن يكون هناك حيِّز، مهما كان مغلقاً أو مُفرَّغاً منه الهواء، لابد أن يكون فيه نسبة من الهواء. وهكذا لا توجد حالة انعدام ما بين المسيح والشيطان؛ إما مع المسيح، أو مع الشيطان. فإذا قال أحدٌ: إني لا أسكر، ولا أزني، ولا أعمل أي عمل رديء، أنا رجل في حالي؛ ولكن، إن لم تكن مع المسيح، فأنت مع الشيطان.

المسيحي مُصالِح يُجمِّع مع المسيح:

ثمَّ لا يمكن أن تكون مع المسيح ولا تُجمِّع معه! لابد أن تُجمِّع، أي: توحِّد القلوب على القلوب، النفس على النفس، والنفس على الجسد، والشعب مع الشعوب؛ أن تكون إنساناً مُصالِحاً: «ولكن الكلَّ من الله

الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح، وأعطانا **خدمة (رسالة) المصالحة**.. إذاً نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله» (٢كو ٥: ١٨، ٢٠).

كل مسيحي في العالم إنسانٌ مُصالِحٌ ما بين اثنين متخاصمَيْن أو ما بين جماعتين متقاتلتين. فالإنسان الذي لا يُصالِح يكون إنساناً لا يُجمِّع مع المسيح. لا يمكن أن يكون إنسانٌ مع المسيح ويكون صامتاً، لابد أن يُجمِّع. «مَن ليس معي فهو عليَّ. ومَن لا يجمع معي فهو يُفرِّق». هذه هي الإيجابية، لابد أن تكون مع المسيح، والذي يبقى مع المسيح لابد أن يُجمِّع. وإن لم تكن مع المسيح، تكون رغماً عنك مع الشيطان، وتُفرِّق أولاد الله.

اختيارك الحُر هو بين اختيارَيْن: إما مع المسيح والمسيح معك، وهنا سيكون كل شيء يخصُّك هو تابعٌ للمسيح؛ أو لا تكون مع المسيح، وحينئذ سيُهيمِن عليك الشيطان، ويسبيك، ويتملَّك على كل حواسك، وكل إمكانياتك، وأنت لا تدري. هنا يجب أن نتنبَّه جداً لأنفسنا.

❖ والمسيح يُكمل كلامه قائلاً: «**متى خرج الروح النجس من الإنسان، يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة. وإذ لا يجد يقول: أرجع إلى بيتي الذي خرجتُ منه. فيأتي ويجده مكنوساً مُزيَّناً. ثم يذهب ويأخذ سبعة أرواح أُخَر أشرَّ منه، فتدخل، وتسكن هناك. فتصير أواخر ذلك الإنسان أشرَّ من أوائله**» (لو ١١: ٢٤-٢٦).

إذا فرغ الإنسان من الروح القدس، ماذا يحدث له؟

❖ في إنجيل القديس متى، يقول المسيح: «إذا خرج الروح النجس من

الإنسان، يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة، ولا يجد. ثم يقول أرجع إلى بيتي الذي خرجتُ منه. فيأتي ويجده **فارغاً** مكنوساً مُزيَّناً» (مت ١١: ٤٤). «يأتي ويجده **فارغاً**»، معنى هذا أن البيت ليس فيه المسيح، ليس فيه الروح القدس. كلمة "مكنوس" هي المرادف لكلمة "فارغ"، بمعنى أنه ليس فيه الروح القدس. وحينئذ «يذهب (الروح النجس) ويأخذ سبعة أرواح أُخَر أشرَّ منه، فتدخل، وتسكن هناك». أنتم تعرفون قصة مريم المجدلية «التي كان قد أخرج منها (المسيح) سبعة شياطين» (مر ١٦: ٩). فيبدو أنه قد سبق وحدث لها محاولة لإخراج شيطان منها، فخرج الشيطان، ثم وجدها فارغة، فذهب إليها مرة أخرى وأخذ معه سبعة شياطين أشرَّ منه، فدخلوا وسكنوا فيها. هذه هي العودة غير السعيدة. فالرجوع إلى الماضي السيِّئ من أبشع ما يمكن!

❖ الإنسان عندما ينتكص على أعقابه، ويرجع في توبته ويخفق في المداومة عليها؛ حينئذ يكون مُهيَّأً لهجوم الشيطان عليه ومداهمته. إما أن يكون مع المسيح، وفي حالة توبة دائمة، وبكاء وقَرْع صدر؛ أو لا يكون مع المسيح، وهذا نكوص ورجوع إلى الخلف، فينتظره الشيطان ومعه سبعة شياطين أُخَر أشرَّ منه. ولكن هؤلاء السبعة سوف يتضاعفون إلى ١٤... وهكذا.

❖ إنجيل القديس متى، يُضيف إلى كل الآيات السالفة آية تكشف الغاية التي يقصدها المسيح، فيقول: «**فتصير أواخر ذلك الإنسان أشرَّ من أوائله. هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل الشرير**» (مت ١٢: ٤٥).

فنحن نعرف سيرة شعب إسرائيل، وهو شعب مضروب بالزنا بشكل

مُريع، ومضروب بعبادة الأوثان. ونتيجة أفعال هذا الشعب، أنْ غَضِبَ الله عليه، فسُبِيَ إلى بابل لمدة طويلة، لكي يرجع إلى الله ويتوب. فتاب الشعب فعلاً: «على أنهار بابل هناك جلسنا. بكينا أيضاً عندما تذكَّرنا صهيون» (مز ١٣٧: ١). تاب الشعب توبة جماعية. وقصة دانيال النبي والثلاثة الفتية تُظهِر لنا أن الشعب قد بلغ القمة في الحزن والندم والتوبة، فرَضِيَ الله عنه، وقَبِلَ توبته. لكن بعد مدة، رجع الشعب مرة أخرى إلى غيِّه وعصيانه أشد مما كان سبعة أضعاف. وعندما جاء المسيح إلى أرضنا، كان شعب إسرائيل قد بلغ القمة في بُعده عن الله وفي شرِّه وعصيانه: منتهى العجرفة، والكذب، والزنا، والغش، والخداع، والظلم، والتلفيق، وضيق العقل، وشهوات الدنيا، وجمع المال؛ من قِبَلِ رؤساء الكهنة، والكهنة، وعامة الشعب.

❖ ولكي تعرفوا ما بلغ إليه شعب إسرائيل أيام المسيح، اقرأوا يوسيفوس المؤرخ اليهودي المشهور، وهو يصف شعب إسرائيل الذي كان يُعاصره. لأن يوسيفوس عاش في أيام المسيح، أو بعده بسنين قليلة، وعاصر تدمير الهيكل وإبادة الشعب سنة ٧٠ ميلادية. رأى بعينيه خراب أورشليم، وإحراق الهيكل وتدنيس كل ركن فيه. فقد قتل الرومانُ الكهنةَ الذين في الهيكل وهم يقدِّمون الذبائح، فذبحوهم، وسالت دماؤهم مع دم ذبائحهم.

كان الكهنة يُقدِّمون الذبائح التي أُبطِلَت بذبيحة المسيح على الصليب، فرفضوا ذبيحة المسيح الكفَّارية، واستمروا في تقديم ذبائح الحيوانات. فهل يسمع الله للذين رفضوا ذبيحة ابنه، وهم الآن يهتفون باسم الله؟ هل إذا أطالوا الصلاة، سيسمع الله ويستجيب؟ هل إذا رفعوا

بخوراً، سيشتمُّه الله، أم سيُشيح بوجهه عنه؟ لا يمكن عبادة بدون توبة، لا يمكن الجمع بين كأس الشيطان وكأس المسيح!

دعوة إلى التوبة ليحلّنا المسيح من رباطات الخطية والشهوة:

❖ إن كنتَ مَسبياً للشيطان، وقد ربط أعضاءك بالشهوات، وأصبحتَ مِلْكاً له، فأمامك الفرصة الآن أن تصرخ إلى المسيح، ليلاً ونهاراً، وتطلب منه المعونة بصِدق؛ وهو سيستجيب لك ويُرسل لك المعونة: «أرفع عينيَّ إلى الجبال من حيث يأتي عوني. معونتي من عند الرب صانع السموات والأرض» (مز ١٢١: ١، ٢).

عندما تصرخ هكذا بإيمان وصِدق، حينئذٍ يأتيك الرب، ويُطهِّرك، ويفكُّك كما فكَّ لعازر الميت من جميع الرُّبُط «حلّوه ودعوه يذهب» (يو ١٠: ٤٤)، ويُقيمك من موت الخطية.

هذا هو صراخنا للمسيح: أن يحلّنا، يحلّنا من جميع شهوات وخطايا هذا الدهر التي ربطتنا طوال هذه السنين. لعل المسيح عندما يأتي إليك، لا يجد البيت مكنوساً ومزيَّناً للشيطان؛ فيأتي ويقرع على باب قلبك، فيجده مفتوحاً، وأنت في سهرٍ وصفاءٍ وصلاة: «هأنذا واقفٌ على الباب وأقرع. إن سمع أحدٌ صوتي، وفتح الباب، أدخل إليه، وأتعشّى معه وهو معي» (رؤ ٣: ٢٠)؛ «إن أحبني أحدٌ، يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً» (يو ١٤: ٢٤). "أنا وأبي نصنع منزلاً في قلب الإنسان الذي يعيش التوبة، ويهجر الماضي التعيس".

في الحقيقة، أستطيع هنا أن أربط كل هذا برحلتنا السعيدة، والطائر المُهاجر من الأماكن الباردة إلى الأماكن الدافئة. فالإنسان المهاجر إلى

الوطن السعيد، لا يكفُّ عن الدعاء والصراخ باسم يسوع المسيح، لكي يأتي الرب ويملأ البيت، كربِّ البيت، يملأه فرحاً وسلاماً وعزاءً وسروراً، يُعيننا على مشقة السَّفَر الطويل إلى الأبدية.

ولربنا المجد الدائم أبدياً، آمين.

العظة الثانية عشرة

مَثَل وكيل الظلم
وشروط تبعية المسيح

يوم الثلاثاء من الأسبوع الرابع من الصوم المقدس

«٥٧وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ فِي الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ: "يَا سَيِّدُ أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي". ٥٨فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ". ٥٩وَقَالَ لآخَرَ: "اتْبَعْنِي". فَقَالَ: "يَا سَيِّدُ ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي". ٦٠فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ". ٦١وَقَالَ آخَرُ أَيْضاً: "أَتْبَعُكَ يَا سَيِّدُ وَلَكِنِ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي". ٦٢فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: "لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ"» (لو ٩: ٥٧-٦٢).

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

لا نزال، يا أحبائي، نضع الإنجيل أمامنا كخلفية نتحرَّك على نورها في انطلاقنا على الطريق الضيِّق، ساعين نحو الغاية والجعالة، طالبين الوطن الدائم السماوي. في موسم الصوم هذا، حينما نُقدِّم الجسد ذبيحة بعبادتنا العقلية أي بعبادتنا الواعية الصاحية، نستطيع أن نُدرك كل مهام الطريق.

إنجيل قدَّاس الأمس (الاثنين من الأسبوع الرابع من الصوم المقدس) كان يتكلَّم عن وكيل الظلم (لو ١٦: ١-٩)، أما إنجيل اليوم (الثلاثاء من الأسبوع الرابع من الصوم المقدس) فإنه يتكلَّم عن **شروط المسيرة أو الانطلاق وراء الرب**.

في الحقيقة، يكشف لنا إنجيل الأمس ما وراء هذه المسيرة. إنجيل وكيل الظلم واضحٌ جداً: إنسانٌ أُعطِيَ وكالة، ولم يكن أميناً عليها بالقدر الكافي، فَوُشِيَ به. فدعاه صاحب الوكالة وقال له: «أعطِ حساب وكالتك، لأنك لا تقدر أن تكون وكيلاً بعد»، فقال الوكيل في نفسه: «ماذا أفعل؟». ثم أدرك في الحال ماذا يصنع؟ فذهب إلى كل واحد من مديُوني سيده وتفاهم معه، أن يُخفِّض له المديونية حتى يقبلوه حينما يُطرَد من الوكالة.

نحن كلنا وكلاء، ووكالتنا واضحة أمام ضمائرنا:

لقد أشار المسيح بوضوح - في إنجيل وكيل الظلم - أن نصنع لنا "**أصدقاء بمال الظلم**"، كما قال: «حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية». هذه هي الخلفية التي وضعها إنجيل الأمس، وهي ذات أهمية كبرى في حياتنا. فنحن الوكلاء، نحن نُمثِّل "**وكيل الظلم**"، لأن وكالتنا واضحة أمام ضمائرنا أنها غير مستوفاة. أما كَوْن أننا سنُستدعَى لنضع أو لنسلِّم وكالتنا، فهذا أمرٌ حتمي، سواء في ساعة ننتظرها أو لا ننتظرها؛ سوف نُستدعَى في الحال لكي نُسلِّم كل شيء، كل ما عملنا خيراً كان أو شراً، وسنقف أمام كرسي الديَّان العادل. فهنا الرب يقصدنا نحن، يقصد تلاميذه، فهو يصف لهم، ولنا، الطريق الذي يجب أن

نسلكه حتى نصل إلى المظال الأبدية.

مال الظلم هو مال المسئولية:

كلام الرب في إنجيل وكيل الظلم، لم يكن كلاماً عاماً، وإنما كلام خاص جداً، فقد قال: «اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم». و"مال الظلم" هو المال الذي في أيدينا، أي مال المسئولية التي في أيدينا، أية مسئولية. إذا راجعنا أنفسنا، نجد أننا كلنا ضللنا، كل إنسان مال إلى طريقه، «ليس مَن يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (رو ٣: ١٢)، «لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان، لكي يرحم الجميع» (رو ١١: ٣٢).

فنحن سوف نُعطي سريعاً حساب الوكالة، لأن الزمن يسير بخُطَى أسرع مما نتصوَّر. فإنجيل وكيل الظلم يوضِّح لنا أن الحياة التي نحياها الآن ينبغي أن تبتدئ من حيث انتهى وكيل الظلم. فوكيل الظلم أسرع وابتدأ يعمل حساب ما بعد تسليمه الوكالة. فلا يجب أن ننتظر حتى نُستدعَى، وإلاَّ فلن تكون أمامنا أية فرصة. نحن وضعنا أنفسنا على الطريق، والآن نبتدئ فيما انتهى إليه وكيل الظلم، ينبغي أن نُفرِّط في كل ما للدنيا وفي كل ما نملك حتى نصل إلى الحياة الأبدية.

مَن هم "أصدقاء الظلم"؟

المسيح يكشف لنا سرّاً من أسرار ملكوت السموات، من أسرار الحياة الأُخرى، وهو أنَّ هناك أصدقاء، هنا بيع يتحوَّل لحساب السماء: "أعطوا صدقة"، «**اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم، حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية**». مَن هم، يا تُرَى، هؤلاء الأصدقاء؟ فلنرجع إلى ما قاله المسيح: «لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض... بل

اكنزوا لكم كنوزاً في السماء... لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً» (مت ٦: ١٩-٢١). فينبغي أن يكون كنزنا في السماء.

ما هو هذا الكنز؟ هناك تلميح رائع وبديع جداً في إنجيل الغَني ولعازر المسكين (لو ١٦: ١٩-٣١). فلعازر المسكين وهو على الأرض لم يستطع أن يحصل حتى على الفتات الساقط من مائدة الغَني صاحب الطعام الوفير. ومات كلاهما (الغَني ولعازر)، فصار الغَني «**في الجحيم وهو في العذاب**»، أما لعازر الذي حُرِم من كل متاع الدُّنيا «**حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم**». فرفع الغَني عينيه وهو في الجحيم «**ورأى إبراهيم من بعيد، ولعازر في حضنه**»، هذا الغَني رأى من بعيد لعازر المسكين الذي شبع من البلايا ومن ليالي التعب والضيق والذي كان مطروحاً عند باب بيت الغَني؛ وجده الغَني في حضن أبينا إبراهيم. أما الغَني فلم يجد وهو في الجحيم، مَن يطلب منه معونة إلاَّ هذا الفقير المسكين!

تصوَّروا معي لو أن هذا الغَني قبل موته، قد أحسن إلى هذا المسكين وتعطَّف عليه، أو أنَّ لعازر قد نال شيئاً من هذا الغَني، ماذا سيكون حال الغَني بعد موته وانتقاله إلى الحياة الأخرى؟ سيكون لديه صديقٌ عند الحاجة! هؤلاء هم الأصدقاء الذين سينتظروننا فوق في السماء، هؤلاء الذين أعطيناهم وهم على الأرض، هؤلاء الذين بذلنا من أجلهم؛ سيتحوَّلون هناك إلى أصدقاء لنا. كل إنسان محروم من محبة، محروم من مال، محروم من معونة، ونمدُّ له يد المعونة؛ سيتحوَّل هناك في السماء إلى صديق لك، صديق هناك في السماء وليس هنا على الأرض.

ثلاثة شروط لتبعية المسيح:

أما إنجيل قدَّاس هذا الصباح (يوم الثلاثاء من الأسبوع الرابع من الصوم المقدس) فهو يضع ثلاثة أُسس للطريق الذي نسير عليه أو ثلاثة شروط لتبعية المسيح:

الأساس أو الشرط الأول:

لا يوجد أمان أرضي ولا راحة جسدية في تبعية المسيح:

+ **«وفيما هم سائرون في الطريق، قال له (للمسيح) واحدٌ: يا سيد، أتبعك أينما تمضي».**

فقد وجد هذا الإنسان الرب يسوع يسير باحترامٍ شديد مع تلاميذه، فبهرته هذه الجوقة التي تسير حول المسيح وتُكرِّمه، وأراد أن يكون مثلهم.

+ **«فقال له يسوع: للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكار. وأما ابن الإنسان فليس له أين يُسنِد رأسه».**

كلام الرب يسوع هذا قد بدَّد من ذهن هذا الشاب ما كان يُفكِّر فيه عندما أراد أن يتبع الرب. فقد اكتشف أنه ليس هناك كرامة أو راحة أو أمان للذي يريد أن يسير وراء المسيح. فالبيت يُمثِّل الأمان أو الأمن أو الهدوء بالنسبة للإنسان. أما تبعية المسيح فلا يوجد فيها مثل هذا الأمان الأرضي.

هذه هي النقطة الأساسية التي وضعها المسيح أمام كل مَن يريد أن يسير وراءه، لا يوجد أمان أرضي، لا يوجد مكان يستطيع مَن يتبع

الرب أن يلجأ إليه ليستمد منه الأمان، فنحن (كما يقول بستان الرهبان) نسير في طريق اللصوص. ولابد أن نعتبر عبورنا وقتياً وزمنياً، مما يجعلنا مستعدِّين أن نترك كل شيء، في أية لحظة، بل ونحمل الصليب أيضاً ونتبع الرب. فواضحٌ جداً هنا في تبعية الرب، حَمل الصليب: **«أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه»**. لا يوجد أمان أرضي أو راحة جسدية في المسيرة وراء المسيح.

الأساس أو الشرط الثاني:

لا واجبات ولا أصول تنفع مع تبعية المسيح:

+ **«وقال (المسيح) لآخر: اتبعني».**

هنا المسيح هو الذي يدعو. فقال له الشاب:

+ **«يا سيد، ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي».**

هنا يُظهِر الإنجيل أن الكثيرين وصلتهم الدعوة، ولكن أهملوا الدعوة من أجل الواجب، ومن أجل الأصول، لكي يؤدُّوا واجبهم العائلي. والبعض يقول لِمَن يدعوه الرب: "كيف تترهَّب؟ أو كيف تصير قسّاً؟ أو كيف تذهب لتخدم وراء الرب؟ أو كيف تسافر بلاداً بعيدة وتترك أُمك، فهي مريضة وعلى حافة الموت؟! وكذلك كيف تسافر وتترك والدك الشيخ وهو مريض؟ أو تترك إخوتك وليس مَن يعولهم غيرك؟".

❖ في الحقيقة، الدعوة الثانية تقطع خط الرجعة على الذين يُفضِّلون الواجب على تبعية المسيح. فكم من واجب أو أصول حرمت الكثيرين من المسيرة وراء الرب.

ولكن كان ردُّ الرب على حجَّة هذا الشاب:

+ «دَع الموتى يدفنون موتاهم، وأما أنت فاذهب ونادِ بملكوت الله».

الأساس أو الشرط الثالث:

لا عواطف جسدية تنفع مع تبعية المسيح:

+ **«وقال آخر أيضاً: أتبعك، يا سيد، ولكن ائذن لي أولاً أن أودِّع الذين في بيتي».**

هنا وَضَعَ الشخص العواطف في المقدِّمة. فظهر إنسانٌ لم يستطع أن يتبع المسيح مباشرة، ففكَّر في نفسه أن يمضي إلى بيته يومين أو ثلاثة ليودِّع أهله، أو يودِّع - بصفة خاصة - والدته، يقبِّلها وتُقبِّله. هذه هي العواطف البشرية التي حرمت الكثيرين من تبعية المسيح. فقد يظن الإنسان المدعوُّ أنه من المريح له والمريح لبيته أن يُكمل أو يُشبع هذه العواطف. ولكنه عندما ينساق وراء هذه العواطف، يُمسَك بها، ولا يستطيع الفكاك منها، فتضيع منه الدعوة.

إذا وُجدت هذه العواطف، وانساق الإنسان لها، فهي تحرمه من الاستمرار في تبعية الرب. ليس فقط في الانطلاقة الأولى، عندما يريد أن يتبع الإنسانُ الربَّ، ولكن الإعاقة تستمر على مدى الطريق. كم من المرات تُداعبنا هذه العواطف إلى درجة أن تسيل الدموع من أعيننا شوقاً على أهلنا وعلى بيتنا وعلى أصدقائنا، ولكن النتيجة تكون صعبة جداً، وهي: ضياع ملكوت السموات منَّا.

+ **«فقال له يسوع: ليس أحد يضع يده على المحراث، وينظر إلى الوراء، يصلح لملكوت الله».**

هذه العواطف البشرية تنبت من الأرض وإلى الأرض تنتهي. فالذي يطلب ملكوت السموات، ينبغي أن يقطع كل الرُّبُط التي تربطه بالأرض. لا بمعني أن يكون الإنسان خالياً من العواطف، وإنما تكون العواطف روحية، وليست جسدية.

هكذا يضع إنجيل قداس هذا الصباح أمامنا اليوم شروطاً للإنسان الذي يريد أن ينطلق إلى ملكوت الله:

ملخَّص شروط تبعية المسيح:

الشرط الأول: إنه ليس أمانٌ ولا راحة إطلاقاً لِمَن يريد أن يسير في طريق السماء.

والشرط الثاني: إنه ليس على مَن يريد تبعية الرب أي واجب أرضي بشري. فالإنجيل يضع في المؤخِّرة الواجبات التي على الإنسان أن يؤدِّيها، مثل أن "يدفن أباه". فالابن يريد الانطلاق في تبعية الرب، ولكن في بيته ميت هو أبوه، وهو يريد أن يدفن أباه أولاً. هنا يضع المسيح الشرط الصعب لتبعيته، كمقياس صحيح لِمَا هو أقل منه من واجبات: أن نتجاوز هذا الواجب الذي حرم الكثيرين، وما زال يحرمهم، وسيحرم أيضاً الكثيرين فيما بعد من الانطلاقة السهلة السريعة وراء الرب.

والشرط الثالث: عائق العواطف البشرية التي وُضِعَت أخيراً، ولكني أضعها من حيث أهميتها أولاً، وهي التي حرمت وتحرم الكثيرين من الانطلاق إلى ملكوت الله بلا قيود.

هذه هي القيود الثلاثة، يا أحبائي، التي تعوق المرتحلين في الطريق إلى ملكوت السموات:

١. الحنين إلى البيت للأمان والراحة؛

٢. أداء الواجب بمعنى الرجولة؛

٣. البروتوكول الذي يربطنا بالأرض، والعواطف التي ما تزال تشدُّ الجسد إلى التراب الذي أُخِذَ منه.

إذا استطعنا أن نضع إنجيل هذا الصباح أمام أعيننا، فسيكون انطلاقنا إلى ملكوت الله سهلاً، وسيصير ارتحالنا إلى الوطن السماوي سريعاً.

ولربنا المجد الدائم أبدياً، آمين.

العظة الثالثة عشرة

حياة الإيمان وسط الضيقات

يوم الأربعاء من الأسبوع الرابع من الصوم المقدس

«٣٥وَقَالَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ: "لِنَجْتَزْ إِلَى الْعَبْرِ". ٣٦فصَرَفُوا الْجَمْعَ وَأَخَذُوهُ كَمَا كَانَ فِي السَّفِينَةِ. وَكَانَتْ مَعَهُ أَيْضاً سُفُنٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ. ٣٧فَحَدَثَ نَوْءُ رِيحٍ عَظِيمٌ فَكَانَتِ الأَمْوَاجُ تَضْرِبُ إِلَى السَّفِينَةِ حَتَّى صَارَتْ تَمْتَلِئُ. ٣٨وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِماً. فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: "يَا مُعَلِّمُ أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟" ٣٩فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَقَالَ لِلْبَحْرِ: "اسْكُتْ. ابْكَمْ". فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ. ٤٠وَقَالَ لَهُمْ: "مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هَكَذَا؟ كَيْفَ لاَ إِيمَانَ لَكُمْ؟" ٤١فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: "مَنْ هُوَ هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضاً وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ!"» (مر ٤: ٣٥-٤١)

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

إنجيل قدَّاس هذا اليوم يُظهر لنا معجزة من المعجزات الهامة التي واجهت حياة التلاميذ مع المسيح. وفي الحقيقة، أُنبِّه ذهنكم أنه كما توجد أمثال لملكوت الله، كما نقرأ كثيراً هذه الجملة: «يُشبه ملكوت السموات...» (مت ١٣: ٢٤، ٣١، ٣٣، ٤٤)؛ كذلك كل المعجزات هي معجزات لملكوت السموات. فلا ينبغي إطلاقاً أن نأخذ مَثَلاً من أمثلة ملكوت السموات، ثم نحاول أن نحوِّله إلى ما ينفعنا هنا على

الأرض؛ لأن الغاية والهدف من أمثال المسيح هي **أن ترفع قلوبنا وأفكارنا وسلوكنا إلى ملكوت السموات**، مثلما ذُكِرَ في إنجيل الخميس الأول من الصوم المقدس (مر ٤: ٢١-٢٩): «وقال (الرب يسوع): هكذا ملكوت الله كأن إنساناً يُلقي البذار على الأرض، وينام ويقوم، ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف؟...»، وقد شرحنا هذا الإنجيل وطبَّقناه على حياتنا.

معجزة إطعام الجموع هي معجزة ملكوتية:

ومعجزة الخمس الخبزات والسمكتين هذه هي معجزة ملكوتية بلا نزاع، لأن الرب يسوع بعدما أشبع الجموع، بدأ يوبِّخ بعض الناس الذين ساروا وراءه بسبب أنهم أحسُّوا أنهم قد انتفعوا مادياً من تبعيتهم له، لأنهم ضمنوا أن يأكلوا خبزاً مجاناً: «الحقَّ الحقَّ أقول لكم: أنتم تطلبونني، ليس لأنكم رأيتم آياتٍ، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. اعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذي يُعطيكم ابن الإنسان، لأن هذا الله الآب قد ختَمَه» (يو ٦: ٢٦،٢٧).

وعندما جرَّبه الجمع قائلين: «أية آية تصنع لنرى ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ آباؤنا أكلوا المَنَّ في البرية، كما هو مكتوبٌ، أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا». فقال لهم الرب يسوع: «الحقَّ الحقَّ أقول لكم: ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يُعطيكم الخبز الحقيقي من السماء... أنا هو خبز الحياة... أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد» (يو ٦: ٣٠-٣٥، ٥١).

المسيح طبَّق أو فسَّر معجزة الخمس الخبزات والسمكتين على نفسه

بأنه هو "**الخبز الحقيقي**"، وأنَّ هذه المعجزة تكشف جوهر صانع المعجزة، أي المسيح الذي هو الخبز المُشبِع، خبز السماء. وخبز السماء، كما عرفناه، هو الجسد المقدس والدم الكريم. والجسد والدم الإلهيَّان هما سرٌّ من أسرار الملكوت، وليسا سرّاً من أسرار هذه الحياة الزائلة أبداً. نحن لا نأكل الجسد المقدس ونشرب الدم الكريم لكي ننشط أو نتقوَّى أو نُشفَى جسدياً، أو لكي نعيش أصحَّاء هنا في هذا الدهر؛ ولكن نحن نأكل الجسد المقدس ونشرب الدم الكريم لكي نكون مؤهَّلين للحياة الأبدية: «مَن يأكل جسدي ويشرب دمي، فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير. لأن جسدي هو مأكلٌ حقٌّ، ودمي هو مشربٌ حقٌّ. مَن يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبُت فيَّ وأنا فيه» (يو٦: ٥٤-٥٦).

✝✝✝

معجزة إسكات الرياح
تكشف ماهية مسيرتنا إلى ملكوت السموات:

فالمعجزة التي ذُكِرَت في إنجيل قدَّاس هذا اليوم، هامة جداً في مسيرتنا وفي ارتحالنا على طريق ملكوت السموات. وتتضح أهميتها لنا، ونحن صائمون، إذ تكشف لنا كُنه أو ماهية السَّفَر السعيد إلى ملكوت السموات. خصوصاً إذا كان يتبع الصوم نسكٌ حقيقي وصلاة حقيقية وصمت، بل وتأمُّل كثير في النصيب المُعدِّ لنا في السماء. هنا يكون الصوم هو المجال الحي الذي من خلاله نتحرَّك تحرُّكاً سليماً نحو ملكوت السموات.

❖ معجزة هذا اليوم، ترمي إلى أبعد بكثير مما هو ظاهرٌ منها، وهي

تتطلَّب منَّا قلباً متَّسعاً وفكراً رحباً، لكي نستطيع أن نعي هذا الكلام السرِّي العجيب المذكور في هذه المعجزة.

+ **«وقال (الرب يسوع) لهم (لتلاميذه) في ذلك اليوم لَمَّا كان المساء».**

فما معنى "المساء" هنا؟ معناه: إنه ونحن سائرون في طريق ملكوت السموات تواجهنا ظلمة هذا العالم، أو يُداهمنا ليل النفس الحالك. ففي مسيرتنا إلى الملكوت، ونحن في هذا العالم، تجابهنا ضيقات، ويُقابلنا ظلام.

+ **«وقال لهم في ذلك اليوم لما كان المساء: لنجتز إلى العَبْر».**

التلاميذ كانوا في بحيرة جنِّيسارت (وهي كلمة عبرية تعني: "جنينة أو حديقة مُسِرَّة للعينين"، بمعنى "الفردوس المحبوب").

❖ **«فصرفوا الجمع، وأخذوه كما كان في السفينة»**، أي لم يرجعوا مرة أخرى إلى الشاطئ، وإنما ارتحلوا مباشرة.

+ **«وكانت معه أيضاً سُفن أخرى صغيرة. فحدث نوءُ ريحٍ عظيمٌ، فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة حتى صارت تمتلئ».**

هذه الآيات تكشف لنا منتهى الهياج في الطبيعة، حينما تُظْهِر وجهها المُعادي للإنسان، فتكون هناك عداوة هائلة بصورة لا يمكن أن نتصوَّرها. ونحن، كرهبان في البرية، كثيراً ما نرى عواصف رملية مُزعجة. أما المناطق القريبة من البحر، فتكون فيها العواصف أكثر عُنفاً، إلى درجة أنها تقتلع الأشجار من جذورها وتُسقِط المنازل، وقد تصل الرياح في سرعتها إلى ١٧٠ كيلومتراً في الساعة، ما يؤدِّي إلى هياج

أمواج البحر وإلى فيضانات رهيبة تُغرِق مدناً بأكملها.

هياج البحر يُبيِّن صورة الطبيعة حينما تصير عدوّاً للإنسان:

هذه الآيات تُبيِّن لنا صورة للطبيعة الغاضبة، أو الطبيعة حينما تصير عدوّاً للإنسان. إنجيل هذا اليوم يُريد أن يُظهِر لنا - بصورة قد لا يقبلها العقل الغربي، ولكننا كشرقيين نقبلها - صورة من صُوَر لمسات الشيطان حينما يتدخَّل في الطبيعة، فيجعلها تقف قبالة الإنسان كعدوٍّ مُريع، بعاصفة سمَّاها الإنجيل "نَوْءاً". وأنتم تعلمون جيداً شدَّة "النَّوَّة"، والذي عاش بقرب البحر يعرف معنى "النَّوَّة"، فقد ترفع موج البحر إلى أكثر من ٦ أمتار أو ١٠ أمتار.

+ **«فحدث نوءُ ريحٍ عظيمٌ، فكانت الأمواج تضرب إلى السفينة، حتى صارت تمتلئ».**

هذه لمسة من لمسات الشيطان. تكلَّمنا على إنجيل الجمعة الثالثة من الصوم المقدس (لو ١١: ١٤-٢٦) عن الشيطان الذي استحوذ على إنسان وجعله أخرس. فيا لَعذاب هذا الإنسان الأخرس؟ ويا لَعذاب أهل هذا الإنسان؟ ربما هو لا يشعر، وإنما كان أهله في حزن شديد على ما آلت إليه حاله! هذا هو الشيطان عندما يُخرِّب النفسَ البشرية. ولكن عندما انتهره الرب يسوع، **"خرج الشيطان وتكلَّم الأخرس"**. هنا مواجهة عجيبة جداً، فالمسيح يواجه الشيطان وهو يُهيمن على النفس البشرية.

المسيح يُواجه الشيطان في إعطائه الأمر بسكوت الرياح:

في إنجيل قدَّاس هذا اليوم، يواجه المسيحُ الشيطانَ وهو يُهيمن على

الريح والبحر، لأن الشيطان هو «رئيس هذا العالم» (يو ١٤: ٣٠)، وهو الذي جرَّب المسيح قائلاً: «أُعطيك هذه جميعها (ممالك العالم ومجدها) إنْ خررتَ وسجدتَ لي» (مت ٤: ٩)، «لكَ أُعطي هذا السلطان كله ومجدهُنَّ، لأنه إليَّ قد دُفِعَ، وأنا أُعطيه لِمَن أُريد، فإن سجدتَ أمامي يكون لك الجميع (وكأن الشيطان يقول للمسيح: "فلا تتعب نفسك، وابتعد عن الصليب")» (لو ٤: ٧).

فهذه صورة واقعية، أنَّ الشيطان يستطيع أن يتدخَّل في الطبيعة ويجعلها عدواً للإنسان، وأن يُهيمن على الإنسان ويُخرِّب حياته.

+ «وكان هو (الرب يسوع) في المُؤخَّر على وسادة نائماً».

كلمة "... نائماً" تصف هدوء المسيح ووثوقه من حِفظه وعنايته للتلاميذ، لأنه شاعرٌ فعلاً بكل ما يحدث: «لا ينعس حافظك. إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل. الرب حافظك» (مز ١٢١: ٣-٥).

+ «فأيقظوه وقالوا له: يا معلم: أَمَا يهمُّك، أننا نهلك!»

هنا في هذه الآية يُعاتب التلاميذُ المسيحَ، كما لو أنه لا يهمُّه أمرهم! في إنجيل القديس متى، وردت هكذا: «يا سيِّد، نجِّنا، فإننا نهلك» (مت ٨: ٢٥). ولكن بالرغم من عتاب التلاميذ للمسيح - كما ورد في إنجيل القديس مرقس - وما صحب هذا من صراخ ورُعب وذُعر، إلاَّ أن هذا العتاب يحمل لمسة إيمان صغيرة أنَّ المسيح قادرٌ أن يصنع شيئاً! وإلاَّ ما كانوا قد ذهبوا إليه وأيقظوه.

القديس متى كَشَفَ في هذه المعجزة (إذ كان واحداً من التلاميذ الذين كانوا في السفينة) مضمون نيَّة التلاميذ وهم يُوقظون الرب يسوع:

«يا سيِّد، نجِّنا، فإننا نهلك (نغرق)». فهنا في استغاثة التلاميذ بالمسيح، تظهر لمسة إيمان، لا نستطيع أن نتجاهلها.

+ «فقام وانتهر الريح، وقال للبحر: اسْكُتْ، اِبْكَمْ. فسكنت الريح، وصار هدوءٌ عظيم».

فانتهار المسيح للريح، يكشف أنه لا يتكلَّم مع الطبيعة الهائجة؛ وإنما هو يواجه الحركة الشيطانية التي وراء هياج الطبيعة لإزعاج التلاميذ، أو لقتل المسيح نفسه حتى لا يُكمِل عمله.

أُريد أن أُنبِّهكم، أننا الآن نسير على الطريق المؤدِّي إلى ملكوت الله، فهذه المعجزة هي معجزة ملكوتية، والقصد منها أن تفتح أعيننا على ما سيُجابهنا في مسيرتنا. ففي ليل العالم المظلم، سنجد سفينة حياتنا فجأة وهي في اضطرابٍ عظيم جداً، ويعترينا في داخلنا قلق وخوف وذُعر وشكوك أعنف وأشد من الريح. فالريح قد تستمر يوماً أو يومين، برملها أو بهياج أمواج البحر، ثم تهدأ وتسكت بعد ذلك؛ ولكن العواصف الشيطانية، والضيقات الداخلية، قد تستمر أياماً.

فهذه المعجزة تخصُّ صميم حياتنا في هذا الدهر الذي فيه نرتحل إلى وطننا السماوي. فننتقل في ليالي الظلمة الحالكة، في أيام الحزن والقلق والاضطراب، من وضعٍ إلى وضع، بالنسبة للنفس أو بالنسبة للكنيسة ككل. ولكن إذا رجعنا إلى بداية هذا الإنجيل، سنطمئن جداً من كلام الرب يسوع: «وقال لهم في ذلك اليوم لما كان المساء: لنَجْتَزْ إلى العَبْر». فهذه لمسة ميستيكية تصوُّفية واضحة: «لنجتز إلى العَبْر»، بمعنى أننا سنعبُر هذا الدهر مهما كانت المعوِّقات، سنعبُر البحيرة.

+ **«فصرفوا الجمع، وأخذوه كما كان في السفينة».**

فلو لم يكن المسيح معهم، فإن مصير هذه السفينة كان سيؤدِّي إلى الغرق، ومآل التلاميذ سيكون الهلاك.

انتهار المسيح للريح هو في حقيقته انتهار للشيطان:

+ **«فقام وانتهر الريح... وقال لهم: ما بالكم خائفين هكذا. كيف لا إيمان لكم؟»**

كلمة "انتهر" لا يقولها المسيح إلاَّ إذا كان أمامه شيطان، أو أنَّ شيطاناً هو الذي يُحرِّك الطبيعة أو البشر. فقد انتهر المسيحُ بطرسَ الرسول: «اذهب عني يا شيطان! أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس» (مت ١٦: ٢٢، ٢٣). هنا المسيح ينتهر الشيطان الذي هيمن على عقل بطرس الرسول، وجعله يخاف ويهلع من الصليب ومن الموت: «حاشاك يا ربُّ. لا يكون لك هذا (لا يمكن أن تُصلَب)»؛ معنى هذا أن الصليب - كما أقنع الشيطانُ بطرسَ الرسول - سيعوقه عن النصيب في المُلْك المُعدِّ، وعن العَظَمة التي ستنتظره، وفي كل ما كان يحلم به من ملكوت أرضي.

انتهار المسيح للنوء والأمواج يكشف لنا سرَّ الطبيعة عندما يُهيمن عليها الشيطان ويحوِّلها إلى جحيم. لكن الرب يسوع لم يكتفِ بأن ينتهر الريح و لم يَقُل فقط للبحر: "اسكُتْ"؛ وإنما قال أيضاً: «ابْكَمْ»، أي "اخرس". وهذا يوضِّح لنا أن الطبيعة ليست هي التي تتحرك وتهيج، وإنما الذي يُحرِّكها هو عنصر الشر. لذلك وبعد انتهار الرب للريح والأمواج: «**سكنت الريح، وصار هدوءٌ عظيم**» في الحال.

هنا يكشف لنا المسيح أنه هو إله الطبيعة. لقد صلَّى إيليا النبي «صلاة أن لا تُمطِر (السماء). فلم تُمطِر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر. ثم صلَّى أيضاً، فأعطت السماء مطراً، وأخرجت الأرض ثمرها» (يع ٥: ١٧، ١٨). و«كان إيليا إنساناً تحت الآلام مثلنا، وصلَّى صلاةً». كلمة "صلاة"، تعني أنها صلاة بإيمان، ولذلك استجابت السماء لصلاته وانغلقت في أيام أخآب الملك (١مل ١٧: ١).

المسيح في هذه المعجزة لم يُصلِّ،
بل انتهر الريح، وقال للبحر: "اسكُتْ. اِبكَمْ":

❖ إيليا النبي صلَّى، أما في هذه المعجزة التي نحن بصددها، **فإنَّ المسيح لم يُصلِّ**، بل «**قام وانتهر الريح، وقال للبحر: اسكُتْ، ابكَمْ. فسكنت الريح، وصار هدوء عظيم (في الحال وبدون صلاة)**». فالطبيعة تستمدُّ حركتها وسكونها من المسيح، وهذا يُظهِر لنا أن المسيح هو ربُّ الطبيعة. فما معنى أنَّ الله كائنٌ في كل مكان؟ يعني أنه قوة مُسيطرة على كل شيء، على كل ذرَّة في باطن الصخرة، وفي باطن الجبل، وفي أعالي السماء، في الشمس، وفي النجوم، في كل مجرَّة من المجرَّات، وفي النبات، وفي أي جسمٍ كان. فالله موجودٌ وكائنٌ، بقوته الضابطة! فهو ضابط الكل (البانطوكراطور)؛ وهو حاكم الكل بقوته. الله قائمٌ وموجودٌ في الخليقة كلها. المسيح هو الخالق، كلمة الله الخالقة.

العلاقة بين المسيح والطبيعة هي علاقة تفوق العقل؛ لا نقول إنها علاقة كيانية، لأن العالم كمخلوق ليس جزءاً من المسيح كإله، فالمسيح يبقى كما هو الإله الخالق، والعالم يبقى كما هو كمخلوق إلى زوال،

فهو ليس خالداً. إنما المسيح هو كلمة الله، وقوته هي التي تضبط الخليقة. فالعالم - كما تعلمون - يتكوَّن من ذرَّات، وإذا تفكَّكت هذه الذرَّات، فإنها تصبح مجرد قوة أو طاقة. فالذَّرة إذا انشطرت نواتها تنطلق منها طاقة هائلة، تتحوَّل مثلاً إلى قنبلة ذرية مُدمِّرة.

حياتنا كلها فيها الاضطراب والأتعاب،
ولكن المسيح هو الذي يُدبِّر حياتنا:

فكل مخاطر هذا الدهر، وكل أتعاب هذا الدهر، خصوصاً التي يضعها الشيطان أمامنا، تبثُّ فينا الذعر والخوف، وبسبب ضعف إيماننا نقول للرب: «أَمَا يهمُّك أننا نهلك!». "هل تتركني، يا رب هكذا أهلك وأموت؟ ليتك تأتي وتنقذني وتنجِّيني! كُن معي. شدِّدني يا رب. أنا بمفردي وليس لي سند. أنا ضعيف". هكذا نصرخ كل يوم؛ وهكذا تصرخ الكنيسة قدَّام الله، حينما تواجه العنف والاضطهاد والضيق الذي يُثيره عدو الخير ضدها، فتتضرَّع قائلة: "أَمَا يهمُّك، يا ربُّ، فإننا نهلك"!

هذه صورة من صُوَر ضعف الإيمان الذي ما زلنا نعيشه، وأراد المسيح أن يرفعه عنَّا. فلاحظوا ما قاله الرب يسوع لتلاميذه: «**كيف لا إيمان لكم؟**». فالعتاب الذي عاتب به التلاميذُ المسيحَ عندما قالوا: «**يا مُعلِّم، أَمَا يهمُّك أننا نهلك**»؛ ردَّه لهم المسيح موبِّخاً إيَّاهم ومُستنكراً ضعف إيمانهم قائلاً: «ما بالكم خائفين هكذا. كيف لا إيمان لكم؟». وفي إنجيل القديس متى يقول لهم: «**ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان؟**» (مت ٨: ٢٦)

فضيقات الحياة حتى إذا وصلت إلى حدِّ الاضطراب الذي واجه التلاميذ في بحيرة جنِّيسارت، والرياح العاتية التي ضربت السفينة حتى

كادت أن تغرق؛ هذه هي قصة حياتنا كل يوم في مسيرتنا إلى الملكوت عَبْرَ هذا الدهر، ولكن سفينة حياتنا يقودها ويُدبِّرها الرب يسوع، شئنا هذا أو لم نشأ. المسيح في السفينة، المسيح في داخل الكنيسة التي نحن أعضاء فيها. هذا وَعْدٌ منه، وليس طلباً منَّا. فقبل أن تسأل هو يستجيب: «**حينئذ تدعو فيُجيب الرب. تستغيث فيقول: هأنذا**» (إش ٥٨: ٩)، بل ويُعطي أكثر جداً مما تطلب: «**والقادر أن يفعل فوق كل شيء، أكثر جداً مما نطلب أو نفتكر، بحسب القوة التي تعمل فينا، له المجد في الكنيسة، في المسيح يسوع، إلى جميع أجيال دهر الدهور. آمين**» (أف ٣: ٢٠،٢١).

المسيح في الكنيسة مثلما كان في السفينة، فكيف نضطرب؟

المسيح في السفينة، في الكنيسة، هو معنا - كوعده الصادق - «**وها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر. آمين**» (مت ٢٨: ٢٠)، هو داخل قلبك: «ليحُلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣: ١٧). فهذه حقيقة لا شكَّ فيها، أو التخلِّي عنها. فالرب في حياتنا، وهذا أكيدٌ مائة بالمائة؛ فكيف نضطرب؟ وكيف نخاف؟ وكيف نجزع؟ مهما واجهنا من ليل وظلمة وشيطان، أو مهما جابهنا من عنف أو من عدو سواء من الداخل أو من الخارج!

في الحقيقة، المسيح يظهر لنا كإله الطبيعة وكَرَبِّ الإنسان، فهو إلهنا الذي يضبط الطبيعة التي نعيش فيها ونواجهها بعنفها وهياجها، هو يضبطها كما يضبطنا نحن أيضاً.

«**إن كان الله معنا، فمَن علينا**» (رو ٨: ٣١). وإن كان الله قد تولَّى

أمر رعايتنا وعنايتنا قائلاً لنا: «**تشدَّدوا لا تخافوا**» (إش ٤٥: ٤)، «**أنا معكم**» (مت ٢٨: ٢٠)، «**لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله، فآمنوا بي**» (يو ١٤: ١)؛ وإن كان المسيح يقود سفينتنا: ككنيسة أو كنفوس؛ فماذا يهمُّ بعد ذلك، مهما حاول العدو أن يضرب في الداخل أو في الخارج؟ إلهنا هو إله الطبيعة، هو الضابط الكل. فالمسيح بعد قيامته من بين الأموات، «أُصعِدَ إلى السماء» (لو ٢٤: ٥١)، وتمَّ القول إنه "وَضَعَ أعداءه تحت قدميه" (١كو ١٥: ٢٥)، وجلس عن يمين الآب «فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمَّى، ليس في هذا الدهر فقط، بل في المستقبل أيضاً، وأخضع كل شيء تحت قدميه» (أف ١: ٢١،٢٢). فالمسيح «صعد أيضاً فوق جميع السموات، لكي يملأ الكل» (أف ٤: ١٠).

❖ فإن كان الله الآب قد أخضع الشيطان وكل جنوده تحت قدمَي المسيح، وإن كانت الطبيعة - كما رأينا في إنجيل قدَّاس هذا اليوم - مُخضَعَة بكل قوتها وعنفها وسطوتها لكلمة الله، وإن كانت الأرواح الشريرة تصرخ وتخرج من الأجساد المهيمنة عليها بكلمة الله؛ فكيف نخاف بعد؟ وكيف نضطرب؟

✞ ✞ ✞

هناك نقطة هامة وأخيرة أُريد أن أقولها تعقيباً على إنجيل هذا اليوم: إن المسيح ليس فقط يُبرئ أسقام الجسد أو أوجاع النفس، بمعنى أن الفداء الذي أكمله المسيح من أجلنا ليس هو فقط لأنفسنا وأجسادنا؛ وإنما هو يسري أيضاً على الطبيعة نفسها. فبولس الرسول يقول: «**لأن انتظار**

الخليقة يتوقَّع استعلان أبناء الله. إذ أُخضِعَت الخليقة للبُطل، ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء. لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليقة تئنُّ وتتمخَّض معاً إلى الآن» (رو ٨: ٢٠-٢٢). فالخليقة أُخضِعَت للباطل، ليس طوعاً أي ليس من تلقاء نفسها، ولكن من أجل آدم الذي أخضعها بسبب تعدِّيه وسقوطه. فعندما سقط آدم في الغواية، خرجت الخليقة بل والطبيعة كلها من تحت سلطانه، وتفكَّكت، وصارت تحت سلطان الشيطان.

هنا، مرة أخرى، تعود الطبيعة إلى حظيرة المسيح بقوة وجبروت، بمعنى أن هذه الطبيعة سوف تُعتَق أيضاً، لأن ما رأيناه من عنف الطبيعة وهياجها هو لمسة من لمسات الشيطان. وفي الملكوت سوف يتخلَّى الشيطان، مُرغَماً ومُجبَراً، عن كل سلطة له على الطبيعة، وتصير الطبيعة صديقة للإنسان مرة أخرى.

ولربنا المجد الدائم أبدياً، آمين.

العظة الرابعة عشرة

الطعام الذي يُقيت المسافر للحياة الأبدية

يوم الاثنين من الأسبوع الخامس من الصوم المقدس

«١٢فَابْتَدَأَ النَّهَارُ يَمِيلُ. فَتَقَدَّمَ الاثْنَا عَشَرَ وَقَالُوا لَهُ: "اصْرِفِ الْجَمْعَ لِيَذْهَبُوا إِلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ حَوَالَيْنَا فَيَبِيتُوا وَيَجِدُوا طَعَاماً لأَنَّنَا هَهُنَا فِي مَوْضِعٍ خَلاَءٍ". ١٣فَقَالَ لَهُمْ: "أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا". فَقَالُوا: "لَيْسَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَيْنِ إِلاَّ أَنْ نَذْهَبَ وَنَبْتَاعَ طَعَاماً لِهَذَا الشَّعْبِ كُلِّهِ". ١٤لأَنَّهُمْ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: "أَتْكِئُوهُمْ فِرَقاً خَمْسِينَ خَمْسِينَ". ١٥فَفَعَلُوا هَكَذَا وَأَتْكَأُوا الْجَمِيعَ. ١٦فَأَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَهُنَّ ثُمَّ كَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ لِيُقَدِّمُوا لِلْجَمْعِ. ١٧فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جَمِيعاً. ثُمَّ رُفِعَ مَا فَضَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْكِسَرِ: اثْنَتَا عَشْرَةَ قُفَّةً» (لو ٩: ١٢-١٧).

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين

إنجيل قدّاس هذا الصباح، يا أحبائي، يُعطينا الزاد اللازم للطريق، زاد الروح وزاد الجسد. فنحن ما زلنا في رحلتنا السعيدة إلى الوطن السماوي، **ونشعر كل يوم وكل لحظة أننا في حاجة إلى تشديد الروح وتقوية الجسد.**

هذا الإنجيل يُشبع كل رغبات المسافر على الطريق المؤدّي إلى ملكوت

السموات. ويُسمّيه الآباء "**وليمة الملكوت**"؛ ويُدعَى أحياناً "**وليمة الوداع**"، لأن المسيح لم يصنع مثل هذه الوليمة مرة أخرى. لكنه أكل مع تلاميذه وسلّمهم سر الإفخارستيا، سلّمه للكنيسة.

✣ ✣ ✣

قراءة إنجيل هذا اليوم هي صورة مُصغّرة لسرِّ الإفخارستيا:

❖ إنجيل هذا اليوم يُعتَبَر صورة مُصغَّرة لسرِّ الإفخارستيا، مُقدَّمة للجموع. هذا الإنجيل يُقدِّم غذاء الروح على غذاء الجسد، وكأنما الروح النشيط يستطيع أن يُقيت الجسد، وهنا يبرز الإيمان.

نعود مرة أخرى إلى برية سيناء، إلى رحلة الوصول إلى أرض الميعاد. كان المنُّ هو خبز الرحلة، لكن من الملاحَظ أنها لم تكن رحلة سعيدة بالمعنى الكامل، لأن حوالي ٦ مليون نسمة ماتوا وأُلقيت جثثهم في القفر، ولم يدخل أرض كنعان (والتي هي رمز الملكوت) من الذين خرجوا من مصر سوى اثنين: كالب بن يَفُنَّة، ويشوع بن نون.

هنا النسبة خطيرة للغاية: اثنان فقط من بين ٦ مليون نسمة دخلا أرض كنعان بعد أن خرج بنو إسرائيل كلهم من أرض مصر. كالب ويشوع صاحبا الإيمان العالي دخلا وحدهما أرض كنعان؛ أما المتشكّكون والمتذمِّرون والزناة، وغلاظ القلوب والرقاب، والذين رجعوا بقلوبهم إلى أرض مصر، كل هؤلاء ماتوا في القفر وطُرحت جثثهم على وجه الصحراء.

بسبب عدم الإيمان لم يدخلوا أرض الموعد:

وبالرغم من أن رحلة سيناء لم تكن سعيدة، إلاَّ أن الرب يقول لهم: «**قد ذكرتُ لكِ (لكنيسة العهد القديم)... ذهابك ورائي في البرية، في أرضٍ غير مزروعة**» (إر ٢: ٢)، ويقول أيضاً: «**أنا حملتُكم على أجنحة النسور وجئتُ بكم إليَّ**» (خر ١٩: ٤).

كل الذين خرجوا من أرض مصر، بسبب عدم إيمانهم، لم يدخل منهم أحدٌ أرض كنعان سوى يشوع بن نون وكالب بن يَفُنَّة، إذ «**لم تنفع كلمة الخبر أولئك، إذ لم تكن ممتزجة بالإيمان في الذين سمعوا... كما قال (الله): حتى أقسمتُ في غضبي لن يدخلوا راحتي**» (عب ٤: ٢،٣). أما الذين وُلدوا في القفر فقد دخلوا أرض الموعد.

الآن، نحن مرتحلون إلى ملكوت السموات عَبْرَ الطريق الكَرِب، طريق الأعواز الجسدية، طريق الضيقات والتجارب. هذا الطريق لا يقل في صعوبته ووعورته عن طريق التيه في برية سيناء، لكننا **بالإيمان** نستطيع أن نجتاز هذا الطريق بكل صعوباته ومشقَّاته. فنحن نستطيع أن نقول مع بولس الرسول: «**لأننا بالرجاء خلصنا**» (رو ٨: ٢٤)؛ **أما بالإيمان فإننا ما زلنا نجاهد ونسعى.**

بعد زاد الروح، وهبهم الرب شفاء الجسد:

في إنجيل هذا الصباح، وقبل أن يصنع الرب المعجزة ليُطعم الجموع، مكتوب:

+ «**ولما رجع الرسل أخبروه بجميع ما فعلوا. فأخذهم وانصرف**

منفرداً إلى موضعِ خلاء لمدينة تُسمَّى بيت صيدا. فالجموع إذ علموا تبعوه. فقَبلهم وكلَّمهم عن ملكوت الله. والمحتاجون إلى الشفاء شفاهم» (لو ٩: ١٠،١١).

فبعد أن وهب الرب للجموع زاد الروح، بدأ يشفي أمراضهم أي أسقام الجسد، ثم بدأ بعد ذلك يُعطيهم خبز الجسد. هذا الإنجيل هو تطبيق مباشر لقول الرب: «**اطلبوا أولاً ملكوت الله وبرَّه، وهذه كلها تُزاد لكم**» (مت ٦: ٣٣).

نحن في مسيرتنا على الطريق المؤدِّي إلى ملكوت السموات سنعتاز، سنعتاز إلى كل ما للجسد، ليس من خبز فقط، وإنما من احتياجات أخرى ضرورية للجسد. ستواجهنا أسقام وأمراض مختلفة، وضيقات وأحزان، وأتعاب لا حدَّ لها، حتى إلى باب القبر. فإن لم نُوفِ الروح حقَّها الواجب، فباطلاً يكون سَعْيُنا، وباطلاً يكون رجاؤنا.

صلاة "أبانا الذي في السموات" صلاة إفخارستية:

إذا دقَّقنا في **صلاة "أبانا الذي"** (لو ١١: ١-٤)، سنجد أنها "**صلاة إفخارستية**". فهي أول صلاة إفخارستية يُعلِّمها الرب لتلاميذه ولنا. فقد قال التلاميذ للرب: «**يا ربُّ علِّمنا أن نُصلِّي**»، فقال لهم: «متى صلَّيتم فقولوا: **أبانا الذي في السموات. ليتقدَّس اسمُك** (وهي تقديس اسم الله التي نقولها "آجيوس" ثلاث مرات في القدَّاس). **ليأتِ ملكوتك** (فنحن نطلب أن يأتي الملكوت إلينا، لأننا لا نستطيع الآن أن نَعبُر إليه. ملكوت الله هو أن يحكم الله على القلب، يحكم الحياة برمَّتها، نُسلِّم له كل شيء، كل ما نملك من فكر وعقل وعاطفة وجسد). **لتكن مشيئتك كما في**

السماء كذلك على الأرض (أي تكون حياتنا وفق مشيئة الله تماماً. نطلب إليه: "إنه كما أننا سنحيا في ملكوتك، يا ربُّ، في ملء البهجة والفرح والمسرَّة وفي نور قدِّيسيك؛ هكذا اجعلنا منذ الآن نحيا هذا الملكوت ونحن على هذه الأرض"). **خبزنا كفافنا (الذي للغد) أَعْطِنا كل يوم»**.

❖ **"خبزنا الذي للغد أعطِنا اليوم"**. هنا عندما علَّم الرب تلاميذه "الصلاة الربَّانية"، فهو يريد أن يُنبِّه ذهنهم (وهم جميعاً من خلفية يهودية)، أنَّ في برية سيناء كانوا يلتقطون المنَّ كل يوم ما عدا يوم السبت، حيث في يوم الجمعة يلتقطون ضعف ما كانوا يلتقطونه كل يوم (للجمعة والسبت). فإذا حدث أن إنساناً جمع في أيِّ يومٍ آخر ضعف احتياجه من المنِّ فإنه يفسد ويعتريه الدود. فخبز الغد أي خبز السبت، أَعطِنا اليوم (الجمعة).

تقديس اسم الله وتقديس الإفخارستيا:

❖ ومن الملاحَظ أن هذه الطلبة جاءت بعد **«ليتقدَّس اسمك. ليأتِ ملكوتك»**. فواجبنا قبل أن نسعى سَعْي الجسد، وقبل أن نُعطي الجسد احتياجاته، ونُشبعه بخبز اليوم أو خبز العالم أو الخبز البائد؛ يلزم أولاً أن نُقدِّس اسم الله. فلابد أن يكون خبز الروح قبل خبز الجسد.

❖ ونلاحظ أن الرب عندما أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين **«رفع نظره نحو السماء وباركهُنَّ، ثم كسَّر وأعطى التلاميذ، ليُقدِّموا للجمع»**.

هذه هي الحركات الثلاث التي يتقدَّس بها خبز الإفخارستيا. فالسرُّ

دخل في الخمس الخبزات والسمكتين. ولكن الجموع أخطأوا الفهم والمعنى: إن ملكوت الله استُعلِن في المسيح. فبدلاً من قبول المسيح كمخلِّص ومسيًّا، نظروا إليه كملك إسرائيل الذي سيُخلِّصهم من الرومان. هنا حدث تزييف للرؤيا.

فبدلاً من أن يقبلوا المسيح كالمنقذ والمخلِّص لحياتهم صارخين: «أوصنَّا لابن داود (أو "هوشعنا": أي "خلِّصنا" من السماء يا ابن داود). مبارك الآتي باسم الرب. أوصنَّا في الأعالي» (مت ٢١: ٩)؛ إذ بهم عندما رأوا الآية التي صنعها الرب يسوع يندفعون إليه ليختطفوه ويجعلوه ملكاً ليُخلِّصهم من الرومان، وأما الرب فانصرف عنهم واجتاز في وسطهم مختفياً (يو ٦: ١٤،١٥).

❖ **نُخطئ كثيراً عندما نحوِّل الروحيات إلى ماديات.** ولكن عندما نُصلِّي مثلاً على الأكل، فإن الخبز يتقدَّس، لأن كل خبز نأكله باسم الرب تسري فيه قوة الرب، بل ويحدث أيضاً شفاء للجسد السقيم.

معجزة إشباع الجموع حدثت مرتين: الخمس الخبزات والسمكتان التي أشبعت خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأطفال (لو ٩: ١٣-١٧)؛ والسبع الخبزات وقليل من صغار السمك التي أشبعت نحو أربعة آلاف (مر ٨: ١-٩). وهذه هي الأعداد المقدسة التي تحتفظ بها الكنيسة إلى الآن عند تقديم الحَمَل: خمس قربانات أو سبع.

❖ هذه هي **النقطة الأولى** في إنجيل هذا الصباح، الذي هو إنجيل العبور، إنجيل الرحلة السعيدة، إنجيل العَوَز على الطريق الموصِّل إلى

ملكوت الله: **أن تُشبَع الروح أولاً بالصلاة، ثم تسري قوة الصلاة لشفاء الجسد، ثم تقديم الخبز للجسد.**

الإيمان هو قوتنا في المسيرة إلى الملكوت:

❖ **النقطة الثانية**، هي الكلمات الإفخارستية ذات السرِّ المقدس في التحويل. «**فقالوا** (التلاميذ): **ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين، إلاَّ أن نذهب ونبتاع طعاماً لهذا الشعب كله**».

هذا الإنجيل يُشير إلى ضعف أو قلة إيمان التلاميذ. فقد نبَّههم المسيح كثيراً ألاَّ يرجعوا إلى أنفسهم في التقديرات والأمور الروحية، فمرة يقول لهم: «**إلى متى أكون معكم؟ إلى متى أحتملكم؟**» (مت ١٧: ١٧)، ومرة ثانية يقول لهم: «**ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان!**» (مت ٨: ٢٦). ومرة ثالثة يقول لبطرس عندما بدأ يغرق: «**يا قليل الإيمان، لماذا شككتَ؟**» (مت ١٤: ٣١)

في مسيرتنا الروحية، وعبورنا إلى ملكوت السموات، وارتحالنا عَبْرَ الطريق الكَرِب، ومواجهتنا للضيقات والأتعاب والأعواز والمظالم؛ إذا رجعنا في كل هذا إلى ذواتنا، فسوف نتعثَّر في الطريق ونسقط. لماذا؟ لأن الإيمان هنا ضعيف جداً، لابد أن نرفع أعيننا إلى قائد مسيرتنا: «**ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع**» (عب ١٢: ٢). هو الذي يحملنا على ذراعيه؛ فإن كان في العهد القديم، وهو صورة مُصغَّرة للعهد الجديد، قال للشعب: «**أنا حملتكم على أجنحة النسور وجئتُ بكم إليَّ**» (خر ١٩: ٤)، فكم بالحري يكون في العهد الجديد؟

فالتلاميذ عندما قارنوا بين ما هو متوفِّر لديهم من خمس خبزات

وسمكتين، وبين عدد الجموع الذين كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأطفال؛ وجدوا - حسب إيمانهم الضعيف - أنها لا تكفي لكل هذه الجموع الغفيرة. ولكن الرب يسوع قال لتلاميذه:

+ «**أتكئوهم فرقاً، خمسين خمسين. ففعلوا هكذا وأتكأوا الجميع. فأخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين، ورفع نظره نحو السماء** (وهذا هو أول فعل تقديسي)، **وباركهُنَّ** (في إنجيل القديس متى وردت: "**وبارك**" — ١٤: ١٩، أي بارك الله، بمعنى الاعتراف بالمجد لله، وليس "بارك الخبز")».

هنا، ما معنى "أُبارك الله"؟ هل يمكن للإنسان أن يُبارك الله أو يُمجِّد الله؟ فالله مبارَك ومُمجَّد. هنا البركة بمفهوم إعطاء الله ما له، ليس أنني أنا الذي أُعطي له، ولكن الاعتراف بما لله من قوة وبركة.

الاعتراف بما لله من بركة:

فعندما يقول إنجيل القديس لوقا: "**وباركهُنَّ**"، أي بارك الخبزات الخمس والسمكتين، فذلك لكي يفهم ويعي الأُمميُّون الذين سيقرأون هذا الإنجيل، وهذا هو المعنى الأقل. ولكن كما وردت في إنجيل القديس متى: "**بارَك**"، أي بارَك الله، بمعنى اعترف بما له من بركة، وهذا هو المعنى السرِّي العميق.

انكسار الرقم أي انكسار الاعتماد على المنطق العقلي:

❖ ثم أكمل إنجيل القديس لوقا ما فعله الرب يسوع أنه: «**كسَّر**».

هذا هو لُب أو جوهر أو محور السرِّ، كلها تجمَّعت في هذه الكلمة "**كسَّر**". لذلك فإن قسمة القربان في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية لها

صلاة مخصوصة، دوناً عن كنائس العالم الأخرى؛ ذلك لأن الكنيسة تؤمن بحدوث سرٍّ عميق جداً أثناء **"كَسْر الخبز"**. ففي أثناء كَسْر الخبز يتحوَّل العدد المحدود إلى عدد غير محدود. ولذلك عندما رُفِع ما فَضَل عنهم من الكِسَر كانت ملء اثنتي عشرة قفة. هنا انكسر الرقم، وبالتالي انكسر المنطق العقلي.

لا يمكن بحسب المنطق العقلي أنَّ خمس خبزات تُشبع خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأطفال. هنا مضمون السر الإلهي، أي الخروج من المحدود إلى اللامحدود، أي الله! هذا يُفيدني جداً في مسيرتي على الطريق المؤدِّي إلى ملكوت السموات، أنَّ مسيرتي ليست بقدراتي وإمكانياتي وإنما بنعمة الله.

فطقس **"كَسْر الخبز"** يحوي سرّاً من أسرار العمل الإلهي، وهو محور السر الإلهي.

❖ ثم **«أعطى التلاميذ»**، هذه كلمة إفخارستية أيضاً. ففي حركة العطاء يتم توصيل البركة: **«ليُقدِّموا للجمع»**.

+ **«فأكلوا وشبعوا جميعاً»**.

"شبعوا": «طوبى للجياع والعطاش إلى البر، لأنهم يُشبَعون» (مت ٥: ٦). هنا أراد الإنجيل أن يُنبِّهنا أن هذا الخبز هو خبزٌ ملكوتي، هو خبز الجياع إلى ملكوت الله، وليس جياع الجسد. ولذلك عندما أراد الجمع أن يطلبوا خبزاً مرة أخرى، قال لهم الرب يسوع: **«اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية»** (يو ٦: ٢٧).

❖ **«فأكلوا وشبعوا جميعاً»**. هذا هو **أول استعلان للسرِّ**، أنَّ الشبع

شبعٌ روحي. هنا مفهوم البركة يتعدَّى الحجم والكمية، وهذا أمرٌ عجيبٌ جداً.

❖ **أما الاستعلان أو الكشف الثاني**، أنه **«رُفِعَ ما فَضَلَ عنهم من الكِسَر اثنتا عشرة قُفَّة»**. فهذا استعلانٌ للسرِّ على أعلى مستوى.

السائرون إلى ملكوت السموات يتحوَّل لهم الزمن إلى خلود:

هنا أعود وأتأمَّل معكم في رحلتنا السعيدة إلى ملكوت السموات. فالسائرون على الطريق المؤدِّي إلى ملكوت السموات، إنما يقتاتون من المسيح كل يوم، وفي أَكْلهم وفي شُربهم إنما يتحوَّل الأَكْل والشُّرب من المستوى المادي إلى المستوى الروحي، حتى أنه قد أُعطِيَ للإنسان السائر في طريق ملكوت السموات أن يُحوِّل الزمن إلى خلود. الحب يُحوِّل الصلاة كفرض إلى لذَّة روحية.

فعندما تُصلِّي فإنك تُحوِّل الوقت الميت - الذي تُحرِّكه عقارب الساعة - إلى زمنٍ لا يَفْنَى؛ تُحوِّل عمرك الذي يُقاس بالأيام والشهور والسنين، إلى عمرٍ أبدي، يدخل مباشرة في الأبدية التي لا نهاية لها في المسيح يسوع.

❖ **كل صلاة نرفعها تُحوِّل زمن الساعة التي نُصلِّي فيها إلى ملايين سنين لا تَفْنَى**، وتحوِّل الدقائق إلى ملكوت وإلى حياة أبدية. فرحلتنا السعيدة إلى الملكوت تُحوِّل كل شيء تمتدُّ إليه أيدينا، كل شيء نُفكِّر فيه باسم يسوع المسيح، كل أَكْلٍ، كل شُرب، كل عمل: في زرع، في تربية بهائم، في خدمة مرضى، في أحقر الأعمال، طالما هي تُعمَل باسم المسيح؛ فإنها تتحوَّل إلى أعمالٍ مجيدة سماوية.

العمل الحقير الذي يُعمَل باسم المسيح يصير عظيماً، لأنه يُعمَل في حضرة الله. كل مَن يعمل وهو يُتقن الصلاة باسم المسيح، فإنه يحيا في الحضرة الإلهية. فالسائرون في طريق ملكوت السموات يعيشون في الحضرة الإلهية.

ولربنا المجد الدائم أبدياً، آمين.

العظة الخامسة عشرة

النور الذي يقود المسافر للحياة الأبدية

يوم الثلاثاء من الأسبوع الخامس من الصوم المقدس

«١٢ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً قَائِلاً: "أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ". ١٣فَقَالَ لَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ: "أَنْتَ تَشْهَدُ لِنَفْسِكَ. شَهَادَتُكَ لَيْسَتْ حَقّاً". ١٤أَجَابَ يَسُوعُ: "وَإِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي حَقٌّ لأَنِّي أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُ وَإِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فلاَ تَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ آتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ. ١٥أَنْتُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ تَدِينُونَ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ أَدِينُ أَحَداً. ١٦وَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَدِينُ فَدَيْنُونَتِي حَقٌّ لأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي بَلْ أَنَا وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي. ١٧وَأَيْضاً فِي نَامُوسِكُمْ مَكْتُوبٌ: أَنَّ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَقٌّ. ١٨أَنَا هُوَ الشَّاهِدُ لِنَفْسِي وَيَشْهَدُ لِي الآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي". ١٩فَقَالُوا لَهُ: "أَيْنَ هُوَ أَبُوكَ؟" أَجَابَ يَسُوعُ: "لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلاَ أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضاً".

٢٠هَذَا الكلاَمُ قَالَهُ يَسُوعُ فِي الْخِزَانَةِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ. وَلَمْ يُمْسِكْهُ أَحَدٌ لأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ بَعْدُ» (يو ٨: ١٢-٢٠).

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

إنجيل قدَّاس هذا الصباح، يا أحبائي، يكشف لنا النور الذي سيقودنا في رحلتنا عَبْرَ هذا العالم على الطريق المؤدِّي إلى ملكوت السموات.

نحن ما زلنا مرتحلين، وقد سبق أن رسم الله لنا هذه الصورة الفائقة

من خلال أشخاص وظروف، كنموذج رائع لرحلة إنسان يسعى نحو الوطن السماوي. وكمثال لذلك، وضع الله أمامنا قصة خروج شعب إسرائيل من أرض مصر، وعبورهم البحر الأحمر، ومسيرتهم في البرية. ونحن في أيام الصوم المقدس، قد عَبَرْنا على عدة أناجيل تُطابق هذه الرحلة عينها، وتكشف لنا - ولو بصورة سرِّية - ما تمَّ مع شعب الله أثناء ارتحالهم في برية سيناء، ومعاملات الله معهم.

❖ وقد بدأ إنجيل هذا الصباح بكلام الرب يسوع: «**ثم كلَّمهم يسوع أيضاً قائلاً**».

كلمة "**أيضاً**" تكشف أنه كان يوجد قبلها كلام. فما هو هذا الكلام السابق؟

+ «**وفي اليوم الأخير العظيم من العيد (عيد المظال) وقف يسوع ونادى قائلاً: إنْ عطش أحدٌ فليُقبل إليَّ ويشرب. مَن آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مُزمِعين أن يقبلوه**» (يو ٧: ٣٧-٣٩).

❖ وقد تحدَّث إنجيل الأمس (الاثنين من الأسبوع الخامس من الصوم المقدس) عن معجزة الخمس الخبزات والسمكتين (لو ٩: ١٢-١٧). وأوضحنا أن هذه المعجزة هي تعبيرٌ إلهي واضح عن «**الخبز الحي الذي نزل من السماء**» (يو ٦: ٥١) الذي حلَّ محل المنِّ الذي كان ينزل من السماء ليُطعم شعب إسرائيل في البرية، كما قال الرب يسوع لليهود: «**آباؤكم أكلوا المنَّ في البرية وماتوا... أنا هو الخبز الحي الذي نزل**

من السماء. إن أكل أحدٌ من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذي أنا أُعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم... مَن يأكل من هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد» (يو ٦: ٤٩، ٥١، ٥٨). وقد أوضح الرب لليهود أنه: «**ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبي يُعطيكم الخبز الحقيقي من السماء**» (يو ٦: ٣٢). وقد أمسك بالخمس الخبزات وبارك وكسَّر وأعطى التلاميذ ليُقدِّموا للجمع «**فأكلوا وشبعوا جميعاً. ثم رُفِعَ ما فضل عنهم من الكِسَر اثنتا عشرة قفة**» (لو ٩: ١٦، ١٧).

المسيح هو الماء الحيُّ:

وقبل أن يتحدَّث المسيح عن نفسه أنه «**هو نور العالم**»، تكلَّم في الأصحاح السابع من إنجيل القديس يوحنا عن "**الماء الحي**". ففي اليوم الأخير العظيم من عيد المظال، كان يأتي رئيس الكهنة وفي يده قِدْر من الفضة يملأها ماء، ثم يأتي إلى المذبح ويكسر هذا القِدْر فينسكب الماء على المذبح (وفي القديم كان القِدْر من الفُخَّار)، ثم يجري الماء من المذبح إلى المجاري التي تُحيط بالمذبح؛ كل هذا لكي يتذكَّر اليهود الصخرة التي ضربها موسى في البرية فأخرجت ماءً يشرب منه الشعب في البرية ولا يموتون: «**لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح**» (١كو ١٠: ٤).

❖ «**وفي اليوم الأخير العظيم من العيد**»، في الوقت الذي كان يحمل فيه رئيس الكهنة القِدْر المملوء ماء ليسكبه على المذبح، «**وقف يسوع ونادى قائلاً: إن عطش أحدٌ فليُقبِل إليَّ ويشرب**».

هنا وَضَعَ المسيح نفسه مقابل الرمز، أنه هو "**الماء الحقيقي**". فهو

"**الحق**"، وهو "**الخبز الحي**"، وهو "**الماء الحي**"، وهو "**نور العالم**" أو "**نور الحياة**".

والمسيح هو نور العالم:

❖ وعندما يقول الرب يسوع: «**أنا هو نور العالم. مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة**»؛ فهنا "نور الحياة" أي النور المؤدِّي إلى الحياة، أي "النور المُحيي" بلا شك. هنا يضع المسيح نفسه بدلاً من الرمز. والرمز هنا هو **عمود النار** الذي كان يُنير لشعب إسرائيل أثناء ارتحالهم في البرية ليلاً. تماماً مثلما قدَّم الرب جسده المقدس ودمه الكريم عِوَضاً عن المنِّ الذي كان ينزل من السماء ليُطعم شعب إسرائيل في البرية، وكان المنُّ رمزاً. كما كانت الصخرة أيضاً التي انفجرت منها المياه ليشرب الشعب في البرية رمزاً للمسيح: «**والصخرة كانت المسيح**».

❖ «**مَن آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مُزمعين أن يقبلوه**» (يو ٧: ٣٨،٣٩)، وكما قال الرب يسوع للسامرية: «**ولكن مَن يشرب من الماء الذي أُعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية**» (يو ٤: ١٤).

بعد ذلك نبَّه الرب يسوع الشعب أنه "**هو نور العالم**"، وكأنه يُذكِّرهم بعمود النار الذي كان يُضيء لشعب إسرائيل ليلاً في البرية مدة ٤٠ سنة. وهذا العمود نفسه كان يتحوَّل في النهار إلى عمود سحاب ليُظلِّل على الشعب ويحميهم من شمس النهار الحارقة: «وكان الربُّ يسير

أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليُضيء لهم، لكي يمشوا نهاراً وليلاً. لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب» (خر ١٣: ٢١،٢٢). فعمود النار كان يسير أمام شعب إسرائيل ليلاً في ظلمة الحياة، التي هي مفهوم الخطية أو البُعد عن الله الذي هو الموت الروحي، وهكذا: «**دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع**» (رو ٥: ١٢). الخطية دخلت إلى العالم، وساد بها الموت على الجميع. فالموت ظلمة، والخطية جهالة. الجهالة تؤدِّي إلى الخطية، والخطية موت، والموت ظلمة.

❖ لذلك قال المسيح: «**أنا هو نور العالم. مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة**».

فلولا عمود النار الذي كان يقود شعب إسرائيل في البرية ليلاً، لضلَّ الشعب وتاه في البرية. عمود النار أو النور قادهم في البرية فعلاً، ولكن بالرغم من ذلك فإنهم، أولاً: لم يصلوا إلى أرض الموعد (طُرحت جثثهم في القفر)، وثانياً: لم يحفظهم هذا العمود من الموت في البرية.

هذا العمود المُنير لم يدخل في أعماقهم، ولكنه كان يسير أمامهم فقط. وهذا هو الفرق بين النورَيْن: نور عمود النار؛ والمسيح الذي هو "**نور العالم**". النور الذي يقود من الخارج غير النور الذي يقود من الداخل. كان الرمز يختص دائماً بالخارج، بالجسد، بالمسيرة في هذا الدهر؛ إنما الحق أو الحقيقة أو المسيح هو "**النور الحقيقي**".

المسيح جاء كنورٍ حقيقي يُشرق داخل النفس: «**مَنْ يتبعني فلا يمشي**

في الظلمة، بل يكون له (أو فيه) نور الحياة»، كماءٍ ينبع في أعماق الإنسان: «**بل الماء الذي أُعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية**» (يو ٤: ١٤)»، كطعامٍ يتحوَّل إلى حياة أبدية لكل مَن يتناوله: «**مَن يأكلني فهو يحيا بي**» (يو ٦: ٥٨).

سرُّ الطعام الإلهي والارتواء الإلهي:

ولكن قبل كلام المسيح لليهود أنه "نور العالم"، وردت في هذا الأصحاح الثامن قصة المرأة التي أُمسِكَت في ذات الفعل. وقد وُضِعَت هذه القصة بحكمة فائقة، وفي الوقت الذي كان فيه الجميع يريدون أن يرجموها، يقول المسيح للمرأة: «**ولا أنا أُدينكِ. اذهبي ولا تُخطئي أيضاً**» (يو ٨: ٢-١١). ومن الملاحَظ أن شعب إسرائيل مكتوبٌ عنهم في القديم: «جلس الشعب للأكل والشُّرب ثم قاموا لِلَّعِب (أي الزنا)» (خر ٣٢: ٦)، وسقط منهم الآلاف من جراء ذلك، فانتهى أكلهم وشربهم إلى الزنا، ثم الموت. أما الرب يسوع فعندما يتكلَّم عن نفسه أنه "الماء الحي" و"الخبز الحي"، فهنا يكمن سر الطعام الإلهي وسر الارتواء الإلهي، الذي يؤدِّي إلى غفران الخطايا، والتطهير، والتقديس.

المسيح يُضيء النفس، ويهب البصيرة:

❖ وأيضاً لكي يُستعلَن المسيح أنه "نور العالم"، وردت قصة المولود أعمى في الأصحاح التاسع، وقد حدث حوار بين التلاميذ والرب يسوع: «يا معلِّم، مَن أخطأ: هذا أم أبواه، حتى وُلد أعمى؟»»، فيُجيبهم الرب قائلاً: «**لا هذا أخطأ ولا أبواه، لكن لتظهر أعمال الله فيه. ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهارٌ... ما دُمتُ في العالم، فأنا**

نور العالم» (يو ٩: ٢-٥). ثم أبرأ الرب يسوع المولود أعمى الذي مضى واغتسل في بِرْكَة سلوام «**وأتى بصيراً**»، وأخيراً آمن هذا الإنسان بالرب يسوع أنه ابن الله: «أُومِن يا سيِّد. وسجد له». وبعد أن أبرأه، قال الرب يسوع للفرِّيسيين: «**لدينونةٍ أتيتُ أنا إلى هذا العالم، حتى يُبصر الذين لا يُبصرون، ويَعْمَى الذين يُبصرون**» (يو ٩: ٣٩).

فالمسيح هنا هو **نور باطني واضح**، يُضيء النفس ويَهَب البصيرة، ولذلك قال: «**مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة**». لم يَقُل الرب: "إنَّ مَن يتبعني سيرى الطريق"، ولكنه قال: «**بل يكون له نور الحياة**»، فهنا النور داخلي يُشرق في النفس البشرية ويُضيء البصيرة. أتى المسيح كنورٍ حقيقي، لا لكي نرى به هذا العالم، ولكن لكي نأخذ هذا النور في أعماقنا، فيتحوَّل فينا إلى رؤيا وإلى حياة. «**يكون له نور الحياة**»، أي أن الإنسان الذي يستقبل هذا النور، فإنه يحتوي هذا النور ويقتنيه في أعماقه.

تبعية المسيح ليست ظاهرية بل تبعية تعمل في الذهن:

+ «**أنا هو نور العالم. مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة**».

هنا التبعية ليست تبعية ظاهرية، وإنما تبعية داخلية. فالإنسان يتبع المسيح، يسلك في إثر وصاياه، في إثر كلمته التي تعمل في الذهن للاستنارة، يمشي في النور فيكون له نور الحياة. فنحن أولاد النور، مولودون من النور، مولودون من المسيح؛ لا لأننا صرنا نوراً، ولكن لأننا احتوينا النور، نور الحياة، في أعماقنا. لذلك قال المسيح: «**فليُضئ**

نوركم قدّام الناس» (مت ٥: ١٦)، ومعنى هذا أن المسيح الذي يسكن في أعماقنا هو الذي يُستعلَن كنور حقيقي.

نحن نرتحل في مسيرتنا إلى ملكوت السموات ونحن نعيش في عالم ظلمة، عالم تعمل فيه الخطية في الجسد وفي الفكر كل يوم، والخطية مُحيطة بنا من كل ناحية، **«والعالم كله قد وُضِعَ في الشرير»** (١يو ٥: ١٩). فالمسيح جاء إلى العالم لكي يُنير، ولكنه يُنير الذين يتبعونه، أي المؤمنين باسمه؛ يُنير لهم طريق الحياة من داخل هذا العالم.

❖ ولكي تعرفوا الفرق بين نور المسيح ونور العالم المادي، نذكر قصة اهتداء شاول الطرسوسي، فبينما هو يقترب من دمشق: «بغتةً أبرق حوله نورٌ من السماء» (أع ٩: ٣)، ويقول بولس الرسول: «رأيتُ في نصف النهار في الطريق... نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس» (أع ٢٦: ١٣). «أما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين، يسمعون الصوت ولا ينظرون أحداً» (أع ٩: ٧). فهؤلاء الرجال لم يروا شيئاً، ولكن شاول هو الذي رأى. هنا الرؤيا هي رؤيا باطنية. لقد رأى وجه المسيح أشد لمعاناً من ضوء الشمس في وَضَح النهار، وقد أضاء له نور المسيح خارجياً وداخلياً.

❖ لقد قال المسيح: **«وللوقت بعد ضيق تلك الأيام** (السابقة لأحداث الزمان الأخير)، **تُظلِم الشمس، والقمر لا يُعطي ضوءه، والنجوم تسقط من السماء»** (مت ٢٤: ٢٩).

هنا عبور رائع بالعين البشرية. فلم يَقُل المسيح: "إنَّ القمر يُظلِم"، لأن القمر غير مُنير في جوهره، هو جسم بارد مُظلم، ولكنه يعكِس نور

الشمس، هذا من الوجهة العلمية الدقيقة. أما عن الشمس فقد قال الرب إنها "تُظلِم" لأنها نجم متوهج، كتلة من النور، يحدث فيها انفجارات ذرية ونووية مُريعة، ولذلك نورها نابعٌ من جوهرها، ويسطع هذا النور على القمر، ويعكسه القمر لنا. هذا تعبيرٌ بديع.

فمصادر النور في العالم ستختفي، أما مَن يتبع الرب، فالرب هو الذي يُنير حياته، وحينئذ يكتشف ظلمة هذا الدهر أو بالحري الجهالة التي يحيا فيها هذا العالم وكل إنسان يحيا في هذا العالم.

نحن نقبل المسيح كنورٍ حقيقي:

+ **«مَن يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة»**.

فنحن في ارتحالنا عَبْرَ هذا العالم في رحلتنا السعيدة إلى الوطن السماوي، نقبل المسيح كنور حقيقي، لا كعمود النار الذي كان يسير أمام الشعب ليلاً في البرية ليهديهم في الطريق؛ وإنما كنور يُشرق في أعماقنا: **«سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي»** (مز ١١٩: ١٠٥).

فالكلمة مُضيئة، إذا احتواها الإنسان في القلب، يستطيع أن يمشي في طريق مستقيم، طريق الخلاص. هنا احتواء العمود المُنير هو أساس الرحلة، أساس الترحال إلى الوطن السماوي الذي ما يزال مجهولاً لنا وغير مُستعلَن. فنحن لا نستطيع أن نرى هذا الوطن السماوي بالعيان، ولا نستطيع أن نُحيط بكل ما فيه أو نُحدِّد ملامحه؛ ولكن كل ما نستطيع أن نفعله هو أن نتبع المسيح، ونتمسَّك بالنور الحقيقي، وحينئذ نسير في أمان وينكشف لنا الحق أكثر فأكثر.

"النور" يعني "الحياة":

"النور" يعني "الحياة"، لماذا؟ لأن المسيح عندما يقول عن نفسه: "**أنا هو نور العالم**" و"**أنا هو الحق**"؛ فمعنى هذا أن مجيء المسيح إلى العالم كان ليس ليكشف لنا ما في هذا العالم لنراه، ولا ليكشف لنا الله لنراه بالعين المجرَّدة؛ ولكن جاء لكي يكشف لنا **الحقيقة** من خلال **الرمز، والأبدية** من خلال **المادة، والخلود** من وراء **الزمن**.

❖ **النور الحقيقي هنا مُوصِّل ومُحرِّك، وليس نوراً ساكناً**. فهو بنفسه حركة تُحرِّك كل مَن يتبعه، لأن الله ليس ساكناً، ولكنه فاعل، متحرِّك ومُحرِّك. فالمسيح "**كلمة الله**" يأتي في اللغة الفرنسية Le Verbe، بمعنى "**الفعل**" وليس بمجرَّد "**كلمة**". ولذلك عندما قال الرب إنه "**نور العالم**"، فهو النور الذي يقود الإنسان في أعماقه ليبلغ الحقيقة الآنيَّة (أي التي تختص بالحاضر) وأيضاً الحقيقة الأبدية. «**ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق**» (١يو ٥: ٢٠). فليس لدى المسيح مانعٌ أن يكشف للإنسان السائر في الطريق، حقائق هذا العالم، حقائق كل يوم. وهذا الكشف صورة من صُور استعلان الحقيقة.

والمسيح "النور" يعني "الحق" الذي يُنير الذهن:

والمسيح، باعتباره الحقيقة المطلقة، يعمل بقوة داخل الإنسان، فيُنير الذهن، وحينئذ ينكشف الحق كل يوم للإنسان المسافر في طريق الحياة، فيتبعه. وإذا تبع الإنسانُ هذا الحق، سيُستعلَن له الحق أكثر فأكثر، وهذه هي المسيرة المتواصلة بدون توقُّف.

المسيح يقودنا من حقٍّ إلى حق، وهذه هي المسيرة. الإنسان الذي

يجلس كل يوم في حضرة المسيح ساهراً، والكلمة تسكن في قلبه بغنًى، ينكشف له الحق: الحق الذي فيه، والحق الذي له، والحق الذي عليه. كلمة الله تُستعلَن للإنسان كنور، فتنكشف له حقائق الحياة، وحقيقة نفسه، فيُعدِّل مسيرته ويُصحِّحها.

المسيح هو "نور العالم"، الذي يُضيء العالم كله. ولو أخذنا هذا من المنظور المادي، فإنَّ المسيح هو أصل الحركة والتواصُل في النور. والذي يهمُّنا بالأكثر، كأُناس مُرتحلين على طريق الحياة، أن نضع نصب أعيننا الوطن السماوي الذي نتَّجه نحوه؛ فننسى ما هو وراء أي المادي، ونتقدَّم إلى ما هو قدَّام أي الروحي، نتحرَّك على ضوء كلمة الله، على ضوء المسيح، على ضوء الحق الإلهي. **وهذه هي الحركة الداخلية في أعماق النفس البشرية.**

نور العالم المادي هو الظلمة:

«**بل تكون له نور الحياة**». "**نور الحياة**" هي المقابل لـ "**نور العالم**". العالم "**ظلمة**"، والمسيح جاء لكي يُضيء هذا العالم المُظلم؛ بمعنى أن المسيح جاء ليكشف لكل مَن يتبعه الحقائق الإلهية من وراء الرموز، من وراء حركة الزمن. فالزمن حركة ميتة بالنسبة للأبدية وبالنسبة للخلود: «**لأن ألف سنة في عينيك (يا رب) مثل يوم أمس بعدما عَبَرَ وكهزيع من الليل**» (مز ٩٠: ٤).

ونور المسيح هو نور الكلمة:

فالمسيح يُنبِّه ذهننا إلى وجود حركة باطنية في أعماقنا تتحرَّك على أساس الكلمة الحيَّة، أي على أساس نور كلمة الله أي المسيح. هذه

الحركة هي التي تقودنا عَبْرَ ظلمة هذا الدهر. فإن لم يتمسَّك الإنسان بكلمة الحياة، ويقبل المسيح كشخص حي حقيقي، كمصدر النور والحياة؛ فإنه يتوه في هذا العالم. فالعالم هو عالم تيه، وإن لم يَقُدنا نور المسيح، فمآلنا إلى التيه والضلال.

❖ ولكن قصة ارتحال بني إسرائيل في البرية قديماً، هي تحذيرٌ مُرعب لنا الآن، كما يقول بولس الرسول: «**جميعهم كانوا تحت السحابة. وجميعهم اجتازوا في البحر. وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر. وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً**» (١كو ١٠: ١-٤)، ولكن بالرغم من كل هذه العجائب التي صنعها الرب معهم، لم يدخل أرض كنعان ولا واحد من الذين خرجوا من مصر إلاَّ يشوع بن نون وكالب بن يَفُنَّة. لماذا؟ **بسبب عدم إيمانهم!** وكانت النتيجة أنْ فَنِيَ هذا الجيل كله، ولم يدخل أرض كنعان من الذين خرجوا من مصر إلاَّ اثنان فقط، أما الباقون فقد طُرحت جثثهم في القفر!

لابد أن ينتقل المسيح إلى داخلنا، ليكشف لنا الحق:

لابد أن ينتقل عمود النار أو النور الذي كان يسير أمام بني إسرائيل ليلاً (بطريقة ذهنية أو مادية أو محسوسة) إلى أعماقنا، وأن يتحوَّل نور المسيح في داخلنا إلى حركة باطنية، إلى كَشْف "الحق": «**بل يكون له نور الحياة**».

+ «**فقال له الفرِّيسيون: أنت تشهد لنفسك. شهادتك ليست حقًّا**».

لماذا قالوا هذا الكلام؟ لأنهم أخذوا كلام المسيح وقاسوه على كلامهم، وعلى ناموسهم، وعلى تقاليدهم. لكن هو يشهد لنفسه، والناموس يقول: «على فم شاهدين أو على فم ثلاثة شهود يقوم الأمر» (تث ١٩: ١٥).

+ «**أجاب يسوع وقال لهم: وإن كنتُ أشهد لنفسي، فشهادتي حقٌّ**».

لماذا؟ لأن المسيح هو "**النور الحقيقي**". وهل يمكن للنور الذي يُضيء الظلام أن لا يشهد لنفسه؟ فالمسيح غير محتاج أن يشهد عنه أحدٌ.

❖ **ولكن الرب يسوع أضاف: «أنا هو الشاهد لنفسي، ويشهد لي الآب الذي أرسلني». «فقالوا له: أين هو أبوك؟»**

هم يعلمون جيداً أنه يقصد الله، ولكن لم يعلموا أن "**الآب فيه وهو في الآب**" (يو ١٠: ٣٨). الأعمال التي يعملها المسيح تُثبت أن الآب يشهد له، الأعمال التي يعملها توضِّح أن الآب أرسله إلى العالم، وأنه يعمل أعمال الآب. فالآب يشهد له من خلال أعماله.

❖ **ولذلك قال لهم المسيح: «وإن كنتُ أشهد لنفسي، فشهادتي حقٌّ، لأني أعلم من أين أتيتُ وإلى أين أذهب».**

«**من أين أتيتُ**»: هنا يتكلَّم عن نزوله من السماء إلينا وتجسُّده؛ «**وإلى أين أذهب**»: وهنا يتكلَّم عن صعوده إلى السماء التي أتى منها بعد تكميل رسالته وقيامته من بين الأموات.

هنا انتقل المسيح من كونه "**نور العالم**" أو "**نور الحياة**" إلى الشهادة

عن نفسه مباشرة، وهذا انتقال سرِّي ميستيكي عجيب. فلا يمكن للنور أن يُنير ولا يشهد لنفسه. ولا يمكن أن تحتوي أنت النور في داخلك، الذي هو كلمة الحياة الأبدية، ولا تشهد للمسيح! لأن المسيح هو الذي يُنير أعماقك، وهو الذي يشهد لنفسه فيك، ومن خلال أعمالك.

حِفْظ الإنسان لكلمة الله داخل قلبه:

يستحيل أن يحفظ إنسانٌ كلمة الله بغنًى داخل قلبه، ولا يشهد للمسيح، أو يُشهَد بواسطته للمسيح. لماذا؟ لأن المسيح هو الذي يشهد لنفسه في أعماق الإنسان. وحينئذ لابد أن يشهد الإنسان للمسيح الساكن فيه، ولا يستطيع أن يُغلق فمه، لأن نور المسيح نارٌ متَّقدة داخل الإنسان، لا تهدأ حتى ينطق الإنسان ويتكلَّم ويشهد للمسيح، وإلاَّ: «**قلتُ لا أذكره ولا أنطق بعد باسمه. فكان في قلبي كنارٍ مُحرِقة، محصورة في عظامي. فمَلِلتُ من الإمساك ولم أستطع**» (إر ٢٠: ٩).

تذمَّر شعب إسرائيل على الله أطال مسيرتهم جداً بلا معنى. لو لم يتذمَّر الشعب، لكان الله كما قال: «**حملتُكم على أجنحة النسور وجئتُ بكم إليَّ**» (خر ١٩: ٤)، لكان أوصلهم أرض الميعاد بسلام، بدون طعام أو شراب. التذمُّر أطال المسيرة، وجعلها مسيرة تيه، وليست مسيرة بلوغ. حتى الماء الذي انفجر للشعب في البرية من الصخرة، كان بناءً على تذمُّر، ولذلك كان شهادة **عليهم** وليس شهادة **لهم**. لم يأخذوا منه عِبرة، أو يكتسبوا منه استنارة، لكي يعبدوا الله بخوف وتقوى.

نحن في برية هذا العالم، لم نطلب المسيح، ولكنه جاء إلينا بسخائه الكلِّي وبمحبة الآب: «**هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد**

(حتى أرسل لنا "نور الحياة")، لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

الإيمان بدون المحبة لا يُنير القلب:

❖ **"هكذا أحب الله العالم حتى أرسل نوره الحقيقي"**. فالنور الحقيقي جاء بناء على سخاء الله المطلق. ولكن ليس الإيمان فقط هو الذي يجعل نور المسيح يتَّقد في داخلنا أو يسكن في أعماقنا؛ وإنما المحبة. لابد من المحبة مع الإيمان. الإيمان وحده بدون المحبة لا يُنير القلب: «**والشياطين يؤمنون ويقشعرُّون**» (يع ٢: ١٩). ولكن لابد من المحبة الإيجابية.

المحبة فعلٌ باذل، باذلٌ حتى الموت، وهي المُقابل للنور: «**الذي عنده وصاياي ويحفظها، فهو الذي يحبُّني. والذي يحبُّني يُحبه أبي، وأنا أُحبه، وأُظهِر له ذاتي**» (يو ١٤: ٢١). إذن، المحبة هي أساس ظهور المسيح واستعلانه. «**الذي عنده وصاياي ويحفظها**»، هنا الكلمة هي مصدر الإيمان: «**الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله**» (رو ١٠: ١٧).

إذا قبلتَ الكلمة وآمنتَ بها، لابد أن تحفظها داخل قلبك، تُطبِّقها في حياتك، تحوِّلها إلى فعل: «الذي عنده وصاياي ويحفظها، فهو الذي يحبُّني. والذي يحبُّني يُحبه أبي، وأنا أُحبه، وأُظهِر له ذاتي». لذلك «**قال له يهوذا ليس الإسخريوطي: يا سيِّد، ماذا حدث حتى إنك مُزمِع أن تُظهِر ذاتك لنا وليس للعالم**» (يو ١٤: ٢٢). لذلك وضع المسيح الخط الفاصل بين رؤيته وعدم رؤيته، بين النور والظلمة: «**أجاب يسوع وقال له: إن أحبني أحدٌ يحفظ كلامي، ويحبه أبي، وإليه نأتي، وعنده نصنع**

منزلاً» (يو ١٤: ٢٣). هذا هو الفرق بين ما يُعطيه العالم، وبين ما يُعطيه المسيح. والفرق هو في كلمة "**المحبة**"، فهي التي تُعلِن المسيح.

شهادة المسيح عن نفسه أنه هو "الحق":

نعود مرة أخرى لإنجيل اليوم ونتذكَّر ما قاله الفرِّيسيون للمسيح: «**أنت تشهد لنفسك. شهادتك ليست حقّاً. أجاب يسوع وقال لهم: وإن كنتُ أشهد لنفسي، فشهادتي حقٌّ**». فالنور لا يمكن أن يُشرق في قلب الإنسان دون أن يعمل أو دون أن يشهد. فنور المسيح، هو حركة، هو فعل، يقود الإنسان من حقيقة إلى حقيقة. وهو ليس نوراً تأمُّلياً، بأن يجلس الإنسان في سكون ويتأمَّل في الله وفي أعماله، بدون حركة داخلية: فيها الحب لله، وفيها الحب والبذل للآخرين.

✣ ✣ ✣

نحن الآن مُرتحلون على طريق الحياة الأبدية، يهدينا نور المسيح، أو يقودنا المسيح كنور حقيقي. ولكن المسيح هو نورٌ فقط للسائرين الذين يتبعونه، فيكون لهم نور الحياة، ليس خارجهم، وإنما في أعماق قلوبهم، يقودهم بسلام حتى يصل بهم إلى الوطن السماوي.

ولربنا المجد الدائم أبدياً، آمين.

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا ــ تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين، محرم بك ــ تليفون ٤٩٥٢٧٤٠

أو عن طريق مكتبة الدير

أو عن طريق موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

عن الصائم، يُشبِّهه الكاتب بطائر مُهاجر تحت ظروف قاسية، لأن الطائر يُهاجر من أجل حياته هارباً من شتاءٍ قارس يُهدِّده بالموت، لذلك وضع الله فيه غريزة الهجرة إلى أرضٍ دافئة لاستبقاء حياته: غريزة الوصول إلى الوطن السماوي.

والمسيح شبَّه المسير إلى الملكوت بإنسانٍ مُسافر في طريق ضيِّق. وقد وضع الله في الطائر المُهاجر غريزة معرفة طريقه وسط العواصف والضيقات وكل الموانع والحواجز التي تفوق الوصف، لكي يبلغ هدفه.

إنها الهجرة الداخلية إلى الله: هكذا بالنسبة للإنسان المسيحي أُعطِيَ غريزة الهجرة الداخلية، غريزة الوصول إلى الوطن السماوي إلى الله، من وطن أرضي، من خيمة مطوية، إلى وطن سماوي دائم، إلى مدينة أسَّسها الله، وإلى حياة تدوم.

٦٥٧

الثمن ٨ جنيهات